



العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الفكر والإبداع



مجلة فصلية ثقافية تُعنى بدراسة أحداث السنة الهجرية

شهر محرم

شهر صفر

شهر ربيع الأول

شهر ربيع الثاني

شهر جمادى الأولى

شهر جمادى الآخرة

Al-Sada

Cultural Quarterly Journal For Hegira Events
Issued by the al-abbas holey shrine Department of Intellectual and
Cultural Affairs Division of thought and creativity

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية / ٧.

للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته ﷺ.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل
الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه
الحسين ﷺ الكبير

التواصل مع المجلة:

alsadda@alkafeel.net
info@alkafeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

الإشراف العام
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التحرير
محمد الأسدي

هيئة التحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر فائق هادي
حيدر محمد صالح
محمد يوسف محمد
احمد نعمة عبدالكريم

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

المشاركون
الشيخ فوزي آل سيف
أ.د. نجم عبد الله الموسوي
م . م حسن عبد الهادي عبد الأمير
الشيخ حسين أحمد

التصميم و الإخراج
حسين عقيل
حيدر فائق

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

في البدء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم محمد وآله الطيبين الطاهرين. تعبّد الله خلقه من الجنّ والإنس والملائكة بأمور جعل طاعته فيها؛ ليختبرهم، وليعرف كل منهم حقيقة إيمانه ومدى التزامه، فطاعة هذه الأمور هي طاعة الله تعالى، فأطاع من أطاع ففاض، وعصى من عصى فخرس. وقد جرى هذا الاختبار والامتحان في السماء بالنسبة إلى الملائكة يوم خلق الله تعالى آدم ﷺ وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وسجد الملائكة لآدم ﷺ إنما كان طاعة لله تبارك وتعالى ومحبة لآدم ﷺ.

وقد تكرر ما يشبه هذا على الأرض، وذلك عندما أرسل الله تعالى الأنبياء ﷺ لدعوة الناس إليه، وفرض عليهم طاعتهم وعدم عصيانهم بأن جعل لكلّ نبي أمراً ورماً يطاع الله من خلاله. فالنبي صالح ﷺ جعل له ناقه كرمز ومعجزة يثبت الناس من خلاله طاعتهم لله تعالى، فجعل الله طاعته وطاعة رسوله بعدم التعرض لهذه الناقة بتركها تأكل في أرض الله وألاً يمسّوها بسوء؛ ليظهر حقيقة إيمانهم ومدى التزامهم وحبهم للنبي صالح ﷺ، ولكنهم فشلوا في هذا الامتحان، وبانت حقيقة إيمانهم بعدما وسوس لهم الشيطان، فلم يتركوها تأكل في أرض الله، بل تعرّضوا لها بسوء فعقروها وقتلوا فاستحقوا بذلك العذاب الأليم.

وما جرى لصالح ﷺ وقومه، جرى لطالوت ﷺ وقومه حيث أبتلوا بالنهر وشرب الماء، فكان الامتناع عن الشرب المباح هو الرمز؛ ليثبت الناس من خلاله طاعتهم لله ولرسوله، ولكن سقط الجميع في الامتحان إلا القليل منهم، فالامتناع عن شرب الماء كان لوناً من ألوان الامتحان والابتلاء والاختبار الذي يكشف عن حقيقة الإيمان ومدى الالتزام بالأوامر الإلهية.

وأما بالنسبة إلى نبينا الأكرم محمد ﷺ فكان الرمز الذي يطاع الله ورسوله من خلاله هم أهل بيته ﷺ،

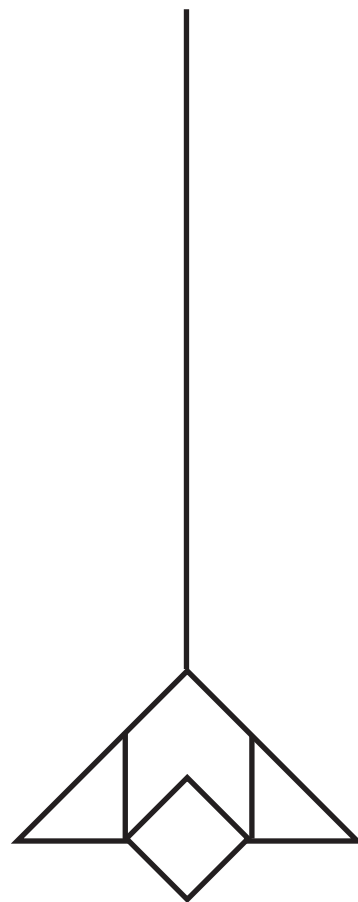
الذين جعل الله تعالى محبتهم ومودتهم أجراً لصاحب الرسالة على ما عانى وما
لاقى من العتاة المردة في سبيل تبليغ الرسالة، حتى أوصلها بأمانة وإخلاص، فأنقذنا من الضلالة
والجهالة، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء، وأجزل له العطاء إنه سميع الدعاء.

إنَّ حبنا وطاعتنا لرسول الله ﷺ إنما تتمثل بمدى حبنا واحترامنا لأهل بيته ﷺ الذين كانوا بحق خير خلفاء
لخاتم الأنبياء ﷺ، والتمسك بهم والرجوع إليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية، وتحصيل ما جاء به الرسول
الكريم ﷺ على الوجه الصحيح الذي جاء به، فقد أدّوا الأمانة، وصدقوا الحديث، وأخلصوا الله حتّى أتاهم
اليقين.

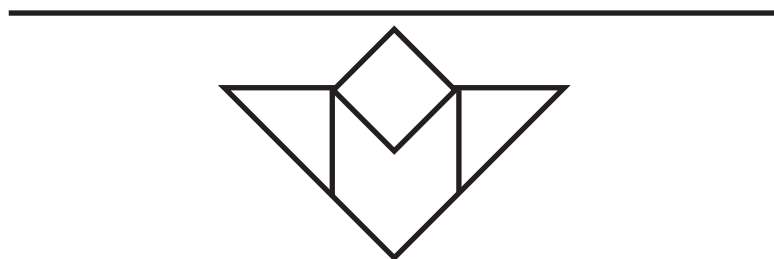
ولكن يلزم علينا معرفة أهل البيت ﷺ وتحديدهم بأعيانهم وأسمائهم قبل كل شيء، لنكون على بصيرة من
أمرنا، ويقين صادق يذهب الشك والرين عن قلوبنا، فقد ورد عن النبي ﷺ في أحاديث عديدة ومناسبات كثيرة
بأنهم عدل القرآن ولن يفتروا عنه، وأنَّ حبهم علامة الإيثار، وأنَّ بغضهم علامة النفاق، وأنَّ من أحبهم فقد
أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم فقد أبغض الله ورسوله، وإلى غيرها من الصفات التي خصهم الله تعالى بها من
دون خلقه.

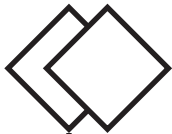
إنَّ حب آل البيت ﷺ يعدّ فرض من ضروريات الدّين التي لا تقبل الجدل والشك، وقد اتفق عليه جميع
المسلمين على اختلاف مذاهبهم، عدا من غلب هواه عقله وسلم قياده للشيطان الرجيم.
ولا شك أنَّ الله تعالى لم يفرض حبهم ومودّتهم إلّا لأنَّهم أهل للحب والولاء، من ناحية قربهم إليه سبحانه
ومنزلتهم عنده، وطهارتهم من الشرك والمعاصي ومن كل ما يبعد عن دار كرامته وساحة رضاه.

إنَّ الله تعالى ليس له قرابة مع أحد، والناس عبيد لله على حد سواء، وأنَّ أكرمهم عليه أتقاهم له، فمن أوجب
حبه على الناس لابد أن يكون أتقى الناس وأفضلهم على الإطلاق، وإلّا كان غيره أولى بذلك الحب والولاء.
ونحن في هذه العدد من مجلة الصدى نسعى جاهدين على بيان بعض معارف أهل البيت ﷺ ومقاماتهم السامية،
والتخلق بأخلاقهم، والتوسل بهم، والسير على نهجهم ﷺ سائلين المولى العزيز أن ينفع بها المؤمنين والمؤمنات،
وأن يرفع هذا الوباء بحق سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين ﷺ، وما توفيقنا إلّا بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا.



المحتوى





شهر محرم

- آثار المنبر الحسيني في زرع وترسيخ القيم الأخلاقية والفضائل النفسية ١١
- الإصلاح في خطاب الإمام الحسين عليه السلام بين النظرية والتطبيق ٣١
- البكاء بين الإمام السجاد عليه السلام وبقية العباد ٤٧
- العباس بن علي عليه السلام قائدًا ٥٧
- مسلم بن عقيل شخصية قيادية ومبادئ سامية ٧٥
- العقل والشعائر الحسينية ٨٣

شهر صفر

- الإمام الحسن عليه السلام في القرآن الكريم ٩٧
- أثر شعيرة الزيارة الأربعينية في تنمية خُلُقَي الإيثار والكرم ١١٥
- الحرب مع القاسطين والمارقين ١٣٧

ربيع الأول

- جوانب اجتماعية من حياة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ١٥٩
- ملاحم علمية وتربوية من شخصية الإمام الصادق عليه السلام ١٧١
- عبد المطلب وصي أو من الخفاء ١٧٥

ربيع الثاني

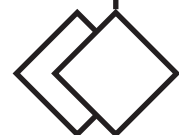
- من مناقب الإمام العسكري عليه السلام ١٨٧

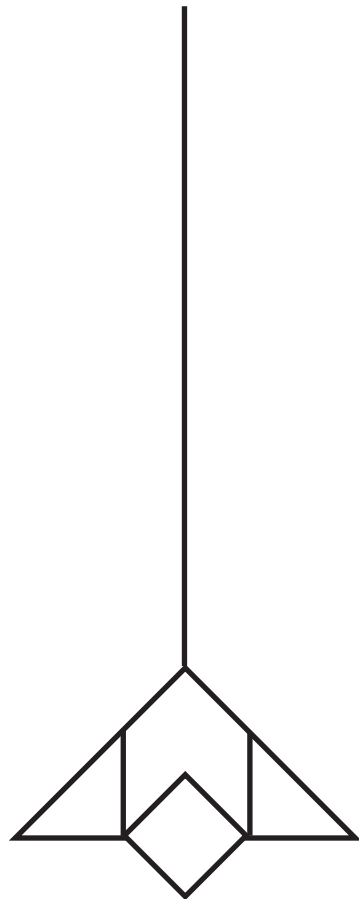
جمادى الأولى

- أوجه التشابه بين زينب الحوراء وفاطمة المعصومة عليها السلام ١٩٩
- فاطمة عليها السلام أم أبيها ٢١١

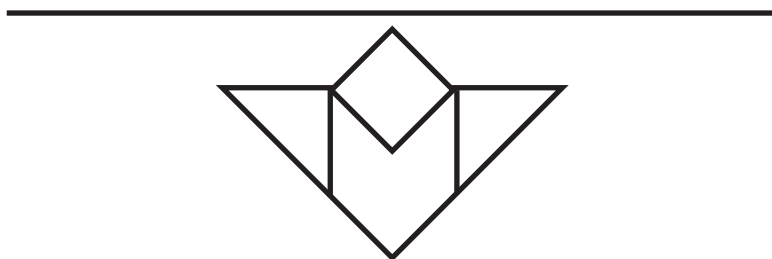
جمادى الآخرة

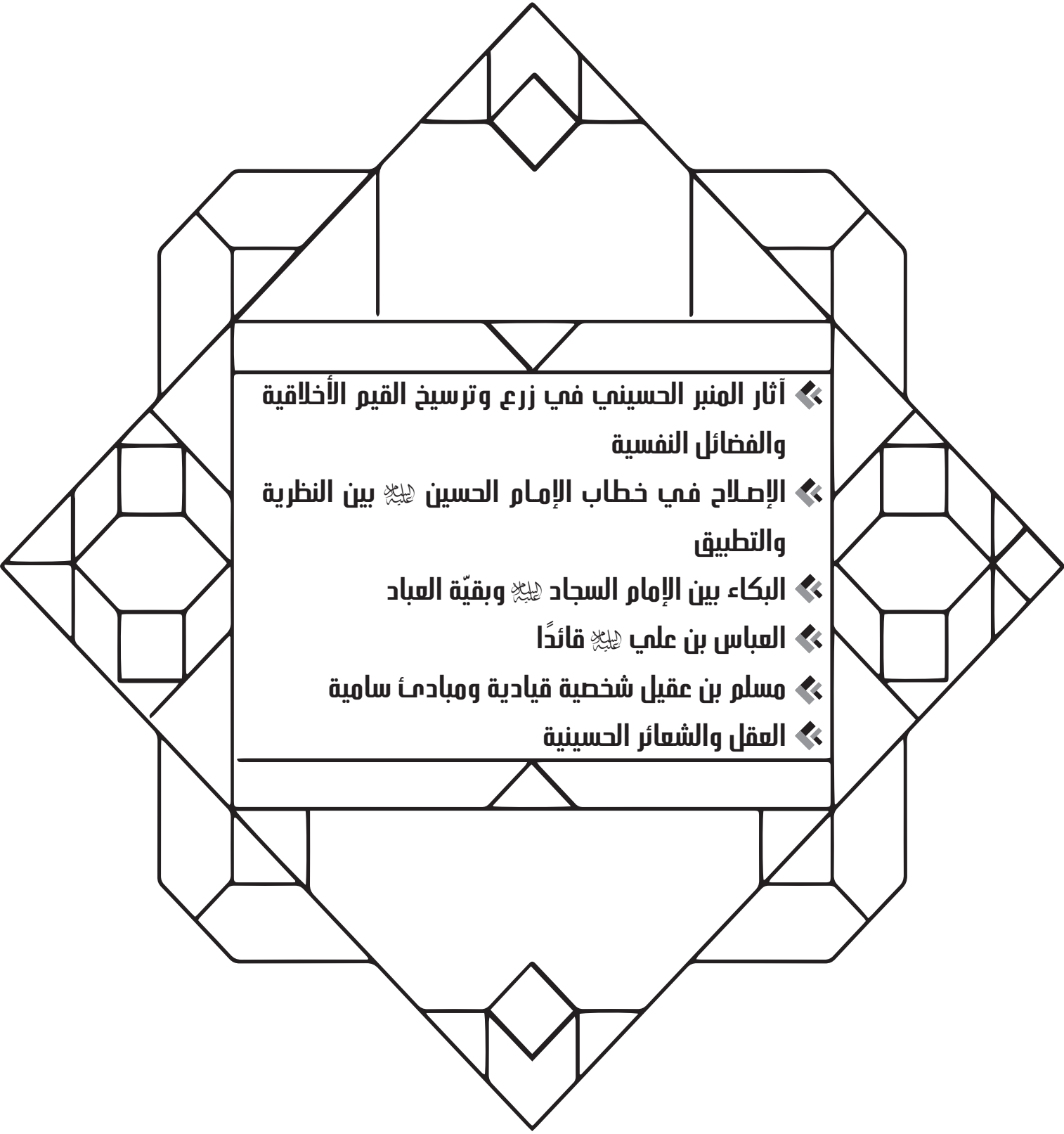
- قرايين السيدة أم البنين عليها السلام ٢٢٣



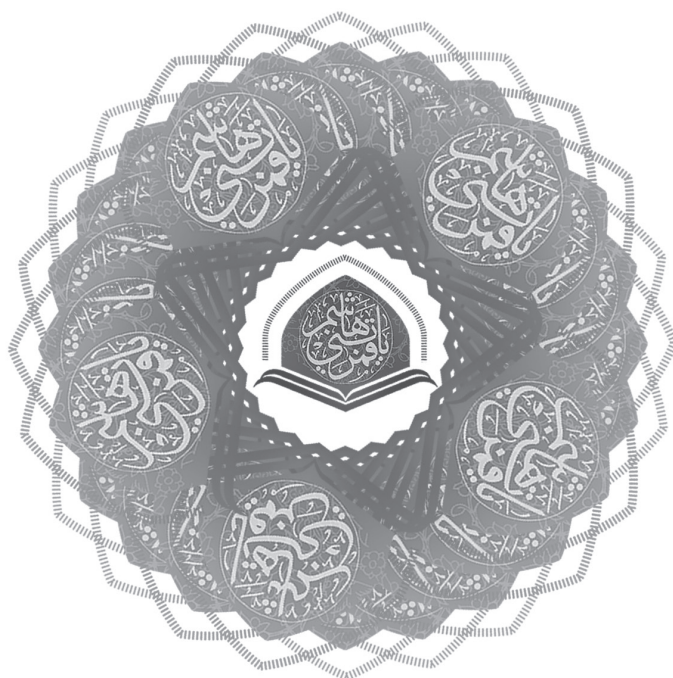


شهر ملزم





« آثار المنبر الحسيني في زرع وترسيخ القيم الأخلاقية
والفضائل النفسية
« الإصلاح في خطاب الإمام الحسين عليه السلام بين النظرية
والتطبيق
« البكاء بين الإمام السجاد عليه السلام وبقية العباد
« العباس بن علي عليه السلام قائدًا
« مسلم بن عقيل شخصية قيادية ومبادئ سامية
« العقل والشعائر الحسينية



آثار المنبر الحسيني في زرع وترسيخ القيم الأخلاقية والفضائل النفسية

م . م حسن عبد الهادي عبد الأمير

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وحبیب إله العالمين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فإن دور المنبر الحسيني في زرع وترسيخ الأخلاق الفاضلة والقيم النفسية العالية لا يمكن إنكاره إلا من مكابر أو مجنون لا يفهم شيئاً.

فإن المنبر الحسيني منبثق من قيم الإسلام وما يحمله من نور يضئ الدرب لكل مؤمن بالله واليوم الآخر، ومما لا يقبل الشك والتردد أن المؤمن الحقيقي يبحث عن القيم الأخلاقية التي جاء بها النبي الأعظم ﷺ فكان دور المنبر واضحاً في زرع هذه القيم العظيمة بعد أن كان صاحب المنبر يحمل تلك الأخلاق العظيمة فكانت تذكر مع ذكر ما جرى عليه في كربلاء المقدسة.

ومن تلك القيم والأخلاق التي جاءت بها عاشوراء ذكرنا أربعاً منها، وجعلنا لكل واحدة منها فصلاً خاصاً حتى نبين مدى الارتباط بين القيم الأخلاقية وما قام به الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء.

القيمة الأخلاقية الأولى: الشجاعة.

القيمة الأخلاقية الثانية: الغيرة والدفاع عن العرض.

القيمة الأخلاقية الثالثة: التضحية وبذل المهج.

القيمة الأخلاقية الرابعة: الكرم.

مفردات البحث

قبل البدء بالبحث لابدّ لنا من بيان المعنى اللغوي للمفردات التي ذكرت في عنوان البحث؛ ليتبيّن للقارئ المحاور التي يدور عليها البحث بصورة عامة كما سيظهر من مراجعة البحث.

أولاً: معنى الأثر:

"الأثر: بقية الشيء والجمع آثار وأثور وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده وأتثرتُه وتأثرتُه تتبعته أثره عن الفارسي ويقال أثر كذا وكذا بكذا وكذا أي أتبعه إياه ومنه قول متمم بن نويرة يصف الغيث فأثر سيل الواديّين بديمة ترشح وسمياً من النبت خروعا أي أتبع مطراً تقدم بديمة بعده والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأثير إبقاء الأثر في الشيء وأثر في الشيء ترك فيه أثراً والآثار الأعلام والأثيرة من الدواب العظيمة الأثر في الأرض بخفها أو حافرها بيّنة الإثارة"^(١).

ثانياً: رَسَخَ:

رَسَخَ: الشيءُ يَرَسُخُ رُسُوخاً ثبت في موضعه وأرسخه هو والرّاسخ في العلم الذي دخل فيه دخولاً ثابتاً وكل ثابت راسخ ومنه الرّاسخون في العلم وأرسخته إرساخاً كالخبر رَسَخَ في الصحيفة والعلم يَرَسُخُ في قلب الإنسان والرّاسخون في العلم في كتاب الله المدارسون ابن الأعرابي هم الحفّاظ المذاكرون قال مسروق قدّمتُ المدينة فإذا زيد بن ثابت من الراسخين في العلم خالد بن جَنْبَةَ الراسخ في العلم البعيد العلم ورَسَخَ الدَّمْنُ ثبت ورَسَخَ الغديرُ رُسُوخاً نَضَبَ ماؤه ورَسَخَ المطرُ رُسُوخاً إذا نَضَبَ نذاه في داخل الأرض"^(٢).

ثالثاً: القيم:

"والقيمة، بالكسر: واحدة القِيمِ. وما له قِيمَةٌ: إذا لم يَدُم على شيء. وقَوِّمْتُ السِّلْعَةَ واستَقَمْتُه: ثَمَمْتُهُ"^(٣). وقام المتاع بكذا أي تعدلت قيمته به وقومته فتقوم: عدلته فتعدل.

وقومت المتاع: جعلت له قيمة.

والقيمة: الثمن الذي يقاوم المتاع أي يقوم مقامه، والجمع القيم، مثل سدره وسدر.

ومنه الحديث قيمة المرء ما يحسنه

والمراد محله عند الناس، والغرض: الترغيب في إعلاء ما يكتسب من الكمالات.

(١) ابن منظور: لسان العرب: ٥١٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٨١٣.

(٣) القاموس المحيط: ٢٧٦١٣.

وشيء قيمى: نسب إلى القيمة على لفظها، لأنّه لا وصف له ينضبط، بخلاف ما له وصف ينضبط به، كالحبوب^(١).

رابعاً: الخلق:

تأتى بمعنى الخلقة التي فطرها الله سبحانه وتعالى فنقول (خَلَقَ اللهُ الشَّيْءَ خَلْقًا: أَحَدَثَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَالْخَلْقُ: يَكُونُ الْمَدَرُ وَيَكُونُ الْمَخْلُوقُ وفي الأساس: ومن المجاز: خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ: أَوْجَدَهُ عَلَى تَقْدِيرٍ أَوْجَبَتْهُ الْحِكْمَةُ)^(٢) (خلق) يأتي بمعنى آخر هو السجايا التي تصدر عن الإنسان حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية والجمع أخلاق^(٣).

المبحث الأول: أثر المنبر الحسيني في زرع الشجاعة عند الحاضرين

من الأصول الأخلاقية المهمة التي لها دور في جعل الإنسان يعيش حياة سعيدة في الدنيا والآخرة هي الشجاعة، فإن الإنسان لا يمكن أن يستمر بحياة طيبة من غير أن يمتلك هذه السجية الطيبة؛ ولذلك كان المنبر الحسيني له الدور الأكبر في تربية محبيه على امتلاك هذه الصفة من خلال عرض سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) في كل مجلس حسيني، وموقفه في حربه مع الجيش الأموي في كربلاء، ولابدّ لنا من بيان المعنى اللغوي وعلاقته بالمعنى الاصطلاحي عند علماء الأخلاق قبل البحث للعلاقة المرتبطة بينها.

أولاً: الشجاعة لغة واصطلاحاً

أما الشجاعة لغة: فقد ذكر الفراهيدي صاحب كتاب العين أن "الشجاعة والشجاع: بعض الحيات، وجمعه شُجْعَانٌ وثلاثة أشجعة، ورجل شجاعٌ وشَجَعَةٌ، وشَجَعَةٌ.. وامرأة شجاعة، ونسوة شجاعاتٌ وشجائع. وقوم شُجَعَاءٌ وشُجَعَةٌ

والشَّجَاعَة: شِدَّةُ الْقَلْبِ عِنْدَ الْبَأْسِ. تقول: تَشَجَّعُوا فَحَمَلُوا. ورجل أشجع يرجع معناه إلى الشُّجَاعِ"^(٤). وقال سيبويه "وإذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يُضافَ إليه ويكونَ من أهله فإنَّكَ تقولُ تَفَعَّلَ نحوو تَشَجَّعَ"^(٥).

(١) مجمع البحرين: ٥٦١٦.

(٢) الزبيدي: تاج العروس: ٦٢٩٤١١.

(٣) معجم الوسيط: ٥٢٥١١.

(٤) الفراهيدي: كتاب العين: ٤٧١١.

(٥) المخصص: ٢٢٥١١.

"شَجَعَ بالضم شَجَاعَةً اشْتَدَّ عِنْدَ الْبَأْسِ وَالشَّجَاعَةُ شِدَّةُ الْقَلْبِ فِي الْبَأْسِ" (١).

وقال الطريحي: "الشجاعة: شدة القلب عند البأس. وقد شجع الرجل بالضم شجاعة: قوي قلبه واستهان بالحروب جرأة وإقداماً وقوم شجعان بالضم مثل جريب وجربان" (٢).

فيفهم من المعنى اللغوي أنَّ المراد بالشجاعة هي قدر الإنسان على مواجهة الأمور العظيمة والتي تحتاج إلى قوة في القلب وقابلية في النفس تختلف عن الأشخاص الآخرين الذين لا يملكون الشجاعة، ولذلك يوصف بالجنون والهيجان الذي لا يكون في غيره فلا يكون هذا الوصف موجود عندهم.

الشجاعة اصطلاحاً

ذكر علماء الأخلاق في كتبهم الشريفة تعاريف للشجاعة كلها تشترك في تعريف واحد؛ وهي الحد الوسط بين الجبن والتهور فإنَّ الإنسان الشجاع هو الذي يتعد عن رذيلة الجبن، وعنده ملكة الشجاعة في الإتيان بالعمل الشجاع بسهولة ويسر، ولكنه لا يصل إلى حدِّ التهور، فقد قال ابن ميثم البحراني (قدس): "وأما الشجاعة فهي فضيلة القوة السبعية وهي ملكة تحصل عن اعتدال هذه القوة السبعية بحسب تصرف العقل فيما يقسطه لها وبها تصدر الأفعال المتوسطة بين أفعال الجبن والتهور" (٣)، وعبر البعض عن الشجاعة "هي الفضيلة التي تقع في الحد الوسط بين التهور والجبن"، وهذا التعريف هو ما ذكره النبي ﷺ والأئمة المعصومون (عليه السلام) فقد ورد عن النبي ﷺ: "ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم؟ قالوا بلى يا رسول الله: قال: أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط من قول لم يخرج سخطه من قول الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له بحق" (٤) فالنبي ﷺ يرى أنَّ الشجاعة لا بد أن تكون في ميزان خاص بالإنسان بحيث إذا تعرض إلى السخط أو الرضا فإنه يحافظ على توازنه لا يخرج عن حق الله سبحانه وتعالى وعلى الضوابط التي حددتها الشريعة المقدسة فيكون شجاعاً.

وقد ذكر الإمام العسكري (عليه السلام) أنَّ الزيادة عن هذا الميزان تؤدي إلى التهور، فقال: "إنَّ للشجاعة مقداراً فإن زاد عليه فهو تهور" (٥)، وقد ذكر الإمام علي (عليه السلام) شروطاً للحصول على الشجاعة فقال (عليه السلام): "جُبِلَتِ الشَّجَاعَةُ

(١) ابن منظور: لسان العرب: ١٧٣٨.

(٢) الطريحي: مجمع البحرين / ج ٢ / ص ٤٨٥.

(٣) ابن ميثم البحراني: شرح مئة كلمة لأمر المؤمنين / ف ٢٠.

(٤) ألأمدي: غرر الحكم: ٥٧٢.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٧٧١٧٨.

عَلَى ثَلَاثِ طَبَائِعَ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَضِيلَةٌ كَيْسَتْ لِأُخْرَى: السَّخَاءُ بِالنَّفْسِ وَالْأَنْفَةِ مِنَ الدُّلِّ وَطَلَبُ الذِّكْرِ، فَإِنْ تَكَامَلَتْ فِي الشُّجَاعِ كَانَ الْبَطْلُ الَّذِي لَا يُقَامُ لِسَيْلِهِ وَالْمُسُومَ بِالْإِقْدَامِ فِي عَصْرِهِ، وَإِنْ تَفَاضَلَتْ فِيهِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ كَانَتْ شَجَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ الَّذِي تَفَاضَلَتْ فِيهِ أَكْثَرَ وَأَشَدَّ إِقْدَامًا" (١).

وبهذا تكون الشجاعة من أشرف الفضائل النفسية التي يتصف بها الإنسان المؤمن والتي تجعله يواجه مصاعب الحياة بسهولة ويسر بعد أن زرعت في نفسه هذه الفضيلة المباركة وتجعله قادرًا على الجهاد في سبيل الله (سبحانه وتعالى) من غير عسر وحرَج لأنه قد امتلك هذه الصفة.

شجاعة الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه يوم عاشوراء

لم يعرف التاريخ البشري من وجوده في زمن آدم (عليه السلام) وإلى يومنا هذا مثل شجاعة الحسين (عليه السلام) وأصحابه، فهو الشجاع الذي ليس له مثل، فلقد واجهوا جيشًا في أقل الروايات مقداره ثلاثون ألفًا، مدججين بمختلف أنواع الأسلحة التي كانت الدولة الإسلامية تحارب بها الدول، وفتتح بها بلاد الكفر والشرك، وتشر الإسلام، ولكنها جاءت في كربلاء لمحاربة الحسين (عليه السلام) وأصحابه فما كان منهم إلا الوقوف بشجاعة ليس لها نظير أمام هذا العدو الكافر.

أبرز مظاهر الشجاعة الكربلائية التي تُذكر على المنبر

أولاً: شجاعة الإمام الحسين (عليه السلام)

إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) تورث الشجاعة من أبيه الإمام علي (عليه السلام) لأنَّ الإمام (عليه السلام) كان من أشجع الناس في هذه الدنيا وكان العرب كلها تخاف منه، وكان يقال عن "أمير المؤمنين (عليه السلام) أشجع الناس وأعظمهم" (٢) وقد أعطاه الله (سبحانه وتعالى) هذه الصفة والمنقبة العالية كما قال رسوله ﷺ حينما سأل الله سبحانه وتعالى فقال: "إلهي وسيدي إنك أرسلت موسى إلى فرعون فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيراً يشد به عضده، ويصدق به قوله، وإنني أسألك يا إلهي وسيدي أن تجعل لي من أهلي وزيراً تشد به عضدي، فأجعل لي علياً وزيراً وأخاً، واجعل الشجاعة في قلبه، وألبسهُ الهيبة على عدوه، وهو أوَّل مَنْ آمَنَ بي وصدقني، وأوَّل مَنْ وَحَدَ الله معي، وإنني سألت ذلك رَبِّي عزَّ وجلَّ فأعطانيه، فهو سيِّد الأوصياء، اللُّحُوق به سعادة، والمَوْتُ في طاعته شهادة" (٣) وقد كان الإمام (عليه السلام) يقاتل بكربلاء كقتال أبيه (عليه السلام) في بدر وأحد، حتى إنَّه طلب البراز فلم يتقدم إليه أحد حتى

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٧٧\٧٨

(٢) المصدر السابق نفسه: ٩٨\٤٠

(٣) موسوعة الإمام علي (عليه السلام): ١١٩.

قتله فقد نقل السيد ابن طاووس في اللهوف " ثم إنَّ الحسين عليه السلام دعا الناس إلى البراز، فلم يزل يقتل كل من برز إليه، حتى قتل مقتلة عظيمة، وهو في ذلك يقول: القتل أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار قال بعض الرواة:

والله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، وإنَّ الرجال كانت لتشد عليه فيشد عليهم بسيفه فتكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدَّ فيها الذئب، كان يحمل فيهم، وقد تكملوا ثلاثين ألفاً، فينهمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال الراوي ولم يزل عليه السلام يقاتلهم حتى حالوا بينه وبين رحله»^(١).

وتبيّن هذه الرواية شجاعة الإمام الحسين عليه السلام أمام أعدائه مما جعلهم يهربون عن مقابلتهم وتقرأ هذه الرواية في مقتل الحسين عليه السلام في كل عام في يوم العاشر من محرم مما يجعل المستمع يستلهم منه عليه السلام الشجاعة والبطولة في مواجهة أعداء الدين والإسلام وأنَّ نعيم الأبد يكون مع التضحية والفداء في سبيل الله سبحانه وتعالى، وترك الخضوع والذل والعيش مع الطغاة والفرار منهم فرار العبيد وقد قال عليه السلام: "ألا وإنَّ الدَّعيَّ بن الدَّعيِّ قد ركَّز بين اثنتين: بين السِّلَّة والذِّلَّة وهيَّات منَّا الذِّلَّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله، وحجور طابت وجدودٌ طهرت، وأنوفٌ حميَّة ونفوسٌ أبيَّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام"^(٢) وقد أثرت هذه الكلمات في نفوس المؤمنين في مشارق الأرض واتخذ كلامه شعاراً لكل الأحرار في هذا العالم، فكانت الثورات التي ترفع شعار هيَّات منَّا الذِّلَّة فيتقدمون للقتال في سبيل نصرته الدين من دون خوف أو وجل لأنَّهم تعلَّموا الشجاعة من معلِّمهم الإمام الحسين عليه السلام فكان درسه من أروع الدروس في الشجاعة التي تنتهي ببذل النفس والمهج في سبيل الله (سبحانه وتعالى) وقد أثر المنبر الحسيني تأثيراً مباشراً في نفوس الجالسين بعد سماع كلمات الإمام الحسين عليه السلام وهو يقف بوجه الظالمين.

ثانياً: شجاعة أبي الفضل العباس عليه السلام

عندما يجلس الناس لسماع حادثة عاشوراء فإنَّ الخطيب الحسيني يمر بذكرى أبي الفضل العباس عليه السلام في الليلة السابعة من المحرم خاصة فيذكر لهم ما تميزت به صفات أبي الفضل العباس عليه السلام وفي اليوم العاشر منه حيث يصيب الإنسان المؤمن الابتهاج والافتخار ببطولة أبي الفضل عليه السلام كلما سمع قصَّته وحادثة مقتله وكل ما جرى عليه في كربلاء فلقد "ذهب العباس إلى القوم ووعظهم وحذَّره غضب الجبار، فلم ينفع، فرجع

(١) السيد ابن طاووس: اللهوف على قتل الطفوف: ٩٧.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٩٧.

إلى أخيه وأخبره، فسمع الأطفال يتصارخون من العطش، فنهضت (بساقي العطاشي) غيرته الشّماء، وأخذ القربة، وركب فرسه، وقصد الفرات، فلم يرعه الجمع المتكاثر، وكشفهم شبل علي عن الماء، وملك الشريعة، ومذ أحسّ برده تذكّر عطش الحسين، فرأى من واجبه ترك الشرب؛ لأنّ الإمام ومن معه أضّرّ بهم العطش، فرمى الماء من يده وأسرع بالقربة متوجّهاً إلى معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أو تكوني

هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تالله ما هذا فعال ديني

فتكاثروا عليه وقطعوا طريقه، فلم يبال بهم، وجعل يضرب فيهم بسيفه ويقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا ... حتى أوارى في المصاليات لقي

إنّي أنا العباس أغدو بالسقا ... ولا أخاف الشر يوم الملتقى

فكمن له زيد بن الرقاد الجهني، وعاونه حكيم بن الطفيل السنبيسي، فضربه على يمينه فقطعها، فأخذ السيف بشماله وجعل يضرب فيهم ويقول:

والله إن قطعتم يميني إنّي أحامي أبداً عند ديني^(١)

فأخذ يقاتلهم وهو في تلك الحالة من العطش وهو مقطوع اليدين حتى استشهد على نهر العلقمي.

ثالثاً: شجاعة علي الأكبر (عليه السلام)

عندما يذكر الخطيب الحسيني علي الأكبر (عليه السلام) فإنّه يزرع في نفوس الشباب القدوة الحسنة في الشجاعة وترك الدنيا والتوجّه إلى الآخرة لأنّ عليّاً الأكبر (عليه السلام) في يوم عاشوراء - وهو الشاب في عز شبابه - أظهر هذه الشجاعة التي تعجب بها الأعداء ولم يبال بكثرتهم.

فقد تقدّم عليّ الأكبر (عليه السلام) للقتال بشجاعة أبيه (عليه السلام)، وقد ملأ قلوبهم خوفاً ورعباً، وأبدى من البسالة والشجاعة ما يقصر عنه كلّ وصف، فقد ذكّروهم بطولات جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي قتل أبطال الكفر والمشركين، وقد قتل عليّ الأكبر (عليه السلام) مائة وعشرين فارساً سوى المجروحين، وألحّ عليه العطش وأضرب به، فقفل راجعاً إلى أبيه يشكو ظمأه القاتل قائلاً: يا أبت، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إليّ شربة ماء من سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ فقال له الإمام الحسين (عليه السلام) بصوت خافت، وعيناه تفيضان دموعاً: واغوثاه ما أسرع الملتقى بجدّك فيسقيك بكأسه شربة لا تظمأ بعدها أبداً، وقد وضع لسانه على لسانه ليريه شدّة عطشه

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٤٢، وينظر: مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٧٩، ونبايع المودة لذوي القربى للقندوزي ٣: ٦٧.

فكان كشقة مبرد من شدة العطش، لقد كان هذا المنظر الرهيب لعلّي الأكبر من أفجع وأقسى ما رزئ به أبو الأحرار، فقد رأى ولده الذي هو من أنبل وأشرف ما خلق الله، وهو في غضارة العمر وريعان الشباب قد أشرف على الهلاك من شدة العطش، وهو لم يستطع أن يسعفه بجرعة ماء ليروي عطشه^(١).

الأثر الثاني: الغيرة والدفاع عن العرض والشرف

من الآثار الطيبة والقيم العالية التي يرسخها المنبر الحسيني في نفوس مستمعيه والجالسين تحته هي الغيرة والحماسة والدفاع عن الناموس والمقدسات الإسلامية عن التعرض لها وهتكها، فكانت هذه السجية الطيبة جليلة في يوم عاشوراء عند الحسين (عليه السلام) وعند أصحابه وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، وقد تمثلت أيضا بأبي الفضل العباس (عليه السلام) فقد كان المصدق الحي للغيرة على دينه وأهله وعرضه، وقبل البحث في الغيرة الكربلائية لأبد لنا من معرفة الغيرة في اللغة والاصطلاح حتى يمكن فهم المعنيين بصورة صحيحة.

أولاً: الغيرة لغة:

القاموس المحيط: "الغَيْرُ كَعَنْبٍ. وغَارَ على امرأته، وهي عليه تَغَارُ غَيْرَةً وَغَيْرًا وَغَارًا وَغِيَارًا، فهو غَيْرَانٌ من غِيَارَى وَغِيَارَى، وَغِيُورٌ من غُيْرٍ، بضمين، وَغِيَارٌ من مَغَايِرٍ، وهي غَيْرَى من غِيَارَى، وَغِيُورٌ من غُيْرٍ"^(٢). وقال: "أبو عبيد عن الأصمعي: فلان شديد الغار على أهله، من الغيرة"^(٣) وقال الزبيدي: "رَجُلًا شَدِيدُ الْغَيْرَةِ على امرأته فهو يَبْعُدُ بها إِذَا نَزَلَ الْحَيُّ قَرِيبًا مِنْ نَاحِيَتِهِ"^(٤)

من هذا الباب الْغَيْرَةُ: "غَيْرَةُ الرَّجُلِ على أهله. تقول: غَرْتُ على أهلي غَيْرَةً. وهذا عندنا من الباب؛ لأنّها صلاح ومنفعة"^(٥).

فيفهم من المعنى اللغوي أنّ المراد من الغيرة هي الملكة النفسانية والسجية الخلقية التي تجعل الإنسان المؤمن أن يتهم بعرضه وشرفه ومقدساته ولذلك كان موضع الدم من قبل العرب والمسلمين كل من لا يهتم بعرضه وشرفه.

الغيرة اصطلاحاً:

"الغيرة: هي السعي في المحافظة على الدين والنساء، والأولاد، والأموال وهي نتائج الشجاعة وكبر

(١) ينظر: الشيخ جواد محدثي: موسوعة عاشوراء: ٤٧٨/١، والحر العاملي: أعيان الشيعة: ٢٠٦/٨.

(٢) القاموس المحيط: ٤٨٠/١.

(٣) تهذيب اللغة: ٩٥/٣.

(٤) الزبيدي: تاج العروس: ١٩٥٢/١.

(٥) ابن فارس: مقاييس اللغة: ٣٣٥/٤.

النفس وقوتها: فعلى قدر الحمية تكون الشجاعة وثمرتها الشجاعة الغيرة".^(١) وأن "الغيرة هي إحدى الأخلاق الحميدة والملكات الفاضلة وهي تغير الإنسان عن حاله المعتاد، ونزوعه إلى الدفاع والانتقام عند تعدّي الغير إلى بعض ما يحترمه لنفسه من دين أو عرض أو جاه ويعتقد كرامته عليه، وهذه الصفة الغريزية لا يخلو عنها في الجملة إنسان، أي إنسان فرض، فهي من فطريات الإنسان، والإسلام دين مبني على الفطرة تؤخذ فيه الأمور التي تقضي بها فطرة الإنسان فتعدل بقصرها فيما هو صلاح الإنسان في حياته"^(٢) روى الطبرسي عن اسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن الأول: للرجل تكون الجارية أو الجوّاري أو المرأة، قال: يقفل عليها الأبواب ويشدد عليهن غيرةً منه، قال: قال رسول الله ﷺ: كان إبراهيم عليه السلام غيوراً وأنا أغير منه، وجدع الله أنف من لا يغار من المؤمنين".^(٣)

ويقول أبو يحيى المازني كنتُ جوار أمير المؤمنين عليه السلام مدةً مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فوالله ما رأيتُ لها شخصاً، ولا سمعتُ لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله ﷺ تخرج ليلاً والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ ضوء القناديل. فسأله الحسن مرّة عن ذلك فقال: أخشى أن ينظر أحدٌ إلى شخص أختك زينب"^(٤).

وقد وردت الغيرة أحاديث عديدة عن أهل البيت عليه السلام منها:

١ - ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "إِنَّ اللَّهَ غَيُورٌ يُحِبُّ كُلَّ غَيُورٍ وَلِغَيْرَتِهِ حَرَمَ الْفَوَاحِشَ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا"^(٥).

٢ - ونقرأ في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "إِذَا لَمْ يَغُرِّ الرَّجُلُ فَهُوَ مَنْكُوسُ الْقَلْبِ"^(٦) قال العلامة المجلسي (قدّس سره) إنّ المراد بالقلب المنكوس هنا هو التشبيه بالإناء المقلوب الذي لا يبقى فيه شيء من الطعام أو الماء، فالحديث الشريف يقرّر أنّ قلب مثل هؤلاء الأشخاص الفاقدين للغيرة خال من الصفات

(١) عباس القمي: خمسون درساً في الأخلاق: ٨.

(٢) الطباطبائي: تفسير الميزان ٢٥/٤.

(٣) الطبرسي: مشكاة الأنوار: ٢٣٩.

(٤) وفيات الأئمة - من علماء البحرين والقطيف - ص ٤٣٦.

(٥) فروع الكافي، ٥/٥٣٦.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار: ١٣٨١/٤٥.

الأخلاقية السامية وفارغ من المثل الرفيعة"^(١)

ولقد ظهرت آثار الغيرة في نفوس الشيعة فيمنعون النساء من الخروج خارج البيت فهذا زكريا القزويني يقول عن أهل المدائن: "أهلها فلاحون، شيعة، إمامية، ومن عاداتهم: أن نساءهم لا يخرجون نهائراً أصلاً"^(٢). وقد شوهدت هذه الغيرة وهذه الحمية من الإمام الحسين (عليه السلام) وأنصاره في ساحة القتال يوم العاشر من محرم، وقد استسقى هذه السجدة من أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذلك زينب (عليها السلام) ومعها بطلات كربلاء قد تمسكن بالحجاب والعفاف مقابل القلوب المريضة. ومع أن بنات الرسالة أخذن سبايا، وقد نهبت خيامهن وأصبحن عرضة لأنظار المتفرجين ولكنهن استنكرن ذلك الوضع وكنَّ يحرصن على الحجاب والعفة. فأم كلثوم صاحت بمن اجتمع للتفرج عليهم بالكوفة: تَبَّاً لَكُمْ كيف تحملكم الغيرة على التفرج على أهل البيت؟

وحين حبسوه في دار بالكوفة لم تأذن زينب سوى للجواري بمشاهدتهن، وفي قصر يزيد استنكرت عليه عمله قائلة: "أَمِنَ الْعَدْلُ يَا ابْنَ الطُّلَقَاءِ تَحْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَإِمَاءَكَ وَسَوْقَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ص سَبَايَا؟! قَدْ هَتَكَتِ سُتُورَهُنَّ وَأَبْدَيْتِ وُجُوهَهُنَّ، تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاهِلِ وَالْمَنَاقِلِ وَيَتَصَفَّحْنَ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَالِدَنِّي وَالشَّرِيفُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَبِيٍّ وَلَا مِنْ عُمَّاتِهِنَّ حِمِيٍّ وَكَيْفَ يُرْتَجَى مُرَاقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فُوهَ أَكْبَادَ الْأَرْكَبَاءِ وَنَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ وَكَيْفَ يَسْتَبْطِئُ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالشَّنَفِ وَالشَّنَانِ وَالْإِحْنِ وَالْأَضْغَانِ، ثُمَّ تَقُولُ غَيْرَ مُتَأَنِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ: أَهْلُوهَا وَاسْتَهْلُوهَا فَرَحاً* ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلْ.

مُنْتَحِيّاً عَلَى ثَنَائِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟! تَنْكُتُهَا بِمُخَصَّرَتِكَ وَكَيْفَ لَا تَقُولُ ذَلِكَ وَقَدْ نَكَاتِ الْقَرْحَةَ وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةَ"^(٣).

وهناك أمثلة أخرى للأحاديث والمواقف المليئة بدروس العفة والدفاع عن القيم. فكانت زينب (عليها السلام) هي القدوة التي استلهمت منها النساء الشيعيات العفة والغيرة والعرض والشرف بعد أن سمعن في المجالس ما قامت به زينب (عليها السلام) من الحفاظ على الغيرة والعرض والشرف.

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ١٣٨/٤٥.

(٢) الشيخ جواد محدثي، موسوعة عاشوراء: ٣٨٠/١.

(٣) بحار الأنوار / ج ٤٥ / ص ١٣٤

غيرة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

لقد كانت الغيرة الحسينية، يوم عاشوراء على الأهل، والعيال في يوم عاشوراء قد أذهلت الأعداء والمقاتلين له وكانت درساً لكل من سمع بغيرة الحسين عليه السلام وكل من حضر مجلس الحسين عليه السلام يشعر بالخجل والتصاغر أمام الغيرة الحسينية، فالإمام عليه السلام في الوقت الذي يعاني من الجراح وضرب السيوف وطعنات الرماح يقول: "اقصدوني بنفسي واتركوا حرمي"^(١). حتى وصل الأمر إلى أنه صب الماء الذي في كفه، وقد أدناه إلى فمه وهو مقطوع الكبد والفؤاد من الظمأ والإعياء، لما سمع قول القائل: إنه قد هتكت خيمة حرمك. فترك الماء ويتوجه نحو المخيم ليحمي عياله وهو عطشان فلم يشرب الماء، ... وعندما سقط على الأرض وقد أثختته الجراح فرفع رأسه وبصره وإذا بأجلاف القوم زاحفون من سفح التلال نحو مخيمه للسلب والنهب، فأثارت الغيرة في حسين المجد روحاً جديدة، فنهض زاحفاً على ركبتيه قائلاً: "يا شيعة آل أبي سفيان: إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وراجعوا أحسابكم وأنسابكم إن كنتم عرباً"^(٢).

ثالثاً: الكرم والسخاء والزهد في الدنيا

الكرم: لغة: "شرف الرجل. رجل كريم وقوم كرم وكرام، نحو أديم وأدم، وعمود وعمد، وكثر ما يجيء فعل في جمع فاعيل وفعلول"^(٣).

الكريم: الصَّفْوَحُ. والحَسَنُ أيضاً، من قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَقُلْ لَهَا قَوْلًا كَرِيمًا) والشَّرِيفُ أيضاً، من قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا) أي شَرِيفًا فَاضِلًا.

وَتَكْرَمَ الرَّجُلُ: تَنَزَّهَ عَنْ أَشْيَاءَ أَكْرَمَ نَفْسَهُ عَنْهَا وَرَفَعَهَا"^(٤).

الكرم اصطلاحاً: "ضد البخل، وهو: بذل المال أو الطعام أو أي نفع مشروع، عن طيب نفس.

وهو من أشرف السجايا، وأعز المواهب، وأخلد المآثر. وناهيك في فضله أن كل نفيس جليل يوصف بالكرم، ويُعزى إليه"^(٥).

لذلك أشاد أهل البيت عليه السلام بالكرم والكرماء، ونوّهوا عنهما أبلغ تنويه:

(١) نهضة الإمام الحسين عليه السلام: ١٣.

(٢) نهضة الإمام الحسين عليه السلام: ١٣.

(٣) الفراهيدي: كتاب العين: ٤٤٣١١.

(٤) المحيط في اللغة: ٥٠١٢.

(٥) السيد مهدي الصدر: أخلاق أهل البيت عليه السلام: ١٣.

قال الباقر (عليه السلام): "شاب سخيّ مرهق في الذنوب، أحبّ الى الله من شيخ عابد بخيل" (١).
وقال الصادق (عليه السلام): "أتى رجل النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أيّ الناس أفضلهم إيماناً؟ فقال: أبسطهم كفاً" (٢).

وعن جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "السخيّ قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار" (٣).
وقال الباقر (عليه السلام): "أنفق وأيقن بالخلف من الله، فإنّه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقة فيما يرضي الله، الا أنفق أضعافها فيما يُسخط الله" (٤).

محاسن الكرم:

لا يسعد المجتمع، ولا يتذوق حلاوة الطمأنينة والسلام، ومفاهيم الدّعة والرخاء، إلا باستشعار أفرادهِ روح التعاطف والتراحم، وتجاوبهم في المشاعر والأحاسيس، في سراء الحياة وضرّائها، وبذلك يغدو المجتمع كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً.
وللتعاطف صور زاهرة، تشعّ بالجمال والروعة والبهاء، ولا ريب أن أسماها شأنًا، وأكثرها جمالاً وجلالاً، وأخلدها ذكراً (٥).

بواعث الكرم في المجلس الحسيني

١ - كرم الإمام الحسين (عليه السلام) في حياته

من الأمور التي تبعث بالإنسان الذي يحضر مجلس الحسين (عليه السلام) وأن تكون عنده ملكة الكرم وحب البذل في سبيل هو الاقتداء بالإمام الحسين (عليه السلام) فهو قدم كل ما يملك في سبيل الله في يوم عاشوراء وفي طيلة حياته فإنّ سيرة الإمام (عليه السلام) تدل على أنّه كان سخيّاً كريماً ومن يحبه ويطيعه ويريد أن يكون معه في الجنان أن يلتزم بسيرة الإمام (عليه السلام) فلقد دخل المسجد إعرابي: " فوجده مصلياً فوقف بإزائه وأنشأ:

لم يخب الآن من رجاك ومن حرك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقة

(١) الوافي: ٦٨١٦.

(٢) المصدر نفسه: ٦٧١٦.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ١٥١٣.

(٤) الوافي: ٦٨١٦.

(٥) السيد مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت (عليهم السلام): ٤٩.

لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقة

قال: فسلم الحسين عليه السلام وقال: يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار، فقال: هاتها قد جاء من هو أحق بها منّا، ثم نزع بردته ولف الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياء من الاعرابي، وأنشأ:

خذها فإنّي إليك معتذر واعلم بأنّي عليك ذو شفقة

لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سنانا عليك مندفقة

لكن ريب الزمان ذو غير والكف منّي قليلة النفقة

قال: فأخذها الاعرابي وبكى، فقال: لعلك استقلت ما أعطيناك، قال: لا ولكن كيف يأكل التراب جودك^(١) فإنّ حياة الإمام عليه السلام كانت خير وبركة على الناس ومساعدتهم ورفع العوز عنهم مع التواضع والحرص على عدم شعورهم بالنقص وأن لا تظهر عليهم علامات العوز والحاجة فيقدم لهم وهو معتذر منهم مع أنّه يعطي كل ما عنده فتقرأ هذه الروايات على المستمعين الجالسين حول المنبر الحسيني فتؤثر في قلوبهم.

٢- كرم وبذل الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

بذل الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء كل ما يملك في سبيل الله والحصول على رضا الله فقدم الأولاد واحداً بعد الآخر حتى الرضيع وعمره ستة أشهر ثم بذل كل ما يملك من وسائل المعيشة فقدم بيته فقد "حرق بعض خيامه حين حياته وأرادوا حرقها مع من فيها وحرقوها بعد قتله"^(٢) ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام قدم كلّ ما يحمله حتى قميصه الخلق الذي يلبسه فقد نزع منه وسلب منه "فعندما قتل الحسين عليه السلام أخذ عمر بن سعد درعه البتراء وأخذ إسحاق بن حوية الحضرمي قميصه وأخذ الأحنس بن مرثد الحضرمي عمامته وأخذ أبجر بن كعب التميمي سراويله وأخذ قيس بن الأشعث الكندي قطيفته وكانت من خز وأخذ جعونة بن حوية ثوبه الخلق الذي جعله تحت ثيابه"^(٣) وأمّا هذه التضحيات يشعر المؤمن بالخلجل بما يقدمه في خدمة الإمام الحسين عليه السلام من البذل بما يملكه من مال في خدمة هذا الإمام عليه السلام.

(١) الشيخ عبد الله البحراني: عوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣١.

(٢) التستري: الخصائص الحسينية: ٥٣.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٥٤.

ثالثاً: استضافة المعزين

من الأمور التي شجعت المؤمنين على البذل في سبيل الله هو المجلس الحسيني الذي يتضمن دعوة الناس إلى الضيافة وتقديم ما يلزم من استقبال المعزين من طعام وشراب وخدمات أخرى والتي لا يستطيع أن يقدمها البخيل لشخص واحد لشدة حبه وحرصه على المال وعدم إنفاقه، بينما نجد أن صاحب المجلس يبذل لعشرات أو لمئات من الناس من دون مقابل وهو فرح بذلك، ولذلك تعجب الشرق والغرب بما يبذل للإمام الحسين عليه السلام وعلى مدار السنة.

رابعاً: الصبر وتحمل المصائب والمحن

الصبر: لغة "الصَّبْرُ: نقيض الجَزَع" ^(١) "حَسِبَ النَّفْسَ عَنِ الْجَزَعِ وَقَدْ صَبَرَ فَلَانٌ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ يَصْبِرُ صَبْرًا. وَصَبْرُهُ أَنَا: حَبْسُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) قَالَ عَنْتَرَةُ يَذْكُرُ حَرْبًا كَانَ فِيهَا: فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لَذَلِكَ حُرَّةً... تَرِيو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ يقول: حَبَسْتُ نَفْسًا صَابِرَةً. وَصَبَرْتُ الرَّجُلَ، إِذَا حَلَفْتُهُ صَبْرًا أَوْ قَتَلْتُهُ صَبْرًا. يُقَالُ: قُتِلَ فَلَانٌ صَبْرًا وَحَلَفَ صَبْرًا، إِذَا حُسِبَ عَنِ الْقَتْلِ" ^(٢).

الصَّبْرُ: اصطلاحاً:

فالصبر يعني: تغليب جيش العقل على جيش الشهوة اللذين هم مصطفقان للقتال في نفس المؤمن، فمن الطبيعي أن يكون الصبر هو رأس الإيمان. وأن يصبر الإنسان على المصيبة: وهو حفظ الهدوء في الله تعالى، وألا يرتكب المحرمات بسبب مصيبيته ولا بد له من سلوك طريق العلاج في المصائب الإلهية بقدر ما يسر الله له من العلاج. فهذا كله لا ينافي الصبر في مقابل المصيبة بمعنى حفظ التوازن وعدم الخروج على الله بالجزع والشكوى إلى غير الله وإن كان هو يحزن في ذاته ويتألم ويكي للمصيبة كما حصل مع يعقوب عليه السلام ^(٣).

عن جابر عن الباقر عليه السلام: "قال: "لَمَّا تَوَفَّى الطاهر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة عن البكاء، فقالت: بلى يا رسول الله، ولكن درت عليه الدريرة فبكيت، فقال: أما ترضين تجديه قائماً لك على باب الجنة فإذا رآك

(١) الفراهيدي: العين: ٣٦١٢.

(٢) الصحاح في اللغة: ٣٨٧١١.

(٣) السيد كاظم الحائري: تزكية النفس: ٣١٥.

أخذ بيدك فأدخلك الجنة أطهرها مكاناً وأطيبها، قالت: فإنَّ ذلك كذلك، قال ﷺ: الله أعز وأكرم من أن يسلب عبداً ثمرة فؤاده فيصبر ويحتسب ويحمد الله ثم يعذبه^(١).

صبر الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء
أولاً: الصبر على فراق الوطن والأهل

تحمل الإمام الحسين (عليه السلام) في سبيل الدين، ورفع شعار الإسلام، وبقاء الشريعة الإسلامية إلى هذا اليوم، الغربية والبعد عن الوطن، وترك المكان الذي عاش فيه، فهو ترك مدينة رسول الله ﷺ وجاء إلى كربلاء التي هي بعيدة عن وطنه وبلده، واستشهد غريباً بعيداً عن مدينة جده رسول الله ﷺ محتسباً لله سبحانه وتعالى.

ثانياً: الصبر على شهادة ابنه علي الأكبر (عليه السلام):

فقد رأى بعينه علي الأكبر يقطع بالسيوف إرباً إرباً وهو يستغيث من شربة ماء، ولا يوجد عند الإمام الحسين (عليه السلام) حتى يعطيه فما كان من الإمام (عليه السلام) إلا الصبر على هذه المصيبة في سبيل الدين والإسلام^(٢)
ثالثاً: الصبر على مصيبة الطفل الرضيع :

صبر الإمام الحسين (عليه السلام) على ما جرى على الطفل الرضيع من مصيبة عندما عبد الله الرضيع في حضن ولده وهو يطلب الماء له وقد تفتّر قلبه من العطش، ولكن الأعداء لم يراعوا ذلك، وذبحوه من الوريد إلى الوريد، فأخذ الإمام (عليه السلام) من دمه الشريف وقال: لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، ثم أخذه فدفنه وهو يحتسب به الأجر عند الله سبحانه وتعالى^(٣).

رابعاً: الصبر طعن الرماح وضرب السيوف

صبر الإمام الحسين (عليه السلام) على ما جرى عليه من القتال فقد تحمل عليه الأعداء لأنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) أخذ يقاتل الأعداء فقتل منهم مقتلة عظيمة "فقال عمر بن سعد لقومه: الويل لكم، أتدرون من تبارزون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب، فحملوا بالطعن مائة وثمانين وأربعة آلاف بالسهم.

وقال الباقر (عليه السلام): "أصيب (عليه السلام) ووجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم. وروى: ثلاثمائة وستون جراحة، وقيل ثلاثاً وثلاثين ضربة سوى السهام. وقيل: الف وتسعمائة جراحة، وكانت

(١) جامع الأخبار: ١٢١٥.

(٢) ينظر: الشيخ عبد البحراني: عوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ١٦٩١٢.

(٣) ينظر: عبد الحسين شرف الدين، المأتم الحسيني: ٧١٦.

السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ"^(١).

وأمام هذا الصبر العظيم يشعر المؤمن بأنَّ عليه أن يقتدي بالإمام (عليه السلام) فتكون عنده ملكة الصبر فيصبر على ما يصيبه في هذه الدنيا حتى يحصل على الجزاء العظيم يوم القيامة.

الخاتمة

إنَّ ما حصل في كربلاء هو أعظم الدروس الأخلاقية التي تكون محل تأمل ونظر واستفادة منها على مر الدهور وإلى يوم القيامة.

وإنَّ شجاعة الحسين (عليه السلام) هي المقياس والميزان الذي يجعله الإنسان قدوة له في حياته حتى يعيش شجاعاً في حياته ويتعد عن الجبن والخوف.

وإنَّ السخاء الحسيني والكرم الذي قدّمه الإمام الحسين (عليه السلام) ليس له مثيل في الدنيا، فهو قدّم كلّ ما يملك من الممتلكات المادّية التي يحتاجها الإنسان في حياته ثم ترك الدنيا ولم يعطى شربة ماء منها.

إنَّ الغيرة من الصفات الأخلاقية الطيبة التي حثَّ الإسلام عليها، ولكن الذي بيّن مصداق ذلك وأكّده في قلوب المؤمنين هو الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام).

وإنَّ صبر الإمام الحسين (عليه السلام) لا يمكن أن يتحمّله شخص في مشارق الأرض ومغاربها؛ ولذلك فهو رحمة الله الواسعة التي تمثّلت به في الأرض، فصبر على كلّ المصائب حتى يكون قدوة للمؤمنين في هذه الدنيا فيتحمّلون أي مصيبة ويصبرون عليها لتكون الجنة لهم نعيماً.

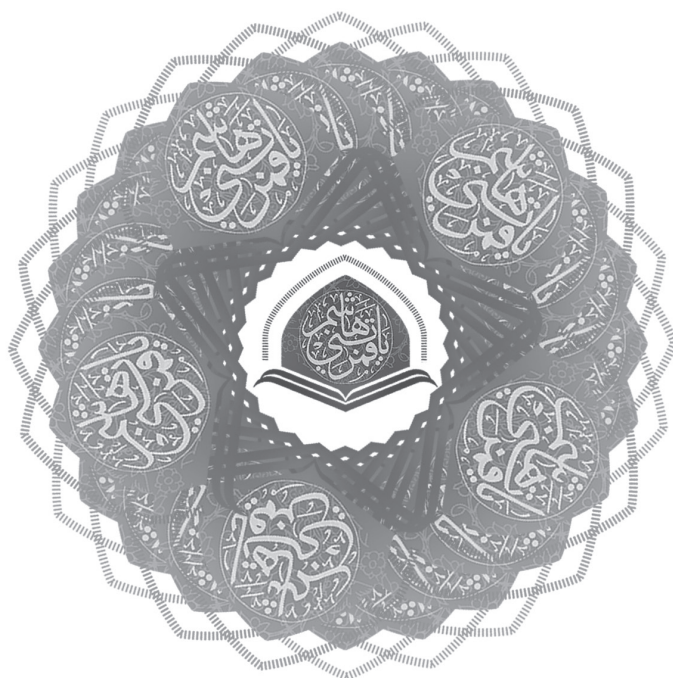
(١) الطبري: مقتل أبي مخنف الطبري: ١٤٦١.

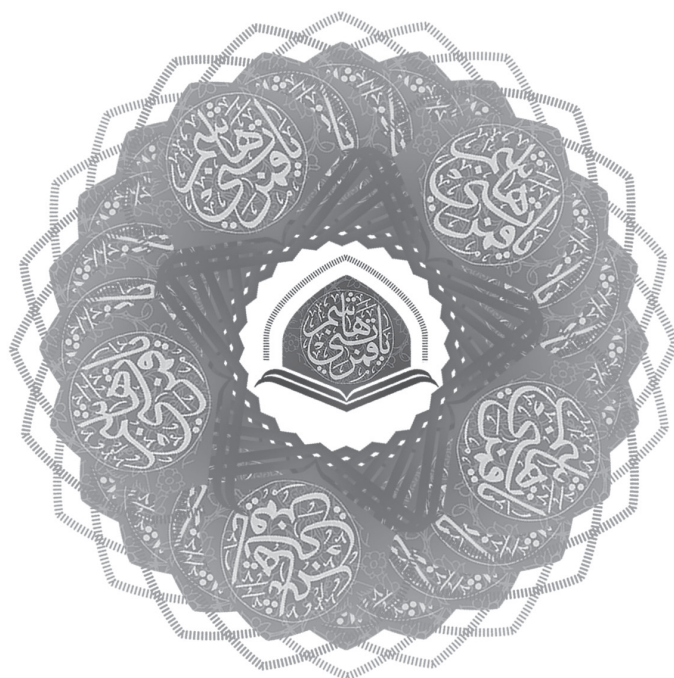
المصادر والمراجع

- ١- الأزهرى: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة (٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١ - ٢٠٠١ م.
- ٢- المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ) بحار الأنوار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، ومحمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط ٢ - ١٤٠٣هـ.
- ٣- الزبيدي: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
- ٤- الطباطبائي: محمد حسين، (ت ١٤٠٢هـ) الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران - ايران، ط ٢ - ١٣٩٣هـ.
- ٥- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم - ١٢٧ ايران، ط ١ - ١٣٧٩هـ.
- ٦- فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ): مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط ٢ - ١٤٠٨هـ.
- ٧- ابن فارس: أبي الحسن أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة: المحقق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ط ١٤٢٣ - ٢٠٠٣ م.
- ٨- الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ): تاج اللغة وصحاح العربية، المشهور (بالصحاح) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.
- ٩- عبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ): العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة الأولى المحققة - ١٤٠٧هـ.
- ١٠- الفيروز آبادي: أبو الطاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ١٤١٥هـ) القاموس المحيط، د ٠ مط، د ٠ ت.
- ١١- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت - لبنان.
- ١٢- المعجم الوسيط، المؤلف: معجم اللغة العربية بالقاهرة، ط ٥ - ٢٠١١ م، الناشر: مكتبة الشروق، القاهرة - مصر.
- ١٣- ابن سيده: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ) دار الكتب العلمية، تحقيق: د، عبد

الحميد أحمد يوسف هنداي .

- ١٤ - ابن منظور، لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه، د: خالد رشيد القاضي، دار صبح .
- ١٥ - ابن ميثم، كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٣٦ هـ) .
- ١٦ - الشيخ علي عاشوار، موسوعة الإمام علي (عليه السلام)، دار نظير عبود، بيروت - لبنان، ط ١ - ١٤٢٨ هـ.
- ١٧ - الأمدي، عبدالواحد بن عبد الوليد، (ت ٥٥٠ هـ) غرر الحكم ودرر الكلم، دار القاري، بيروت - لبنان، د، ت .
- ١٨ - السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، اللهوف على قتلى الطفوف، أنوار الهدى، قم - إيران، ط ١٤١٧ هـ.
- ١٩ - أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، مكتبة الألفين، ط ٢ - ١٩٨٧ م، الكويت .
- ٢٠ - القندوزي (ت ١٢٩٤ هـ) تحقيق: سيد علي جمال أشرف، ط ١ - ١٤١٦ هـ، دار إسوة للطباعة والنشر .
- ٢١ - جواد المحدثي، موسوعة عاشوراء، دار المحجة البيضاء، ط ١ - ١٩٩٧ م .
- ٢٢ - السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١)، أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج حسن الأمين، د، ت .
- ٢٣ - الشيخ عباس القمي، خمسون درساً في الأخلاق، تحقيق: نزار الحسن، مكتبة الأمين .
- ٢٤ - علي الطبرسي، مشكاة الأنوار، تحقيق، مهدي هوشمند، ط ١ - ١٤١٨ هـ .
- ٢٥ - جعفر النقدي، زينب الكبرى، منشورات مكتبة المفيد .
- ٢٦ - صاحب بن عباد الطالقاني، المحيط في اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- ٢٧ - الشيخ جعفر التستري، الخصائص الحسينية، انتشارات الشريف الرضي، قم - إيران، د، ت .
- ٢٨ - السيد مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، الناشر، مؤسسة الكتاب الإسلامي .
- ٢٩ - السيد كاظم الحسيني الحائري، تزكية النفس، الناشر: دار البشير، ط ٥ - ١٤٣٠ هـ .
- ٣٠ - جامع الأخبار والأثار عن النبي (صلى الله عليه وآله)، تأليف: السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي الأصفهاني، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي، ط ١ - ٢٠١٦ م .
- ٣١ - المأتم الحسيني مشروعيته وأسراره، السيد عبد الحسين شرف الدين، تحقيق: فارس الحسون، مركز الأبحاث العقائدية .





الإصلاح في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) بين النظرية والتطبيق

حوراء كريم سلمان

الخطاب الحسيني كان يحمل -ولا يزال- أفكاراً وأبعاداً إصلاحية متعدّدة ومتجذرة في أعماقه وجزيئاته، متمثلة في الأبعاد السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها من مجالات الحياة المختلفة، وهذا ما يتوافق مع غاية الإمام الحسين (عليه السلام) وهدفه الأساس وهو إصلاح أمة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله).

التمهيد

أولاً: الإصلاح مفهومه وأسس الحسينية:

الإصلاح في اللغة: "يدل على خلاف الفساد. يُقال: صلح الشيء يصلح صلاحاً^(١)، فإصلاح الشيء إزالة عنه ما يفسده^(٢)."

وورد الإصلاح في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَأَكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)^(٣)، وأيضاً قوله: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَكَاتِلُوا النَّبِیَّ تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)^(٤)، وقوله: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)^(٥). وفي قوله تعالى: (وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)^(٦). وقد تضمنت كثيراً من الآيات القرآنية على براهين وأدلة مختلفة وضحت أن منهج الإصلاح هو المهمة العظمى للرسل والدعاة بالإصلاح في جوانب الحياة جميعها، ومثل ذلك ما جاء

(١) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٣٠٣.

(٢) ظ: معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط ١، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٢/ ١٣١١.

(٣) سورة هود: آية ٨٨.

(٤) سورة الحج: آية ٩.

(٥) سورة الأنفال: آية ١.

(٦) سورة الأحقاف: آية ١٥.

على لسان النبي شعيب (عليه السلام): (إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحُ مَا اسْتَطَعْتُ)^(١)، أمّا مفهوم الإصلاح اصطلاحاً فيعرف بأنّه: «إزالة الفساد وإقامة الشيء، ومنه إصلاح المال، وإصلاح المعيشة، وإصلاح الظاهر، وإصلاح الباطن، ونحو ذلك. وربما يكون دفعاً للفساد ولا يلزم أن يكون إزالة له بعد وجوده دائماً^(٢). وقيل: "هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع"^(٣).

والإصلاح في العرف الحسيني هو: "الإرادة الحسينية الباحثة عن التغيير وتقويم الاعوجاج الحاصل في الأمة، نتيجة استشرء المفاصد والانحرافات والمنكرات إبان الحكم الأموي تبعاً لفساد إدارته وابتعاده عن نهج الإسلام الحنيف، والجهد لقطع دابره على وفق ما يدعو إليه الدين والعقل"^(٤).

وجسّد الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاح عبر مقولته: "لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (عليه السلام)"^(٥)، ويبدو جلياً أنّ ما يتردّد على ألسنة الدّارسين من أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) خرج من أجل أن يغيّر نظام الحكم في عصره، ويقيم دولة بدلاً من دولة الأمويين، أو أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) خرج ليستشهد ويقتل، كلاهما أمر لا يمكن القطع بصحّته، لقد خرج الإمام الحسين (عليه السلام) لأداء واجب لم يؤدّ، وإكمال رسالة لم تكتمل، ومن هنا تكون إقامة الدولة الجديدة أو الشهادة نتيجة من نتائج خروج الإمام الحسين (عليه السلام) وليس هي الهدف^(٦).

وقد بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) دعوته الإصلاحية قائلاً: "اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان ممّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الخطام، ولكن لنري العالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك؛ ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله، وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير"^(٧).

فالإمام الحسين (عليه السلام) يعلن في هذا الخطاب عن ضرورة الخروج من أجل الإصلاح الذي نص عليه الدين

(١) سورة هود: من آية ٨٨.

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاري: ط ١، ١٤١٥، ٣ / ٣٩٠.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون: محمد بن علي التهانوني، تح: د. علي دحروج، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٩٩٦ م، ٢١.

(٤) الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني: عبد الكريم عبد الحسين الدباح، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد السادس عشر، ٢٦.

(٥) مقتل الحسين (عليه السلام): عبد الرزاق المقرم، مؤسسة الخرسان، بيروت - لبنان، ١٤٢٦، ٦٢.

(٦) ظ: مختارات من المحاضرات الحسينية: مجموعة من العلماء، مجمع أهل البيت، ١٠٧، الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل: عبد الكاظم محسن الياسري، ط ١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ١٣٥.

(٧) تحف العقول عن آل الرسول (عليه السلام): الحسن بن علي الحارثي، تح: علي أكبر الغفاري، رابطة أهل البيت الإسلامية، ٢٣٧.

الإسلامي والسنة النبوية، وإلا ساد الظلم والفساد، وانحرف الناس عن اتباع سنن الرسول ﷺ. وقد مثل كلام الإمام الحسين عليه السلام منهجاً متجدداً في الإصلاح، فقد: "أصبح منهج الحسين وخطابه مدرسة خالدة حملت منها جحافل الثائرين مشاعل النور التي تضيء دياجير الظلام في كل مكان، ونهلت منها جموع المظلومين مبادئ الوقوف بوجه الظالمين، وأفادت منها الأجيال معاني التضحية والفداء من الأدباء والشعراء والعلماء فكانت منهلاً عذباً أخذ منه القدامى والمحدثون"^(١).

إن الإمام الحسين عليه السلام في دعوته الإصلاحية كان يريد أن يستخلص آخر قطرة من العاطفة في نفوس الناس، ويستخرج آخر قبس من الوعي في نفوس الجيش الأموي، وهو يعلم أن عقاب الله سبحانه وتعالى وسخطه قد حل بهم أو سيحل بهم لا محال، وعلى الرغم من هذا يريد تصحيح مسارهم وإنقاذهم من الهلاك^(٢). وإن قضية استشهاد الإمام الحسين عليه السلام لم تكن مجرد حدث أو واقعة كارثية انتهت بهدر دم شخصية من الشخصيات الاجتماعية قام بارتكابها عدد من الجناة والظالمين، ولو كانت حقاً هي كذلك، ربما ستحتل حدثاً يسجله التاريخ فحسب وينتهي^(٣).

ثانياً: الخطاب الحسيني:

الخطاب بحسب أصل اللغة يراد به توجيه الكلام نحو غيره من أجل الإفهام، وبعد ذلك نقل إلى الكلام الموجه نحو غيره من أجل الإفهام، وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب^(٤)، والخطاب الحسيني بشكل مخصص هو خطاب مهم؛ لكونه يعبر عن المرحلة التاريخية التي يمثلها من جهة اللغة لكنه يمثل المراحل التي تتابع عبر العصور، بوساطة إيضاح الأحوال التي ستمر بها الأمة الإسلامية فيما يلي تلك المرحلة من عصور^(٥). والخطاب الحسيني مرتبط بشخص الإمام الحسين عليه السلام ارتباطاً وثيقاً، فهو الكلام الذي عبر فيه عن أفكاره وغاياته وتوجهاته ابتداء من رفضه البيعة ليزيد حتى استشهاده هو وأهل بيته وأصحابه في معركة الطف، وقد جسدت مضامين هذا الخطاب مسارات الدارسين على مر العصور، وقد اكتسب هذا الخطاب صفة الخلود؛ وذلك لأنه كلام الإمام الحسين عليه السلام أولاً؛ ولأنه قيل في معركة الطف ثانياً، فهو خالد من ناحية المنشأ والمقام،

(١) الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل: الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري، ط ١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ١٤٩.

(٢) ظ: في ظلال الطف بحوث تحليلية ليوم عاشوراء: الشيخ حسين الربيعي، ط ١، دار الكرام، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ، ١٣١.

(٣) العدالة في الخطاب الحسيني (يوتوبيا مجتمع متخيل) تحليل سوسيولغوي: طالب عبد الرضا كيطان، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ١٩.

(٤) ظ: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٧٤٩/١.

(٥) ظ: الحجاج في الخطاب الحسيني - مقارنة تداولية: سلافة صائب خضير، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العراق، العدد ٤٣، ٥٧٨.

وقد مثّل هذا الخطاب منذ القرن الأول للهجرة إلى وقتنا الحاضر مدرسة تفيد منها الأجيال بمختلف اتجاهاتها وأفكارها، فهو منار لأصحاب الحق والمظلومين والقادة والسياسيين يستضيئون به في جوانب حياتهم كلها^(١). فالخطاب الحسيني هو: "ذاك التعبير عن مجمل ما يتّصل بعاشوراء ونهضة الحسين عليه السلام، ورسالتها، وقيمها، وأهدافها. بل عن تلك المدرسة التي ينتمي إليها الإمام الحسين عليه السلام، من حيث استجابة ذلك التعبير للواقع الذي يتوجّه إليه، ومشاكله، وحاجاته، وأولوياته"^(٢)، وإنّ الخطاب الحسيني والنهضة التي قام بها واستشهد من أجلها هو وأهل بيته وأصحابه أكسبت الإسلام روحاً جديدة، إذ إنّها أعطت دروساً في عدم الخضوع للظلم والسكوت على الظالم عبر حركة الدماء وبذل الروح، وفي الواقع ثمة عمليات كثيرة تستنزف فيها الدماء غير أنّها لا تحمل في مضامينها إلا بُعداً واحداً هو بعد الخسارة الدموية والذي ينتج من أثره الخوف والرعب في نفوس الناس، ناهيك عن ما يخلفه من سلوكيات عنيفة وسلبية على المجتمع، في حين إنّ ثمة عمليات استشهاد في الدنيا تنتج منها وتولد رونقاً من الضياء والصّلاح للمجتمع.

وهذا ما حصل بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، حيث انبثق الدين الإسلامي بروق جديد وأعادت بناء الشخصية للمجتمع الإسلامي^(٣).

ومن الجلي أنّ للخطاب الحسيني قيمة وغاياته كأبي خطاب آخر.

غير أنّ ما يميّز الخطاب الحسيني أنّ مادته هي الإمام الحسين عليه السلام ونهضته ورسالته، والمدرسة التي يعود إليها ويمثلها وهي مدرسة أهل البيت عليهم السلام وما تحملها من أهداف ومبادئ سامية من أجل إصلاح الدين والدنيا، وإنّ: (الإمام الحسين عليه السلام سيّد من أسياد البلاغة العربية، وقد استطاع في خطابه الذي تجسده في واقعة الطف من أن يقدم قولاً، أو مجموعة أقوال قادت من يسمعها إلى الإذعان والتسليم، فهو في خطابه يقدم موجّهات تعبيرية تحقّق توجيه المعطى نحو النتيجة مباشرة مما يحقّق عملية إذعان المستقبل وتسليمه بها سمع اعتماداً على العناصر اللغوية الأولية وصولاً إلى التركيب في بنية خاصة توضح قصد المتكلم^(٤)).

(١) ظ: الخطاب الحسيني في معركة الطف: ١٤٧.

(٢) الخطاب الحسيني مبررات التطوير وأشكاليات النقد والمنهج: العقيدة، العدد الرابع عشر / شهر ربيع الأول، ١٤٣٩ هـ، ٤١.

(٣) ظ: حقوق الإنسان عند الإمام علي عليه السلام، رؤية علمية، غسان عكلاوي صالح السعد، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ٦٥، العدالة في الخطاب الحسيني: ١٩.

(٤) الحجاج في الخطاب الحسيني مقارنة تداولية: ٥٧٨ - ٥٧٩.

أبعاد الإصلاح في الخطاب الحسيني:

الخطاب الحسيني يحمل أبعاداً إصلاحية متعددة ومتفرّعة، وسوف تقتصر في دراستنا هذه على الأبعاد الإصلاحية الدينية والاجتماعية والسياسية عبر محاور ثلاثة رئيسة، هي:

المحور الأول: الإصلاح السياسي:

عند إلقاء نظرة على خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) نجد زخراً بالقضايا السياسية المتمثلة بقضية الخلافة والمطالبة بالحقوق. فقد برزت الصيغ ذات النوازع السياسية التي احتواها خطاب الإمام الحسين (عليه السلام)، نتيجة ما خلفت الأحداث التي توالى على الدولة العربية الإسلامية، ولاسيما في العصر الأموي من خلافات وجدالات محتدمة، دار أغلبها حول الأحقية في الخلافة^(١) والبيعة، والدعوة إلى الصبر والصمود بوجه القوة المناوئة لآل البيت (عليهم السلام)^(٢)، بحيث ألقت هذه الأحداث بظلالها على وحدة المسلمين وجماعتهم وعلى تماسكهم، وبرزت الكلمة واللفظة سلاحاً حاسماً في تلك الجدالات الدائرة بين الفرق والطوائف والأحزاب، وصارت الحاجة إلى الكلمة الصادقة ضرورة أخلاقية بوصفها وسيلة ناجحة في استقطاب من توجه إليه لصالح مبدأ أو فكرة، أو تنفيره من مبدأ أو فكرة^(٣)، وجرى بحثنا في دائرة الإصلاح السياسي الذي نشده الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث سخر حنكته السياسية، وقدراته في ذلك، لذا سنعمد في هذه الفقرة على تسليط الضوء على تلك الصياغات الخطابية الإصلاحية ذات النوازع السياسية.

خطب الإمام الحسين (عليه السلام)، قائلاً: "أيها الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود... وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"^(٤).

نلاحظ في هذا الخطاب أسلوباً دقيقاً عمده الإمام (عليه السلام)، عبر تقييد أذهان المخاطبين بحديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لما له من تأثير في نفوس المتلقين، ثم انتقل بعدها إلى توجيه خطابه إلى ولاية الأمر والسلطة والساسة، لينبّه على انحرافهم وانحذارهم عن التعاليم الإسلامية ويحذر من اتباعهم والحدو حذوهم.

ويبدو أنّ التذكير بالحديث النبوي الشريف بوساطة الاقتباس التام، لا يقتصر على الدعوة إلى الانتفاضة

(١) ظ: النشر الكتابي في العصر الأموي: محمد فتوح أحمد، مكتبة الشباب، الجيزة - القاهرة، ٦٤.

(٢) ظ: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: غائم جواد رضا، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٧٨م، ٢٥٣.

(٣) ظ: النشر الكتابي في العصر الأموي: ٢٧.

(٤) تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٤، ٦ / ٢٢٩.

والثورة على الحاكم الجائر المتمثل في حكم بني أمية، وإنما يحمل في طياته توظيفاً تنكشف فيه مسؤولية الإمام تجاه الرعية، وكأنَّ الإمام الحسين (عليه السلام)، يصوّر دواعي نهضته على بني أمية، فكان القائد الرسالي الذي يجسّد الأخلاق السامية والقيم الخيرة كلّها، فهو على خطى النبي (صلى الله عليه وآله)، وحامل مشعل رسالته، وهو أجدر من غيره بالمواجهة والتغيير^(١).

وعبر هذا الخطاب: (نجد أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) إنَّما خرج لطلب الإصلاح امتثالاً لأمر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وتثبيتاً لسنة التي خولفت وابتعد عنها الناس بعد انحراف بني أمية عن المسار القديم، وتركوا طاعة الرحمن، وركنوا إلى الشيطان، فبدي ظلمهم للعباد بيتاً^(٢)).

ومن هذا يتّضح سبب خروج الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته ضدّ الظلم والاضطهاد والحرمان وانتشار الفساد وتحريف الدين وتعطيل العمل بكتاب الله وسنة نبيه، وانتهاك حقوق الناس واختلاس أموال الأمة^(٣).

ويتجسّد الإصلاح الحسيني السياسي في قوله (عليه السلام): "فلعمري ما الإمام العادل، إلا العامل بالحق والآخر بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه عن ذات الله"^(٤)، فالإمام (عليه السلام)، هنا يصف الإمام العادل، ويكمن وراء ذلك هدف إصلاحيّ؛ إذ إنّه أراد أن يسلّط الضوء على أهم ما يجب أن يتّسم به قائد المسلمين، ويظهر في هذا الخطاب المزاجية بين حماية الدين وسياسة الدنيا.

ومن الصياغات الخطابية الإصلاحية في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام)، قوله: "يا أهل الكوفة: أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار، جدو في إطفاء ما وتر بينكم وتسهل ما توعر عليكم، ألا إنّ الحرب شرها وريع، وطعمها فظيع، فمن أخذ لها أهبتها واستعدّها عدتها... وان يهلك نفسه"^(٥).

تظهر في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)، ملامح الإصلاح بشكل واضح، فنجد في خطابه لأهل الكوفة يبدئ كلامه بالنداء لشدّ انتباه السامع وإيقاظه من غفلته، ثم ينتقل مباشرة لنعتهم بصفات محببة إلى نفوسهم (الأحبة الكرماء، الشعار دون الدثار)؛ لتعزيز هذه الصفات فيهم منطلقاً من هذا في التركيز على إصلاح أحوالهم، إذ يقول: (جدّوا في إطفاء ما وتر بينكم)، و(تسهل ما توعر عليكم)، ويستمر الإمام (عليه السلام)، ناصحاً واعظاً قومه

(١) ظ: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: هادي سعدون هنون، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٤٥.

(٢) المضامين الإصلاحية في خطب الإمام الحسين (عليه السلام) ومواظمه: <http://imamhussain.or.id/encyclopedia/22891>.

(٣) ظ: ثورة الإمام الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٩٦، ١٤١.

(٤) جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ٧٣/١.

(٥) جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، ٣٢٥/١.

في شأن الحرب ومخلفاتها، وعند تدقيق النظر يظهر في هذا الخطاب ما يجب أن يتسم به القائد الناجح، فيحقق الإمام (عليه السلام) في نهضته هذه إصلاح في البنية السياسية بصورة متكاملة.

ويجهر الإمام الحسين (عليه السلام) قائلاً: "إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة... ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة ومثلي لا يبايع مثله"^(١)، نلمس في هذا الخطاب ملامح الإصلاح السياسي عبر رفض الإمام الحسين (عليه السلام) للواقع السياسي الذي تمثل في حكم يزيد بن معاوية، وعبر هذا الخطاب يظهر أن الإمام وضع جملة من الضوابط التي يجب مراعاتها في اختيار القائد الحاكم العادل، إذ إنه بوساطة هذا الخطاب يهدف إلى إصلاح البنية السياسية المتمثلة في قائدها. ويؤكد ذلك (عليه السلام) بقوله: (والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية)^(٢). وقال أيضاً: "على الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان"^(٣).

وفي خطاب آخر يقول (عليه السلام): "إنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً"^(٤)، فالإمام الحسين (عليه السلام) في حركته الإصلاحية الثورية وقف ضد الظلم والطغيان، ووقف بوجه كل من يحاول المساس بالأمة الإسلامية.

المحور الثاني: الإصلاح الاجتماعي:

تحتل آليات الإصلاح الاجتماعي في الخطاب الحسيني حيزاً كبيراً، وذلك لأن إصلاح البنية المجتمعية يصب أثرها في إصلاح الأمة الإسلامية بأبعادها كلّها، فتضمن الخطاب الحسيني مضامين متعددة تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع بصورة متكاملة.

لذلك ينقسم خطابه (عليه السلام) الموجه نحو الإصلاح الاجتماعي إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: الإصلاح في الخطاب الموجه إلى الذات:

يعدّ إصلاح الذات منطلقاً أساسياً لإصلاح المجتمع بكامله، فبصلاح الذات وإصلاحها تنهياً الأرضية الخصبة لذلك، ومن أمثلة ذلك، قوله عندما سئل: "كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال (عليه السلام): أصبحت ولي ربّ فوقّي، والنار أمامي، والموت يطلبني، والحساب محقق بي، وأنا مرتهن بعملّي، لا أجد ما أحب، ولا أدفع ما

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨٣، ٣٢٥، ٤٤، الفتوح: أبو محمد بن أئثم الكوفي، دار الندوة الجديدة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢، ٥.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٢٩.

(٣) مقتل الإمام الحسين: ١ / ١٨٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥.

أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاء عذبنِي، وإن شاء عفا عني، فأني فقير أفقر منِّي؟! ^(١)، نلمح في هذا الخطاب الحسيني كثيرًا من الأبعاد الإصلاحية الموجهة للذات؛ عبر تركيزه ﷺ في إجابته على مسائل غاية في الأهمية تصب كلها في التوكل على الله والخوف منه وتذكير نفسه بمدير الأمور، وعبر التدقيق في هذا الخطاب يكون البعد الإصلاحي جلياً، فعندما يشعر الإنسان بوجود الله وقربه منه وأنه رقيب عليه يتعظ ويسعى للابتعاد عن ارتكاب المعاصي والذنوب والتوجه إلى رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته، ومن ثم ينعكس تأثير هذا على الواقع ليكون منطلقاً للإصلاح الاجتماعي.

وقد ركز الإمام -ﷺ- على أن الله رقيب على أعمالنا، وسعى إلى التذكير بفناء الدنيا ونيل الجزاء بواسطة قوله: "النار أمامي، الموت يطلبني، الحساب محقق بي"، ففي هذه الصور المتكررة وبهذه العبارات المحركة للحواس والأذهان وقع كبير في نفس المتلقي، بما تحمله من صورة مذهلة رسمها الإمام الحسين ﷺ وأضفى عليها الحياة، فجسّد الموت بصورة كائن حي له القدرة على النطق، وللحساب القدرة على النظر والتحديق.

الاتجاه الثاني: الإصلاح في الخطاب الموجه إلى الآخر:

ومن أمثلة ذلك في الخطاب الحسيني "ويحكم يا شيعة آل سفيان! إن لم يكن (لكم) ^(٢) دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم أعواناً" ^(٣) (كما) ^(٤) تزعمون...." ^(٥).
تظهر في هذا الخطاب مرتكزات للإصلاح الاجتماعي، فإن: "الإمام الحسين في هذا الكلام يشير إلى ظاهرة اجتماعية كان العرب يعتزون بها في عصر ما قبل الإسلام وبعده، وقد عمل الإسلام على ترسيخ هذه الظاهرة والحفاظ عليها، وتمثل هذه الظاهرة رعاية النساء والأطفال وعدم التعرض لهم في الحروب ولو كانوا من الأعداء" ^(٦).

فالإمام الحسين ﷺ دائماً ما يحاول أن يلجأ إلى أسلوب التذكير؛ لإيقاظ الأمة من غفلتها وإصلاح ما فسد منها، ونظير ذلك قوله ﷺ: "الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطنونه ما درت معاشهم، فإذا

(١) الأمالي: محمد بن علي الصدوق، تح: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، ط ١، ١٤١٧، ٧٠٧، من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، ٤ / ٤٤٠.

(٢) لكم من الكامل في التاريخ: ابن الأثير، تحقيق عبد الوهاب النجار، مصر، ١٣٥٦، ٣ / ٢٩٤.

(٣) في كشف الغمة: أبو الحسن علي بن عيسى الأربلي، تح: علي الفاضلي، مطبعة ليل، ١٤٢٦، ٢ / ٥١٢.

(٤) من كشف الغمة: ٢ / ٥١٢.

(٥) الفتوح: ٥ / ٢١٤ - ٢١٥، الكامل في التاريخ: ٣ / ٢٩٤، وينظر: كشف الغمة: ٢ / ٥١٢.

(٦) الخطاب الحسيني في معركة الطف: ١٤٧.

مَحْصُوا بِالْبَلَاءِ قُلُوبَ الدَّيَّانُونَ^(١).

الإمام الحسين عليه السلام يصور المجتمع الذي عاصره بشكلٍ دقيقٍ حيث اختلط فيه هذان العاملان: الدين والدنيا، وفقد الفرقان الفاصل والمميز بينهما وتحول الناس إلى (عبيد الدنيا)، أي أَنَّ حُبَّ الدنيا مَلَكَ القلوب، وأصبحت الدنيا هي الحاكمة، الناس يقبلون الدين، ولكن السلطان والحاكمة للدنيا، وأمَّا الدِّين فهو (لعق على ألسنتهم) أي يأخذون منه بمقدار ما يلحق الإنسان بطرف لسانه الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، فلا يغذي الإنسان ولا يشبعه، كذلك عبيد الدنيا نلاحظ عليهم مظاهر التدين من صلاة ودعاء وذكر وصوم، وقد يرضى الناس عنه وهو راضٍ عن نفسه وهذه هي الداهية حيث إنَّ هذه اللعقة تجعله لا يشعر بالحاجة إلى الدِّين، وأَنَّها حاجة ضرورية في حياة الإنسان وأنه نظام شامل يجب أن يحكم الحياة، فهو يحب الدين ويشعر بأنَّ له دين، ولكن هذا الدين لا يصنع شيئاً في حياته فهو كاللعقة من العسل على طرف اللسان^(٢).

فذكر الإمام عليه السلام (اللعقة) وهي: (الشيء القليل جداً، فلا هي غذاء مشبع ولا يمكن إنكار مذاقها، إلا أنَّه مذاق باهت ضعيف لا يؤثر شيئاً ولا يبقى طويلاً، والذين دينهم لعق على ألسنتهم لا يشعرون بأنَّ الدين له دور في حياتهم يملأ نفوسهم ويوجّه سلوكهم هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يشعرون أنَّهم تجردوا عن الدِّين حتى تؤثّرهم وتؤبّخهم ضمائرهم ليعود إليهم بل هو لعق يبرح ويلوح ثم سرعان ما يزول بل ينمحي عند البلاء والتّمحيص^(٣).

وعندما يكون الفرد أهم وحدة تكوينية للمجتمع، فعده وبنائه فكرياً ونفسياً من المسلّمات الكبيرة التي تلقى على عاتق أفراد المجتمع كلهم وبالذات علماء الأمة وقيادتها؛ من أجل بناء مجتمع إسلامي متين، لذا لم يقتصر كلام الإمام الحسين عليه السلام وخطابه على وصف المرض الذي أصاب المجتمع، بل شخص العلة، ووضع دروس لعلاجه^(٤)، وهذا ما يتجلى في قوله عليه السلام: "لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد"^(٥)، ووقف الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً قومه، قائلاً: وتبّاً لكم أيّها الجماعة وترحاً حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين؛ سللتم علينا سيفاً لنا في أيّمانكم! وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلّاباً

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ط ٣، ١٤١٦ - ١٩٩٥ م، ٤٣٢.

(٢) ظ، في ظلال الطف: ١١٥.

(٣) في ظلال الطف: ١٥٩.

(٤) ط: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة: ١٧٩.

(٥) أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري، تح: محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧، ٣ / ١٨٨، تاريخ الأمم والملوك: ٤٢٦ / ٥.

على أوليائكم ويَدًا عليهم لأعدائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم... ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون^(١).

في هذه الخطبة أخبرهم الإمام الحسين (عليه السلام) عن واقعهم، وعن أنفسهم، وعن زيف حياتهم، وأخبرهم كيف أنهم استصرخوه على جلادهم وبعد ذلك انكفأوا مع هؤلاء الجلادين عليه، هؤلاء الجلادون الذين لم يسيروا فيهم يومًا بالحق والعدل، وإنّما جعلوهم يرتكبون الحرام في مقابل عيش خسيس^(٢)، وفي هذا الخطاب: "بيان الواقع الاجتماعي المتردّي الذي استغله بنو أميّة ودخلوا لهم من نواقصهم وضعفهم كمجتمع ينبغي أن يتحلّى بروح الدين وتسود فيه تعاليم الإسلام القويم"^(٣).

فالإمام الحسين (عليه السلام) هنا يذكّر قومه بواقعهم، والغاية من ذلك هي نصحهم لعلهم يتّعظون، وإرشادهم إلى الصواب، واتباع في ذلك أساليب عدّة؛ فتارة يلجأ إلى العتاب، وأخرى إلى التأنيب بقوله: "ولا أمل أصبح لكم فيهم إلا الحرام من الدنيا أنالوكم"، وتارة إلى التحذير والترهيب، إذ يقول: "ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون".

ومن خطابه (عليه السلام) الإصلاحية الإرشادية الموجهة إلى الآخر قوله عندما: "جاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة، فقال (عليه السلام): يا أخا الأنصار، صن وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فأبى أن يفعلها ما سارك إن شاء الله. فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة، فاقض بها دينار، وقد ألح بي، فكلمته ينظرني إلى ميسرة. فلما قرأ الحسين (عليه السلام) الرقعة دخل إلى منزله، فأخرج صرة فيها ألف دينار، وقال (عليه السلام) له: أما خمسمائة، فاقض بها دينك، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروءة، أو حسب، فأما ذو الدين فيصون دينه، وأما ذو المروءة فإنّه يستحي لمروءته، وأما ذو الحسب، فيعلم أنّك لم تُكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك"^(٤).

نلاحظ أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يتبع ما تصدّقه به بالمنّ، وهو في ذلك يطبق ما نص عليه الله سبحانه وتعالى في قوله: (يا أيّها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي يُنفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا

(١) أعيان الشيعة: السيد محسن العاملي، بيروت - دار التعارف، ١/ ٦٠٢ - ٦٠٣.

(٢) ظ: ثورة الحسين، ظروفها الاجتماعي وآثارهم الإنسانية: ١٤٤.

(٣) نهج الإصلاح قراءة في الخطاب الإصلاحية للإمام الحسين (عليه السلام): محمود الموسوي، ط ١، ٢٤٢٨ هـ، ٧٣.

(٤) بحار الأنوار: ٧٥، ١١٨.

يهدي القوم الكافرين»^(١)، ولم يقف الإمام عليه السلام عند هذا وإنما وضع أبعاداً إصلاحية وإرشادية في ذلك، إذ حدّد رفع الحاجة من ثلاثة: (ذو دين، و ذو مروءة، و ذو حسب). فإنّ ذا الدين يكتفم الأمر ويصون دينه، وصاحب المروءة، فإنّه كما عبّر عنه الإمام عليه السلام (يستحيي لمروءته)، فيحافظ على كرامة السائل، أمّا صاحب الحسب، فإنّه يعطي من دون أذى أو منّ.

ومن خطبه في مضمار الإصلاح الاجتماعي قوله عليه السلام: "أيها الناس، من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإنّ أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإنّ أعفى الناس من عفى عن قدرة، وإنّ أوصل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسموا، فمن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفّس كربة مؤمن فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين"^(٢)، حمل هذا الخطاب مضامين إصلاحية عديدة منطلقاً من إصلاح النفس لينعكس أثرها على المجتمع بالكامل، فنبّه على أنّ نهاية الجود السيادة، والبخل يقود إلى الرذيلة، ووقف على العفو عند المقدرة واتبع في ذلك ما أمر الله سبحانه وتعالى به وحثّ عليه، قال تعالى: وليعفوا وليصْفَحُوا ألا تُحِبُّون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم"^(٣)، وأمر به رسول الله ﷺ أيضاً، فقال في ذلك: "من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفضه دعاه الله -عز وجل- على رؤوس الخلائق حتى يخيره الله من الحور ما شاء"^(٤). فالعفو من الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلّى بها المرء. وعند تتبّع الخطاب نجد أنّ الإمام عليه السلام يستمر في دعوته الإصلاحية عبر الحث على الوصل بين الناس وزرع الخير بينهم والإحسان إليهم وهذا كله يلحقه جزاء من الله أعظم، فنجد أنّ الإمام عليه السلام يعمد إلى أسلوب التحذير والترهيب تارة وتارة أخرى يعمد إلى الترغيب.

المحور الثالث: الإصلاح الديني:

إنّ مفهوم الإصلاح الديني ليس فقط إنتاج مذهب جديد أو ابتكار منظومة من المفاهيم الدينية، بل إنّ الإصلاح يتّسع ليحتوي حتى القضاء على مدرسة فكرية قد ارتدت اللباس الديني، وهي في الحقيقة لا تمت

(١) سورة البقرة، ٢٦٤.

(٢) التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، تح: إحسان عباس - بر عباس، ط ١، دار صادر، ١٩٩٦، ١٠٢.

(٣) سورة النور: آية ٢٢.

(٤) سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تح: محمود محمد محمود، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٠، ٢٠٢١.

إلى الدين بصلة^(١)، والناظر إلى طبيعة الصراع في ساحة الطف يظهر له أنه لم يكن بين جيشين ولا بين قوميتين ولا بين رجلين، وإنما بين مبدأين وفكرتين وعقيدتين، والأمويون هدفهم إعادة الجاهلية بأبعادها كلها، فهم يحرفون الدين الإسلامي ويشوهون معالمه، ويسلبونه نصاعته، والأخطر من ذلك كله أنهم يسعون إلى إعادة الجاهلية باسم الإسلام.

أما الإمام الحسين عليه السلام فإنه يريد أن يكرس الدين الإسلامي الذي أتى به رسول الله ﷺ، ويرجع له نصاعته ونقاءه وأصالته وعمقه وشفافيته وحصانته الفكرية والأخلاقية للمجتمع^(٢)، وقد ظهرت في خطاب الإمام الحسين عليه السلام مضامين عديدة تصب جميعها في إصلاح الدين والأمة المسلمة، والنهوض بالواقع المرير الذي كان سائداً، ومن تلك المضامين والأهداف التي نهض من أجلها الإمام إيقاظ الأمة من سباتها الطويل الذي جعلها معتادة على الظلم والطغيان، إذ كانت ترى انتشار الفساد وانحراف السلطة الأموية غير أنها لم تحرك ساكناً ولم تطمح إلى التغيير، إذ إن الأمة: "كانت تعرف الحق وأهله، وتعرف الباطل وأهله، ولكنها أصيبت بمرض آخر هو مرض فقدان الإرادة أو فقدان الضمير، وهذا المرض لم يكن له من علاج لكي تبرأ الأمة سوى أن يقدم الإمام الحسين عليه السلام على التضحية بنفسه وأهل بيته وأصحابه لكي يهز بها الضمائر الميتة ويبعث الشجاعة والإرادة فيها، وهذا ما حدث فعلاً وحصلت تبعاً لذلك النتائج المتوقعة"^(٣).

وقد تجسدت ملامح هذا الهدف في قوله عليه السلام: "ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة، وهيئات له ذلك مني، هيئات منّا الذلة، أباي الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طهرت وجدود طابت، أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر"^(٤)، هذا الخطاب يجسّد ثبات الإمام الحسين عليه السلام على المبادئ والقيم الحقّة، ويحمل رسالة إصلاحية ومواعظ يجدر التمسك بها، ف"ما أحوج المسلمين اليوم أن يستلهموا جهاد أولئك العظماء الأفاضل، ويقفوا آثارهم، في التمسك بالدين، والثبات على المبدأ، والتفاني في نصرته الحق، ليستردوا مجدهم الضائع، وعزهم السليب، وينقذوا أنفسهم من هوان الهزائم الفاضحة والنكسات المتتالية"^(٥).

قال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً الجموع المحتشدة لقتاله: "الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال،

(١) ظ: الإصلاح الديني هل كان هدفاً للحسين عليه السلام؟: الشيخ محمد شقير العاملي، ط ١، دار الهادي، ١٤٢٢ هـ - ١٧.

(٢) ظ: في ظلال الطف: ١٧٦.

(٣) الإصلاح الديني هل كان هدفاً للحسين عليه السلام؟: ٣٨.

(٤) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، تح: السيد محمد باقر الخرساني، ١٣٨٦-١٩٦٦ م، ٢/٢٥.

(٥) أخلاق أهل البيت عليه السلام: السيد محمد مهدي الصدر، ط ١، مؤسسة الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٨، ١٩٠.

مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالاً بَعْدَ حَالٍ، فَالْمَغْرُورُ مِنْ غُرَّتِهِ، وَالشَّقِيُّ مِنْ فِتْنَتِهِ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ فِيهَا، وَأَرَاكُمْ قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمْ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحْلَلَ بِكُمْ نَقْمَتَهُ، وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنَعْمَ الرَّبُّ رَبَّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدَ أَنْتُمْ، أَقَرَّرْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذَرِّيَّتِهِ تَرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحُوذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ، فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبَّ لَكُمْ وَمَا تَرِيدُونَ، إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَهُهُ رَاجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(١).

بواسطة هذا الخطاب الذي ألقاه الإمام عليه السلام على خصمه نرى أنَّ مواعظه وإرشاده قد تخطَّى أهل بيته وأصحابه فقد وقف واعظاً خصمه؛ لأنَّ غايته وهدفه الإصلاح في الأمة كافة، فنَبَّهَ على زوال هذه الدنيا وفنائها، وحذَّره من سخط الله على أفعالهم، وذكَّره بإيمانهم برسول الله ﷺ واتباعه، ثم كيف استحوذ الشيطان على عقولهم فساقهم عن جادة الحق، فعمد إلى استقامة انحرافهم وتوجيههم إلى غاية الصواب.

وأيضاً أشار الإمام عليه السلام إلى زوال الدنيا بقوله: "عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر، فإنَّ الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد، كانت الأنبياء أحقَّ بالبقاء، وأولى بالرَّضى، وأرضى بالقضاء، غير أنَّ الله تعالى خلق الدُّنْيَا لِلْبَلَاءِ، وَخَلَقَ أَهْلَهَا لِلْفَنَاءِ، فَجَدِيدُهَا بِالٍ وَنَعِيمُهَا مَضْمَحِلٌ، وَسُرُورُهَا مَكْفَهَرٌ، وَالْمَنْزِلُ بَلْعَةٌ وَالِدَارُ قَلْعَةٌ فَتَزُودُوا، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ"^(٢). فالمنشئ يوجه الخطاب إلى ذهن المتلقي بأسلوب دقيق حكيم، فقال (عباد الله)؛ لينبههم على من خلقهم وخلق الدنيا وجعلها مقام تزود واستعداد للآخرة، فأمرهم بالتقوى وحذَّره من الدنيا ونعيمها الزَّائل.

ومن خطابه عليه السلام الذي يحمل سمة الإصلاح الدِّيني قوله: "رضا الله رضانا أهل البيت رضى بقضائك وتسليماً لأمرِك لا معبود سواك يا غياث المستغيثين"^(٣)، ففي هذا الخطاب الحسيني تبدو نزعة التوحيد جليَّة، وفي نصوص كثيرة نجده يشير إلى تمسَّكه واعتصامه بحبل الله تعالى وتوكَّله عليه وهو يحتسب كل شيء عنده، ويمكن أن نجد صوراً عديدة تجسَّد هذا البعد في خطاب الإمام الحسين عليه السلام^(٤).

ويتوجه الإمام الحسين عليه السلام إلى عقول الناس ناصحاً وواعظاً لهم بعد أن عزموا على قتله قائلاً: "أَمَّا بَعْدُ، فَانْسُبُونِي فَاَنْظُرُوا مِنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوها، فَاَنْظُرُوا؛ هَلْ يَحِلُّ لَكُمْ انْتِهَاكُ حَرَمَتِي؟ أَلَسْتُ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَابْنِ وَصِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ، وَأَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُصَدِّقَ لِرَسُولِهِ بَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، أَوْلَيْسَ حِمْزَةُ

(١) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، المطبعة العلمية، قم، ٢٤٩.

(٢) مقتل الخوارزمي: ١ / ١٨٥.

(٣) كشف الغمة: ٢ / ٢٩.

(٤) ظ: مختارات من المحاضرات الحسينية: ٨٠، الخطاب الحسيني في معركة الطف: ١٤١.

سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي، أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: أنَّ رسول الله - ﷺ - قال لي ولأخي: (هذان سيدا شباب أهل الجنة)^(١)؛ فإن صدقتموني بما أقول، وهو الحق، فوالله ما تعمدت كذباً مُذ علمت أنَّ الله يمقت عليه أهله...^(٢).

ويبدو أنَّ الإمام الحسين عليه السلام استمد أدلته العقلية في الخطاب من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف للمعاني الدينية (الشورى، الولاء، الصالحين، سيدا الجنة)، فخطب فيه العقول بوساطة الاستدلال بالنص القرآني في أكثر من موضع في النص الخطابي، ولا تخفى أهمية التوظيف العقلي للنص القرآني في تصوير الحقائق وترسيخها في عقل المتلقي، وذلك لكونه من الثوابت الراسخة في أذهان الناس، إذ تقوم على أسس دينية وعقائدية وطيدة^(٣)، فحرَّك: "القرآن العقول بهذه الصور المعروضة، وأيقظ الحواس على البدهة العقلية، فتفتحت البصيرة الإدراك الحقائق الدينية، واستجابت الفطرة لندائه، بعد أن أزيل عنها ركام الأوهام وقد حملت الصورة القرآنية كثيراً من الأدلة، لإثبات العقيدة وترسيخها في النفوس"^(٤).

ومن خطابه عليه السلام المتضمن الإصلاح الديني قوله: "الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنه، فلا تغرَّركم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها..."^(٥).

بدأ الإمام الحسين عليه السلام في تحديد أبرز سمات (الدنيا) عندما صرَّح بفنائها وزوالها وهذا من شأنه أن يؤثر في المتلقي لاحقاً إذ ليس في الأمر اختراع وجدة بقدر ما فيه من استنهاض للنفوس الغافلة وفتح الأبواب أمام القادم من القول، إذ أشرك الإمام الدنيا في خصوصيات المتلقي بوساطة فن (التشخيص) لما يمتاز به هذا الفن من تمكن^(٦) على "خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية، هذه الدنيا التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية، تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية"^(٧).

(١) الحديث النبوي الشريف في المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، دار التأصيل، ١٨٢/٣.

(٢) تاريخ الامم والملوك: ٤٢٤/٥.

(٣) ظ: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة الى المدينة: ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) وظيفة الصورة الفنية: عبد السلام احمد الراغب، ط ١، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٤٣٨.

(٥) مقتل الحسين: ابو الويد الموفق بن احمد المكي الخوارزمي: تح: الشيخ محمد السماوي، ٣٥٧/١، ط: المناقب: ١٠٨/٤. بحار الانوار: ٤٥/٥.

(٦) ظ: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة: ١٥٨.

(٧) التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، ط ١٦، دار الشروق، ٢٠٠٢.

فاتخذ الإمام من (التشخيص) أداة لتحقيق الآثار النفسية بنقل الدنيا من عالمها المعنوي إلى المحسوس، فهي (تغر) و (تفتن) و (تخيّب) وهذا من شأنه أن يأخذ دورًا في إبقاء النفوس وشدها صواب فكرة الإمام، وذلك لكون النفس لا تأبه بالأمر المعنوية، وفنّ التشخيص من الفنون الهامة التي تجلب الاهتمام والتأثير في المتلقي لفنيته وإيمانه^(١).

وفي خطاب آخر يذكر الإمام الحسين عليه السلام الأمة بدينها وتعاليمها المنزلة في الكتاب الذي نبذوه وتناسوه، وكيف أطفأوا سنة نبيهم، فيقول عليه السلام: "فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، وبحكم هؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون، أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتأزرت فروعكم، فكتمت أبحث ثمر شج للناظر، وأكلة للغاصب"^(٢).

الخاتمة

١- جسّدت نهضة الإمام الحسين عليه السلام وثورته قيماً ومبادئ تصب في صالح الأمة الإسلامية عامة، ومنها مبدأ الإصلاح الذي جاء به الإمام عليه السلام وعمد على تطبيقه في جوانب الحياة وأبعادها كافة، فقد مثل الخطاب الحسيني حركة شاملة متكاملة في الإصلاح، إذ عمد الإمام الحسين عليه السلام في خطابه إلى إصلاح شؤون الحياة بأبعادها كلّها السياسية والاجتماعية والعقائدية والفكرية، وذلك لانتشار الانحراف الذي أصاب الأمة بسبب الخلافات السياسية والدينية. الخ.

٢- تجسّد في خطاب الإمام الحسين عليه السلام أسس الإصلاح عبر الوعظ والإرشاد والحث على تصحيح الانحراف في الأمة.

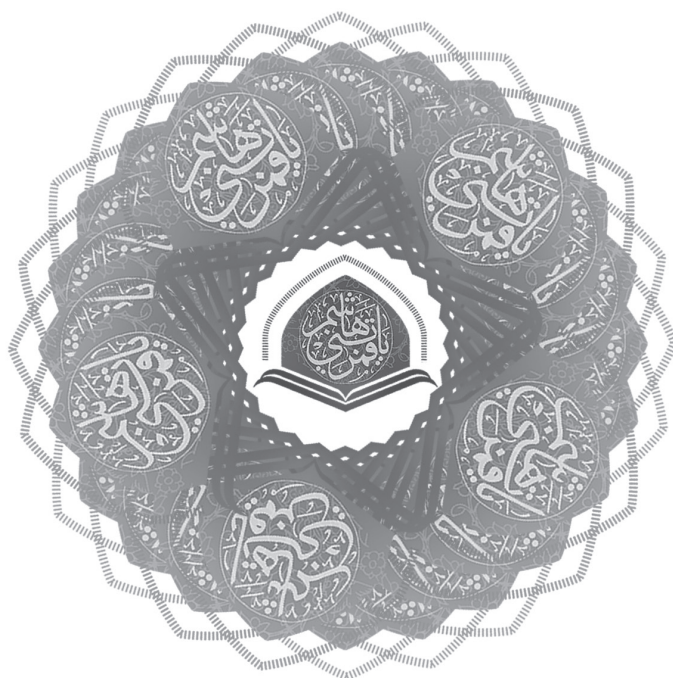
٣- لم تكن أهداف الإصلاح في خطاب الإمام الحسين عليه السلام مقتصرة على وقت محدد وإنّما تعدت إلى الأزمان كلّها.

٤- لم تقف الدّعوة الإصلاحية في الخطاب الحسيني على الممثلين للإمام عليه السلام، وإنّما شملت خصمه ومن خالفه؛ ليتّضح أنّ ثورته من أجل الإصلاح في أمّة جدّه وهذا ما أكّده الإمام عليه السلام في أقواله وخطبه.

٥- تبين أنّ الإمام الحسين عليه السلام في خطابه يرمي إلى إصلاح القيم المثالية لدى الأمة الإسلامية والإنسانية بصورة عامّة، فالخطاب الحسيني خطاب عالمي باحتراف.

(١) ظ: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة: ١٥٨.

(٢) فتوح البلدان: ٢١٣/٥.



البكاء بين الإمام السجاد عليه السلام وبقية العباد

السيد مجتبی الصافي

يُعدّ البكاء مظهراً من مظاهر العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، وقد حثّ عليه الروايات بوضوح، لكنّ الحديث عن حكمة ذلك التأكيد وفلسفته ظلّت محلّ تحليلات متعدّدة.

إنّ البكاء ظاهرة إنسانية لا يمكن أن نصفها بوصف دون النظر في منطلقاته وأهدافه، فإذا كان البكاء مرتبطاً بالأهداف العظيمة ومرتباً بالخط المعصوم المتمثّل بالقرآن الكريم والعترّة الطاهرة ويساهم في نشر القيم التي تساهم في تقدم البشرية فيتحوّل من ظاهرة إلى قيمة تساهم في صنع النتائج الطيبة المليئة بالأخلاق والأبعاد المعنوية، أما إذا كان البكاء مرتبطاً بأهداف لا تنسجم مع الأهداف والقيم الدينية والأخلاقية، فعندها سوف يكون أمراً مذموماً، ولذلك نجد الشرع المقدس قد أفْتى بأنّ البكاء للعالم مبطّل للصلاة.

"البكاء متعمداً لأمر من أمور الدنيا، يبطل الصلاة - على الأحوط - سواء المشتمل منه على الصوت وغير المشتمل عليه، وسواء ما كان عن اختيار وما كان من دونه على التفصيل المذكور في القهقهة، ولا تبطل الصلاة به إذا كان عن سهو كما لا بأس به اختياراً إذا كان لأمر أخروي كالخوف من العذاب، أو الطمع في الجنة، أو كان خضوعاً لله سبحانه ولو لأجل طلب أمر دنيوي، وكذلك البكاء لشيء من مصائب أهل البيت (سلام الله عليهم) لأجل التقرب به إلى الله" (١).

فلسفة البكاء

إنّ تأكيد الروايات الواردة في إقامة مجالس العزاء والبكاء على مصاب الإمام الحسين عليه السلام لم ترد في أيّ من الأئمة المعصومين عليه السلام حتى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنّ هنالك سرّاً في هذه المسألة دعا إلى تلك التأكيدات من الأئمة.

لذا سنقدّم فيما يلي عرضاً لبعض الرؤى في بيان فلسفة البكاء:

١- نيل الثواب والشفاعة

فقد دلّت النصوص المتواترة عن أئمة الهدى (عليه السلام) على أنّ البكاء على الحسين (عليه السلام) عبادة بنفسها يتقرب بها المؤمن الى الله والى رسوله (صلى الله عليه وآله) وتستوجب جزيل الثواب وعظيم الأجر، فقد ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «مَنْ ذُكِرْنَا عَنْدهُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَلَوْ مِثْلَ جَنَاحِ الذُّبَابِ غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).

٢- تكريم الإمام الحسين (عليه السلام)

إنّ البكاء على شخصٍ يُعدّ نوعاً من التعظيم، وبيّناً لموقعه. فقد قال النبي (صلى الله عليه وآله): «مَيِّتٌ لَا بَوَاكِي عَلَيْهِ لَا إِعْزَازَ لَهُ»^(٢).

ومن هنا؛ حين رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من معركة أحد ورأى قبيلتي بني الأشهل وبني الظفر تبكيان شهداءهما ولا بواكي لعمّه حمزة، قال: «لَكِنَّ حِمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ الْيَوْمَ»^(٣).

فلما سمعت نسوة المدينة اجتمعن في دار حمزة وأخذن يندبنه ويُقمن العزاء عليه. وحين أبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشهادة جعفر الطيار في مؤتة ذهب إلى بيت جعفر، ثم الزهراء (عليها السلام)، فرآها باكية، فقال: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»^(٤).

فإقامة مراسم العزاء يعدّ تخليداً للمقام الرفيع لذلك الإمام الهام: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)^(٥).

إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) الذي تعامل مع الله بكلّ كيانه وأقبل نحو الشهادة بجميع أهل بيته ليقدم تلك القرابين في سبيل الله لمن أعظم شعائر الله، وإقامة مجالس العزاء عليه إنّما تُعدّ تعظيماً لإحدى أعظم شعائر الله.

٣- حفظ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

إنّ أهميّة إقامة هذه المجالس وسرّ تأكيد الأئمة الأطهار (عليهم السلام) على حفظها تبدو أوضح حين نلاحظ وضع الشيعة في عصر صدور هذه الروايات؛ إذ كانوا يعيشون عزلة خانقة وضغوطاً شديدة تمارسها ضدهم الحكومات الأموية والعباسية، ويتعذّر عليهم ممارسة أدنى نشاط سياسي واجتماعي ممّا أدّى إلى ضعفهم

(١) كامل الزيارات/ ص/ ٢٠٧

(٢) الكاشي، عبد الوهاب، مأساة الحسين (عليه السلام): ص ١١٨.

(٣) بن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج ١، ص ٢٧٥

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٧٦.

(٥) الحج: آية ٣٢.

الشديد، لكن مجالس العزاء الحسينية أنقذتهم وخلقت لديهم حالة من الانسجام والوئام، وجعلتهم قوة ذات شوكة في المجتمع الإسلامي.

وعلى هذا الأساس عبّرت بعض الروايات عن إقامة هذه المجالس بإحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام).
قال الإمام الصادق (عليه السلام) في هذه المجالس: «إنّ تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا»^(١).
اعتراف غير المسلمين بهذا الأمر

ذكر الكاتب الفرنسي جوزيف في كتابه الإسلام والمسلمون في حديثه عن قلة عدد الشيعة في العهود الإسلامية الأولى، وبسبب عدم تسلّمهم الحكم، وتعرّضهم لظلم الحكّام وجورهم وتقتيلهم ونهب أموالهم، فقال: «إنّ أحد أئمة الشيعة أوصاهم بالتقية لحفظهم من الأعداء، فأدّى ذلك إلى اقتدار الشيعة بشكلٍ تدريجيّ، ولم يجد العدو ما يتذرّع به لقتلهم وسلب أموالهم، وأخذ الشيعة يعقدون المجالس في الخفاء ويكون على الحسين (عليه السلام). وأكبر عنصر يقف وراء تقدّمهم هو إقامة مجالس العزاء على الحسين (عليه السلام)، وهذه العاطفة والتوجّه القلبي استحكمت في قلوب الشيعة وزادت بشكلٍ تدريجيّ، فكان كلّ شيعيّ في الواقع يدعو الآخرين إلى مذهبه دون التفات سائر المسلمين، بل لعلّ الشيعة أنفسهم لم يلتفتوا إلى فائدة هذا العمل، وكانوا يظنّون أنّهم إنّما يحصلون على الثواب الأخروي»^(٢).

ويقول المؤرخ الألماني ماربين في كتابه السياسة الإسلامية: «إنّي أعتقد أنّ سرّ تطوّر الإسلام وتكامل المسلمين يكمن في شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) وتلك الحوادث الأليمة»^(٣).

٤. التزكية والتّهذيب والافتداء

تُعَدّ مجالس البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) مراكز تزكية النفس وتهذيبها، فالناس يقتدون بالإمام الحسين (عليه السلام) ببكائهم على مظلوميّته في هذه المجالس، فهم يخلقون الأرضية الخصبة لديهم في محاكاة سيرته العلميّة، والتأثير الذي تخلّفه هذه المجالس يُحدث تحوّلاً حقيقيّاً وعزماً على ترك الذنوب والمعصية؛ إذ يوجد عدد من الأفراد قد عزموا على ترك الذنوب والمعاصي. وربّما تنبّه بعض الضالين إثر حضورهم تلك المجالس فعادوا إلى أنفسهم وساروا على الدرب. فهذه المجالس تُعلّم الإنسان دروس العزّة والكرامة والإيثار والتّضحية ودروس الأخلاق والورع والتقوى؛ وبالتالي فهي مصنع الأبطال وعشاق الحق والعدالة.

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٩١ - ٣٩٣.

(٢) شرف الدين، عبد الحسين، فلسفة الشهادة والعزاء: ص ٩٢.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠٩.

٥. التعرف على الإسلام الحق

إنّ هذه المجالس هي في الواقع مدارس تتعرّف الجماهير من خلالها على المعارف والحقائق الدّينية والتاريخ والأحكام ومختلف الموضوعات، وتعدّ واحدة من أنجح مراكز التّزكية والتّهذيب والتّربية.

قال المؤرخ الألماني ماربين بهذا الشأن: «إنّ المسلمين لن يعيشوا الدّلة ما دامت لديهم هذه المجالس التي يتعلّمون فيها دروس الشجاعة والتضحية، ومن خلال هذا الطّريق يتعلّم الشيعة درس الشجاعة والبطولة»^(١).

وروى ثقة الإسلام الكليني وشيخ الطائفة الطوسي: أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) قال: « قال لي أبي: يا جعفر، أوقف من مالي كذا وكذا للنوادر تندبني عشر سنين بمنى، أيام منى»^(٢).

ولصاحب الجواهر في كتاب الطهارة كلام في بيان حكمة هذه الوصية وفلسفتها؛ إذ قال: « وقد يُستفاد منه استحباب ذلك، إذا كان المندوب ذا صفاتٍ تستحقّ النشر ليقْتدى بها»^(٣).

وعليه فتخليد ذكراهم فعل حسن وعمل مطلوب.

كما أنّ البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) رمز من رموز المحبة والمودة والولاء المطلق له؛ ومن ثم يعلم الشيعة مبادئ الحسين (عليه السلام) في المطالبة بالحق المغصوب، والرّفص القاطع للظلم، والتّفاني والإيثار، والجهاد بكلّ غالٍ ونفيس، وغيرها كثير جداً من الدروس التي يطرحها المنبر الحسيني؛ لأنّنا لو تركنا ذلك ومضت على تلك الفاجعة الأليمة مدّة مديدة، لأنكرها الناس، ولتعرّضت لسيل من التكذيب والإنكار.

ظاهرة البكاء عند الإمام السجاد (عليه السلام)

تطالعنا الروايات الشريفة على أنّ الإمام السجاد عاش بعد مقتل أبيه ٣٥ سنة قضاها بالبكاء على أبيه وما قدّم بين يديه طعام أو شراب إلّا ومزجه بدموعه، ويمكن الإشارة الى بعض علل ذلك:

ظاهرة البكاء قد يكون البكاء شوقاً وحبّاً للمحبوب فتعبّر عن شوقك وعن حبّك وعن علاقتك بهذا المحبوب.

فقد بكى النبي ﷺ على موت ابنه إبراهيم، وقال: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ)^(٤).

(١) عبد الحسين شرف الدين، فلسفة الشهادة والعزاء: ص ١٠٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ١١٧. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٥٨.

(٣) الجواهرى، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٤، ص ٣٦٦.

(٤) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة / ج ٢ / ص ٤٧.

قد يكون البكاء يجيء اعتراضاً على حكم جائر، وعلى حكم مستبد، ويده ملطخة بالدماء ونهب الأموال،
كبكاء مولانا الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عبرت عن معارضتها ورفضها للذين غصبوا الخلافة فأرادت أن
تعرف الأمة عن حق مغتصب وعن خلافة منهوبة بالبكاء.

كما عبر الشاعر عن الظلم الذي وقع على الزهراء (عليها السلام):

وَمُحَمَّدٌ مُلْقَىٰ بِلا تَكْفِينِ	الوَائِسِينَ لِظُلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ
فِي طُولِ نَوْحٍ دَائِمٍ وَحَيْنِ	وَالْقَائِلِينَ لِفَاطِمٍ آذَيْنَا
بِظِلِّ أَوْرَاقِهَا وَغُصُونِ	وَالْقَاطِعِينَ أَرَاكَةَ كَيْ لَا تُقِيلُ
لَمْ يَجْتَمِعْ لَوْلَاهُ شَمْلُ الدِّينِ	وَمُجْمَعِي حَطَبٍ عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي
وَالْمُسْقِطِينَ لَهَا أَعَزَّ جَنِينِ	وَالدَّاخِلِينَ عَلَى الْبَتُولَةِ بَيْنَهَا
وَالطُّهْرُ تَدْعُو خَلْفَهُمْ بِرَيْنِ	وَالْقَائِدِينَ إِمَامَهُمْ بِنَجَادِهِ
رَأْسِي وَأَشْكُو لِلإِلَهِ شُجُونِي	خَلُّوا ابْنَ عَمِّي أَوْ لَا كَشِفَ لِلدُّعَا
بِالْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دُونِي	مَا كَانَ نَاقَةَ صَالِحٍ وَفَصِيلُهَا
عَبْرَى وَقَلْبٍ مُّكَمَدٍ مُحْزُونِ	وَرَنْتُ إِلَى الْقَبْرِ الشَّرِيفِ بِمُقْلَةٍ
أَبْتَاهُ عَزَّ عَلَى الْعِدَاةِ مُعِينِي	نَادَتْ وَأَظْفَارُ الْمَصَابِ بِقَلْبِهَا
تُبْعَا وَمَالَ النَّاسِ عَنْ هَارُونِ	أَبْتَاهُ هَذَا السَّامِرِيُّ وَعِجْلُهُ
هُوَ فِي النَّوَائِبِ مُذْ حَيَّتْ قَرِينِي	أَيَّ الرَّزَايَا أَتَقَيَّ بِتَجَلُّدٍ
أَمْ كَسَرَ ضِلْعِي أَمْ سَقُوطَ جُنِينِي	فَقَدِي أَبِي أَمْ غَضَبَ بَعْلِي حَقَّهُ
أَمْ جَهْلَهُمْ حَقِّي وَقَدْ عَرَفُونِي	مَ أَخَذَهُمْ إِرْثِي وَفَاضِلَ نِحْلَتِي
وَسَأَلْتَهُمْ حَقِّي وَقَدْ نَهَرُونِي	قَهَرُوا يَتِيمِيكَ الْحُسَيْنَ وَصَنُوهُ

من المظالم التي وقعت على بضعة النبي الأعظم (عليه السلام) منعها من البكاء على رسول الله (ﷺ) بعد أن كانت

تتعاهد قبر النبي (ﷺ) بالنياحة والبكاء.

قال العلامة شرف الدين - رحمه الله -: « وهنا نلفت أولي الألباب إلى البحث عن السبب في تنحي الزهراء (عليها السلام)
عن البلد في نياحتها على أبيها (عليها السلام) وخروجها بولديها في لمة من نسائها إلى البقيع يندبن رسول الله (ﷺ) في ظل -
شجرة - أراكه كانت هناك، فلما قطعت بنى لها علي (عليه السلام) بيتاً في البقيع كانت تأوي إليه للنياحة، يدعى: «بيت

الأحزان» وكان هذا البيت يزار في كل خلف من هذه الأمة^(١).

أمّا كيف تم منعها من البكاء؟ فيقول العلامة المحدث محمد باقر المجلسي: «اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة (عليها السلام) تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتنهأ بالنوم في الليل على فراشنا، ولا بالنهار لنا قرار على اشغالنا وطلب معاشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال (عليه السلام): ...»

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل على فاطمة (عليها السلام) وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء فلما رآته سكنت هنيئة له فقال لها: «يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إن شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً.

فقالت عليها السلام: «يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم فوالله لا سكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»، فقال لها علي (عليه السلام): «افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك. ثم أنه بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمّى بيت الأحزان وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين (عليهما السلام) أمامها وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) فردّها إلى المنزل^(٢).

لأن استمرار فاطمة بالبكاء كان يوضح موقفها الشرعي كان يوضح موقفها الديني وكان يبيّن مدى اعتراضها وسخطها على الأشخاص الذين غصبوا الخلافة والذين أبعدها أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) عن خلافته وقيادته الدينية الإلهية.

قد يكون البكاء جاء لنشر المعارف وبيان العقائد، فقد ربط الإمام السجاد العباد بفكرها الفقهي والعقائدي، فالبكاء يربطك بمنهج من تبكي عليه، ويعرفك ببعض صفاته (عليه السلام): «أشهد أنك كنت نوراً في الأضلاب الشاحجة، والأزحام المطهرة، لم تنجسك الجاهليّة بأنجاسها، ولم تلبسك من مدهمات ثيابها»^(٣).

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يَقُولُ أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عَ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدَّيْهِ بَوَاهُ اللَّهِ بِهَا غُرْفًا يَسْكُنُهَا أَحْقَابًا وَ أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدَّهِ فِيهَا مَسْنَا مِنَ الْأَذَى مِنْ عُدُونًا فِي الدُّنْيَا بَوَاهُ اللَّهِ مُبَوَّأً صَدَقَ وَ أَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَسَّهُ أَذَى فِينَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدَّهِ مِنْ مَضَاضَةٍ مَا

(١) النص والاجتهاد: ص ٣٠٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٧٨.

(٣) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة المجلد ١٤ ص ٥٠٠.

أَوْذِي فِينَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ الْأَدَى وَأَمَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَخَطِهِ وَالنَّارِ»^(١)

وعن أبي حمزة الثمالي: سُئِلَ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام عَنْ كَثْرَةِ بُكَائِهِ، فَقَالَ: إِنَّ يَعْقُوبَ عليه السلام فَقَدْ سَبَطاً مِنْ أَوْلَادِهِ، فَبَكَى عَلَيْهِ حَتَّى ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ وَابْنُهُ حَيٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَاتَ، وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي وَسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي قُتِلُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَتَرَوْنَ حُزْنَهُمْ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي؟! ^(٢)

ماذا حقق البكاء؟

وعن طريق البكاء هذا المشفوع بالدعاء طبعاً، استطاع الإمام عليه السلام أن يحقق الأغراض التالية:

١. تبريع أو استنهاض الضمير النابض في الأمة والذي لم يمت بعد، أي مخاطبة الفطرة السليمة، من خلال دموع ساخنة ونشيج صادق لا يمكن تفسيره ببساطة على أنه مجرد عواطف فائرة على فجعية مرّت وكارثة حلّت، ولا سيّما وأنه من إمام يعرف أكثر من غيره القضاء والقدر وحتمية الموت وطوارق الشنن...

٢. استثمار جميع المواقف والمناسبات التي تُذكر الناس بالجريمة الكبرى التي ارتكبت بحق سبط النبي وسيد شباب أهل الجنة، وعبر بكاء حارّ صادق يتفجّر أمام قصاب مثلاً يذبح شاته فيسقيها ماءً قبل ذبحها - كما مرّ - أو أمام ضيف فقد عزيزاً فغسله وكفّنه - كما ذكرنا - أو على مائدة إفطار يُقدّم فيها الماء للعطاشى والضامئين، وغير ذلك مما كان يذكّر بتجاوز الحدود، وقساوة القلوب، أي قلوب القتلة التي كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة، وهذا يعني تركيز الشعور بالإثم الكبير الذي ارتكب في طفوف كربلاء.

٣. إيهام السلطة الحاكمة وعيونها وأزلامها ومرترقتها أن المفجوع ليس لديه إلا البكاء، وأنّه ليس عملاً جُرمياً يبرّر للسلطة اتخاذ إجراء قمعيّ لمواجهة، فكيف إذا كان المفجوع باكياً فعلاً وليس متباكياً، كما هو حال الإمام عليه السلام.

٤. وحين تختلط دموع البكاء مع تراب قبر المتوقّ، وهو ما كان يفعله الإمام حين كان يطيل سجوده وبكائه على التراب الذي احتفظ به من ثرى قبر والده ومسحه بخاتمه الذي أصّر على لبسه والمحافظة عليه مع الشعار المنقوش عليه والذي كان يردده عليه السلام: «خزي وشقي قاتل الحسين بن علي»^(٣)، تكون رسالة البكاء أكثر تعبيراً وأمضى أثراً في إذكاء الوجدان المعذّب والضمير الحي وتفجيرهما ضد الظلم والظالمين.

٥. أما حين يمتزج البكاء مع الدعاء، الذي سنأتي على ذكره، وتتكامل لوحة الرفض المقدّس عبر العاطفة

(١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة/ ج ١٤ / ص ٥٠٠.

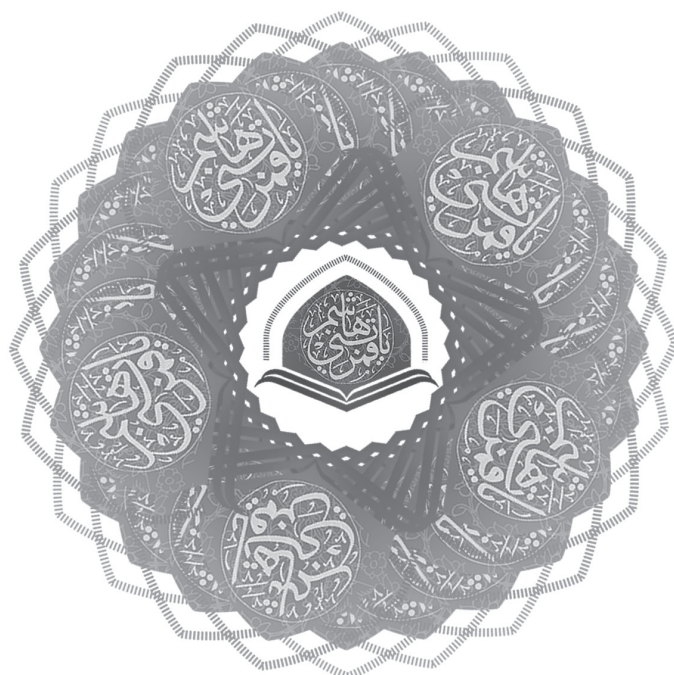
(٢) المصدر نفسه/ ج ١٤ / ص ٥٠٠.

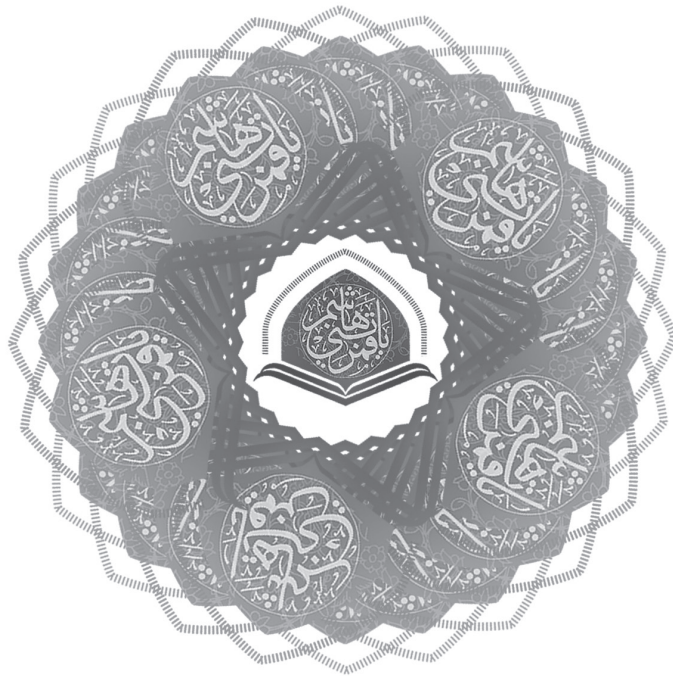
(٣) الكافي ٦: ٤٧٤ / ٦، عيون اخبار الرضا ٢: ٥٦.

والفكر، وعبر العقل والقلب، يكون الهدف من البكاء أكثر تجلياً وسطوعاً، وهذا ما كان يُلاحظ عند الإمام عليه السلام وهو يُخَرُّ ساجداً على حجارة خشنة في الصحراء يوماً ويشهق شهيقاً مرّاً مرّداً: «لا إله إلا الله حقاً حقاً.. لا إله إلا الله تعبداً ورقاً.. لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً..» ثم يرفع رأسه وإذا بلحيته ووجهه مخضبان بدموع عينيه، فيقول له أحد أصحابه: أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقل؟! ويأتيه الجواب المارّ الذكر، ليكون دالةً معبرةً عن حزنٍ ليس كمثله حزن، وبكاء ليس كمثله بكاء...

إنّه باختصار شديد، رسالة صامته شديدة اللهجة، ودموع حرّى ناطقة، وبيان صارخ مشحون بعواطف البكاء النبيلة ممزوجة بشرى تراب طاهر، مشفوعاً بتأوهات خالصة أرادت وتريد أن تواجه الظالم بأفصح ما يكون التعبير عن الرفض والغضب المقدّس وأقدس ما يكون الإفصاح عن الثورة والتمرد. إنّه سلاح ماضٍ لكشف الجرم الكبير وفضحه والدعوة لقطع اليد التي نفّذته، وأمام من؟ وبدموع من؟

بدموع الثائر المفجوع الذي لم يستطع الاستشهاد في اليوم العظيم، لمرضٍ أقعده، وعلةٌ ما كان يستطيع الوقوف على قدميه بسببها، فشاءت إرادة الله أن تحتفظ به ليكشف خيوط الجريمة الكبرى. نعم، إنّه البكاء الهادف، والدموع الناطقة، إنّه بكاء أفقه أهل زمانه وأعلمهم وأورعهم وأتقاهم، حفيد النبي صلى الله عليه وآله، وابن سبطه، المفجوع بقتله، الشاهد على دمه، حامل رسالته ومبلّغ أمانته ووصيه ووريثه والداعي إلى حقّه.. إنّه بكاء علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.





العباس بن علي عليه السلام قائدًا

الشيخ حسين أحمد

نقف هنا على شاطئ بحر الجود والعطف والكرم.
أو أننا نقف أمام جبل من الإباء والتضحية والفداء.
نعم؛ نحن نقف بين يدي عملاق من عمالقة الإنسانية في أجلي وأفضل وأسمى، وأعلى وأسنى وأبهى
معانيها في بني البشر العاديين وليس المعصومين الذين اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه القدوسية.
نقف على أعتاب رجل عظيم وهمام مهاب كريم، من بني هاشم الكرام حسبًا ونسبًا، ومن بني عامر
خؤولة وأكرم بهم من أحوال أجاويد، فهم فحولة من العرب.
نحن بين يدي العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عضيد الحسين ونصيره.
اسم يهزُّ الرجال، ويزرع الأبطال ويزرع الثقة في النفوس المؤمنة والهلح في القلوب الفاسقة المنافقة، لأنَّ
العباس كان سيف الحق الأمضى والأطول عبر التاريخ الإنساني كله.
أبو الفضل العباس لم يكن شخصًا فقط، بل كان شاخص هداية وولاية.
ولم يكن قائد جيش الحق الحسيني فحسب بل كان نبراس القادة، وقدوة الجنود في كلِّ معركة يكون فيها
الحق طرفًا في وجه الباطل.
ولو تأملنا السيرة المنيرة لسيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام منذ الولادة الميمونة، وحتى الشهادة المشهودة على
ضفاف العلقمي، فإننا نجد سيرة رجل قلَّ نظيره في التاريخ، وندر مثاله في الرجال وكأنه ولد وترًا واستشهد
واقفًا لم ينحن إلا لله في صلاته.
والسيرة الإنسانية والشخصية لسيدنا العباس عليه السلام مازالت بكرًا رغم أنَّ بعض الأعلام الكرام مؤخرًا
حاولوا سدَّ هذه الثغرة في تاريخنا الإسلامي المظلوم لأنَّه كُتب بأقلام وعَاط السلاطين، وخرج من دكاكينهم
العفنة مسطورًا بأقلام زبانيته المأجورة، والمغموسة ريشهم في دماء الأبرياء وعلى رأسهم الأولياء والعظماء
من آل محمد الأطهار عليهم السلام وشيعتهم الأبرار.

فتاريخ الأمم يكتبه الملوك والسلاطين والحكام، ولذا تراهم قليلاً ما يذكرون فيه قصص العظماء والأولياء إلا لماً وحتى تلك الملاحم التي ما استطاعوا إخفاءها حاولوا تشويهها قدر طاقتهم وجهدهم.

ولاسيما قصة المأساة المتجددة والملحمة العجيبة الغريبة في يوم عاشوراء الدامي، الذي لطّخ السماء والأرض بالدماء وصبغها بصبغتها الحمراء، ومهما حاولوا إخفاءها يُظهرها الله للعالم من جديد فهي متجددة مع كلّ شمس حيّة مع كلّ نفس.

ولذا لا عجب أن نجد التهميش وشبه التغييب المتعمّد لسيرة ومسيرة رجل قلّ نظيره في الرجال حسباً ونسباً وبطولة وشجاعة وإخلاصاً وإيماناً و يقيناً ورمزاً شامخاً وقائداً بارعاً مقداماً اسمه العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فلماذا غيّبوا سيرة هذا العملاق في الروح والجسد عن صفحات التاريخ، وبالتالي عن واقع الأمة ولاسيما وهي بأحوج ما تكون لقدوة عالية كالعباس لتربي أجيالها على نهجه القويم وتعلّمهم أخلاقه الفاضلة، وتسقيهم روحه المتفانية في الله وأوليائه، فهو ابن الأنزع البطين الذي لا شبه له ولا نظير إلا صنوه وسيده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وأخواله أولئك الأبطال، فهل التغييب كان لعب أو نقص فيه (حاشاه حاشاه) أم أنّه وراء الأكمة ما وراءها، وذنبه كذنب أخيه (بغضاً منّا لأبيك)؟

نعم؛ العباس كان جبلاً شاهقاً من الأخلاق، ومقلعاً للفضائل والقيم، ولا أحد يدانيه في الحسب والنسب إلا إخوته من أبناء سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) خاصةً فلماذا ظلمته الأقلام المأجورة، وذكرته الروايات المشهورة؟ لا أظنّ لأنني على يقين أنّ ذنبه كان أبوه وذنبه عند العرب عامّة وقريش خاصّة، وهو ما لحق جدّه العظيم مؤمن قريش سيدنا أبا طالب (عليه السلام).

فجده الكريم عبد مناف (أبو طالب) (عليه السلام). كان ذنبه أنّه حامي النبي (صلى الله عليه وآله) ووالد علي (عليه السلام).

وأبوه العظيم الإمام علي (عليه السلام) فكان ذنبه أنّه وصي الرسول وزوج البتول فاطمة (عليها السلام).

فذنّب سيدنا العباس أنّه حفيد أبي طالب، وابن علي، وقائد جيش الحق الحسيني، وحامل لوائه في يوم عاشوراء الخالد في الزمان والمكان.

أبو الفضل العباس كان عظيماً في عيون الجميع إلا أنّه كان في عين نفسه الثاقبة أنّه خادماً لإخوته من أبناء سيدة النساء (عليها السلام)، وهكذا ربّته وعلمته أمّه العظيمة المباركة ابنة الأصول الكريمة والأعراق الطيبة السيدة أمّ البنين (عليها السلام). فكانت منذ ولادته المباركة الميمونة تلقّنه وكأنّها تقول له: يا بني أنت ابن أمير المؤمنين علي أمام كلّ الناس فكن شامخاً شموخ الجبال، ولكن أنت ولدي أمام ولد فاطمة الزهراء (عليها السلام) فكن خادماً مطيعاً لهم فلا تخالفهم،

ولا تنادي لهم إلا بسيدي.

هذا هو ذنب سيدنا العباس، وهنا يكمن سرُّ عظمته.

فالعباس كان جبلاً شامخاً يقف أمام جيوش جرارة ثلاثين ألفاً حاملاً اللواء ليخفق على رأس أخيه وإمامه وقائده الأقدم الحسين (عليه السلام) وأصحابه، ويسكن ويركن في أفيائه بنات الرسالة برعاية سيدته زينب الكبرى (عليها السلام) الذي كان خادماً مطيعاً وكافلاً لها في جميع شؤونها وحاجاتها.

فما أعظمه من قامة، وأجله من أخٍ مواسٍ، وقائد مضحٍّ؟

حامل اللواء في يوم عاشوراء

كان سيدنا العباس صاحب الراية العظمى، وحامل لواء الرسالة التي كانت مع الإمام الحسين (عليه السلام) في حركته منذ انطلاقته من المدينة المنورة، إلى مكة المكرمة، ثم إلى أرض كربلاء حيث التقت الأرض بالسماء، وتفجّرت الأرض بالدماء الطاهرة الزكية، وسالت تلك النفوس الأبية لتسقي رسالات الله لهذا الخلق.

فماذا يعني (حامل اللواء) في العُرف العسكري يومها؟

اللواء: هو ما يُعقد على رمح طويل أو خشبة طويلة، ويقال له: (الرّاية)، كما يطلق عليها (العَلَم)، وقد يطلق عليها (العُقَاب، أو البَنْد) هذا عند أهل اللغة.

وأما المصادر التاريخية فلم ترشدنا إلى أوّل مَنْ رفع اللواء، ويقوى في الظن أن إبراهيم الخليل (عليه السلام) هو أوّل مَنْ اتخذ الراية، وذلك لما غلب الروم على لوط (عليه السلام) وأسروه فرفع الخليل راية وسار لمحاربة الروم، فغلبهم واسترجع لوطاً^(١).

ففي كتاب العين للفراهيدي، (العُقَاب): العَلَمُ الضَّخْمُ تشبيهاً بالعقاب الطائر.

وفي تاج العروس (العُقَابُ): عَلَمٌ ضَخْمٌ واسمُ رَايَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كما وَرَدَ في الْحَدِيثِ. وفي لِسَانِ الْعَرَبِ: الْعُقَابُ: الَّذِي يُعْقَدُ لِلْوَلَاةِ شُبَّهٌ بِالْعُقَابِ الطَّائِرِ وَهِيَ مُؤَنَّثَةُ الْعُقَابِ: الرَّايَةُ وَكُلُّ مُرْتَفِعٍ لَمْ يَطُلْ جِدًّا^(٢).

اللَّوَاءُ: الرَايَةُ وَلَا يُمْسِكُهَا إِلَّا صَاحِبُ الْجَيْشِ.

وقد يطلق عليها البَنْدُ؛ والبَنْدُ هي؛ العَلَمُ الكبير وجمعه بَنْود، والبَنْدُ؛ كل عَلَمٍ من الأعلام وفي المحكم من أعلام الروم يكون للقائد ويكون تحت كل عَلَمٍ عشرة آلاف رجل أو أقل أو أكثر^(٣).

(١) تهذيب الأحكام ٦: ١٧٠، باب النوادر، مستدرک الوسائل ٩: ١١.

(٢) تاج العروس بآدة عقب ٢: ٢٥٣، نقلاً عن لسان العرب لابن منظور ١: ٦٢١.

(٣) لسان العرب ٣: ٩٧، تاج العروس ٤: ٣٦٦.

والمهم أنه عندما جاء الإسلام، وانتشر العرب في أنحاء الشام، وفارس، ومصر، وتعددت دولهم، كثرت ضروب الأولوية عندهم، وتنوّعت أشكالها، وتعددت ألوانها وأطالوها وسمّوها بأسماء مختلفة، حتّى تفاخروا بتعدادها، فقد بلغت رايات العزيز بالله الفاطمي لما خرج إلى فتح الشام خمسمائة راية ومثلها البوقات.

وكانوا ينقشون على راياتهم أسماء الخلفاء والسلاطين والقواد، إرهاباً وإعزازاً وتفاؤلاً بالظفر، فقد كتب ابن بشكم على رايته (الرائقي) نسبة إلى ابن رائق، وربما كتبوا آيات القرآن عليها، فقد وجد في دير الظاهر مدينة برغوس في الأندلس راية من الحرير الخالص مطرّزة بالنقوش الجميلة وعليها آيات قرآنية).^(١)

وكتب أبو مسلم الخراساني بالخير على لوائه: {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُحِلُّونَ اللَّهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِقْدِيرٍ} (الحج: ٣٩)، ثمّ إنّه عقد لواء بعثه إليه إبراهيم الإمام اسمه "الظل" على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد آخر بعث به إليه اسمه "السحاب" على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً).^(٢)

أمّا ألوان الأولوية والرايات فلا يُعرف عنها شيء في الجاهلية سوى راية العقاب فإنّها سوداء، وكذلك راية النبي ﷺ، ويقال: إنّ رايات العرب كانت بيضاء).^(٣)

أمّا رايات النبي ﷺ في مغازيه فمختلفة، ففي بدر كانت راية حمراء وراية أمير المؤمنين صفراء، ويوم أحد وخيبر اللواء والراية أبيضان).^(٤)

وكيف كان، فالراية: عقد نظام العسكر وآية زحفهم، فلا يخالون انجفلاً ما دامت تسري أمامهم، فهي بتقدّمها شارة الظفر وعلامة الفوز، فلن تجد جحفاً مثلاً وفيلقاً ملتثاً إلّا إذا انكفأت الراية أو أُصيب حاملها، فخرّت، ولذلك لا تُعطى إلّا للأكفاء الحماة الغيارى على المبدأ، ممّن لا يُجِبُّه الخور، أو يفشله الضعف، أو يخذله الطمع).^(٥)

ويبقى أجمل ما قرأت في هذا المجال هو قول أمير المؤمنين وسيد الوصيّين أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، الذي كان يُحرّض فيه جيوشه في يوم صفين حيث، يقول: (وَرَأَيْتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخْلُوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا

(١) العباس بن علي عليه السلام السيد المكرم: ص ٢٣٤، عن التمدّن الإسلامي ج ١: ص ١٩٦. وفي الصفحة ١٦٨ ذكر اهتمام الفاطميين بالولاية والرايات والدرق، فمن ذلك أنّهم صنعوا بيتاً بمصر يقال له: "خزانة البنود" وكان في جملتها لواء يسمونه: لواء الحمد.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٣٤، تاريخ الطبري ٦: ٢٥.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٣٥، عن آثار الدول للقرماني.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٣٥، عن مناقب آل أبي طالب ٣: ٨٤.

(٥) المصدر نفسه: ص ٢٣٥.

بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ،^(١) فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ،^(٢) هُمُ الَّذِينَ يَحْقُقُونَ بِرَايَاتِهِمْ،^(٣) وَيَكْتَنِفُونَهَا؛^(٤) حَفَافِيهَا، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفَرِّدُوهَا^(٥).

ولذا نجد أن السيرة العربية في الحروب هكذا لا يعطون اللواء إلا لأشجعهم، وأنهدهم وأقواهم في أمرها وحفظها ويوصونه حتى بعدم ميلانها في المعركة، لأنَّ عيون الجيش كلّ يتوجّه إليها فما دامت الراية واللواء مرفوعا يعني أن المعركة قائمة على أشدها، وإذا سقطت يعني الفشل والهزيمة حلّت بأهلها وأصحابها، فكان حملة الرّايات يتهالون دون حملها ويحمونها إلى آخر نفس يتنفسونه، وآخر قطرة تسقط من دمائهم، حذراً من وصمة العار، وصمة الشنار، بعدم حمى الدمار.

من أجل ذلك كانت راية الإسلام مع أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في جميع مغازي الرسول القائد وهو حامل لواء الحمد أيضاً في الآخرة كما في الروايات الشريفة.

وفي يوم أحد فقط حيث كان اللواء مع مصعب بن عمير لأنّه من بني عبد الدار، ولواء المشركين مع قومه وبني عموته من بني عبد الدار أيضاً، وبعد أن فعل مصعب ذلك اليوم ما يبهر العقول وأدّى حقّ اللواء حتّى قطعت يده اليمنى، ثمّ اليسرى، فضمّ اللواء إلى صدره حتّى طعن بالرمح في ظهره فسقط إلى الأرض شهيداً سعيداً، دفع النبي القائد ﷺ اللواء إلى صاحبه أمير المؤمنين علي عليه السلام ففعل الأفاعيل ببني عبد الدار حملة لواء قريش حيث قتل تسعة منهم وفي كلّ مرة كان يسقط لواء الشرك على الأرض.

يُروى أنّه (قد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العدوي من بني عبد الدار فبرز ونادى يا محمد! تزعمون أنّكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار ونُجهزكم بأسيافنا إلى الجنة فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

يا طلح إن كنتَ كما تقول	لنا خيولٌ ولكم نصولُ
فأثبت لننظر أئنا المقتول	وأئنا أولى بما تقولُ
فقد أتاكَ الأسد الصَّوول	بصارم ليس به فلولُ

بنصرة القاهر والرسول

(١) الدمار - بسكر الذال -: ما يلزم الرجل حفظه وحمايته من ماله وعرضه.

(٢) حقائق: جمع حاقّة، وهي النازلة الثابتة.

(٣) يحقون بالرايات: أي يستديرون حولها.

(٤) يكتنفونها: يحيطون بها. حفافها: جانبيها.

(٥) الكافي للكليني: ج ٥ ص ٣٩، وفي نهج البلاغة: خ ١٢٤، وتاريخ الطبري: ج ٤ ص ١١.

فقال طلحة: مَنْ أَنْتَ يا غلام؟

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: قد علمتُ يا قضيّم أنه لا يجسُر عليّ أحدٌ غيرك. فشدّ عليه طلحة فضربه فأتقاه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالجحفة (ترس صغير) ثم ضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) على فخذه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره، وسقطت الراية، فذهب علي (عليه السلام) ليجهز عليه فحلّفه بالرّحم فانصرف عنه.

فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟

قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً، وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي (عليه السلام) وسقطت الراية على الأرض.

فأخذها شافع (مسافع) بن أبي طلحة فقتله علي (عليه السلام) فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي (عليه السلام) فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي (عليه السلام)، فسقطت الراية إلى الأرض.

وأخذها أبو عذير بن عثمان فقتله علي (عليه السلام) وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فقتله علي (عليه السلام) وسقطت الراية إلى الأرض.

فقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) التاسع من بني عبد الدار وهو أرتاة بن شرحبيل مبارزة وسقطت الراية إلى الأرض. فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) على يمينه فقطعهما وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها بشاله فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) على شماله فقطعهما وسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثم قال: يا بني عبد الدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) على رأسه فقتله، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فقبضتها.^(١)

هذا مثال فقط عن حملة الأولوية والرايات في الحروب وفيه فضيلة لأمر المؤمنين (عليه السلام) لا يُشاركه فيها أحد من العالمين كانت في يوم أحد حيث فضح الله الفارّين المولّين من الزحف كما يشهد المؤرخون ويُنكر المنافقون. وجميل ما يعلق به السيد المكرم (رحمه الله)، حيث يقول: (من هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة، وموقفه من الشهامة، ومحله من الشرف، ومكانته من الدّين، ومنزلته من الغيرة، ومرتقاه من السّودد، يوم عبّأ الحسين أصحابه، فأعطى رايته أخاه العبّاس، مع أنّ للعبّاس أخوة من أمّه وأبيه، وهناك من أولاد أبيه من لا يُسلم اللّواء، كما أنّ في الأصحاب من هو أكبر سنّاً منه، مع صدق المفاداة، ولكن سيّد الشهداء وجد أخاه أبا

(١) الإمام علي وحروب التنزيل الحسين أحمد السيد: ص ١٦٧ عن تفسير القمي سورة آل عمران.

الفضل أكفى مَن معه حملها، وحفظهم لذمامه، وأرأفهم به، وأدعاهم إلى مبدئه، وأوصلهم لرحمه، وأحماهم لجواره، وأثبتهم للطعان، وأربطهم جأشاً، وأشدّهم مراساً.

فكان "صاحب الرّاية" عند معتقد أخيه الإمام ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب ثبات الأسد الخادر، وهذا بيان مطرد تلهج به الألسن، وإلاّ فما موقف الأسد منه! ومن أين له طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت فيما يفر عنه الضرغام.

وللعبّاس مزيّة على مَن حمل اللواء، وبارز الأبطال، وتقدّم للطعان، فإنّه ﷺ قد ألّمت به الكوارث والمحن من نواحٍ متعدّدة؛ من جروح، وعطش، وفئة صرعى، وحرائر ولهى، وأطفال أمّص بها الظمأ، والواحدة منها كافية في أن تهدي إلى البطل ضعفاً، وإلى الباسل فراراً، لكن صرخة بني هاشم بالرغم من كلّ هاتيك الرزايا كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه، وصارم من عزمه، وكان في حدّ حسامه الأجل المتناح، وملك الموت طوع يمينه، إذاً فليس من الغريب إذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول:

قسماً بصارمه الصّقيّل وإنّني في غير صاعقة السّما لا أقسم
لولا القضا لمحا الوجود بسيفه والله يقضي ما يشاء ويحكم^(١)

هذا بعض الحديث عن اللواء وبعض مواصفات حامل اللواء في المعارك والحروب لأنّ سيدنا ومولانا أبا الفضل العباس كان حامل راية الحق ولواء الإمام الحسين ﷺ في يوم عاشوراء المأساة.

فهو سليل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وأعتقد أنّ المحبّة في حديث الرسول الأعظم ﷺ هي نفسها التي تحدّث بها البطل الوحيد الذي نجا من مجزرة عاشوراء الإمام علي بن الحسين ﷺ قالها في مجلس يزيد الشر في قصره ومن على منبره في الشام، حيث قال: (أيّها الناس اعطينا ستّاً؛ أعطينا العلم، والحلم، والسّماحة، والفصاحة، والشّجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين).^(٢)

بالحقيقة والواقع هذه الصفات الست هي ذاتها صفات القادة الرّبّانيين، وهي ذاتها صفات سيدنا أبي الفضل العباس ﷺ لأنّه من ذاك البيت الذي جعله الله مثلاً يُتخذى في بيوت العالمين، إنّ ابن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

وإذا أردنا البحث في كل مفردة من هذه المفردات التي لها قيمتها الذاتية وقيمتها باتصاف أبي الفضل العباس بها فإنّنا نحتاج لمقال طويل، وربما لكتاب مستقل لاستيفائها حقّها، وإن اعترفنا بتقصيرنا عن أداء شيء من حق سيدنا أبي الفضل ﷺ.

(١) العباس بن علي ﷺ السيد المكرم: ص ٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٣٨.

ولذا سنبحث بشيء من الاقتضاب عن عنوانين فقط وهما المشتركان اللذان ذكرهما الله تعالى في محكم كتابه العزيز (بسطة في العلم والجسم) من كل هذه العناوين التي وهبها الله لسيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام رئيس أركان جيش الحق الحسيني وحامل لوائه المبارك، وذلك لتضمن هاتين الصفتين لكل ما عداهما، أو لوضوح وبديهية وجود بقية الصفات لسيدنا العباس بن علي عليه السلام.

بسطة في العلم:

العلم هو من أهم صفات القائد الرباني - كما في الآية الكريمة - والقائد الميداني كما في كلمات وأقوال قادة الجيوش وعلماء العسكر ومؤلفاتهم العسكرية.

فالعلم تلك الفضيلة التي لا تقاس بها فضيلة أخرى، لأن العلم هو صفة أهل البيت ورجالاتهم كباراً وصغاراً، فكبيرهم لا يُقاس وصغيرهم جمة لا تُداس، فهم علماء حلماء، آتاهم الله العلم صغاراً، بما تفضل به عليهم، ولذا نجد أن سيدنا أبا الفضل العباس هو من أولئك الفتية الذين اجتمع له من أسباب العلم والفضل ما لم يجتمع لغيره من حيث المربي والمعلم والقابلية الذاتية لأبي الفضل عليه السلام.

ونعم ما تفضل به العلامة المفضل سيدنا المكرم (رحمه الله) حيث يقول: (فهو رضيع لبانه، وناهيك في حجر أبيه مدرسة يتخرج منها مثل أبي الفضل عليه السلام، وما ظنك بهذا التلميذ المصاغ من جوهر الاستعداد، وذلك الأستاذ الذي هو عيبة العلم الإلهي، وعلبة أسرار النبوة، وهو المقيض لنشر المعارف الربوبية، وتعليم الأخلاق الفاضلة، ونشر أحكام الإسلام، ودحض الأوهام والوساوس)^(١).

وإذا كان الإمام عليه السلام يُربي البعداء الأجانب بتلك التربية الصحيحة الماثورة، حتى استفادوا منه آثار التكوين، ووقفوا على غامض ما في الشأين، وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلايا، كحبيب بن مظاهر، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد، وأمثالهم؛ فهل من المعقول أن يذر قرّة عينه، وفلذة كبده خلواً من أي علم؟! لا والله، ما كان سيّد الأوصياء يرضى بشيء من علومه، ولا سيّما على قطعة فؤاده.

فهناك التقى مبدأً فيّاضاً، ومحلاً قابلاً للإفاضة، وقد ارتفعت عامّة الموانع، فذلك برهان على أن "عباس اليقين" من أوعية العلم، ومن الراسخين فيه.

وبعد هذا كلّ، فقد حوى أبو الفضل من صفاء النفس، والجليلة الطيبة، والعنصر الزاكي، والإخلاص في العمل، والدؤوب على العبادة، ما يفتح له أبواباً من العلم، ويوقفه على كنوز المعرفة، فيتفرّع من كلّ أصل فرع، وتنحلُّ عنده المشكلات.

(١) العباس بن علي عليه السلام السيد المكرم: ص ١٥٦.

وإذا كان الحديث ينصّ على أنّ مَنْ أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينباع الحكمة من قلبه على لسانه، إذن فما ظنك بمن أخلص لله سبحانه طيلة عمره، وهو متخلّ عن كلّ رذيلة، ومتحلّ بكلّ فضيلة، فهل يبقى إلاّ أن تكون ذاته المقدّسة متجلّية بأنوار العلوم والفضائل، وإلاّ أن يكون علمه تحقّقاً لا تعلّقاً؟!

وبعد ذلك فما أوشك أن يكون علمه وجدانيّاً، وإن برع في البرهنة وتنسيق القياس، ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين (عليهم السلام): (إنّ العباس بن علي زُقّ العلم زقاً).^(١)

وهذا من أبدع التشبيه والاستعارة، فإنّ الزُقّ يستعمل في تغذية الطائر فرخه حين لم يقوَ على الغذاء بنفسه، وحيث استعمل الإمام (عليه السلام) - وهو العارف بأساليب الكلام - هذه اللفظة هنا، نعرف أنّ أبا الفضل (عليه السلام) كان محلّ القابلية لتلقي العلوم والمعارف، منذ كان طفلاً ورضيعاً، كما هو كذلك بلا ريب^(٢).

وقال العلامة المامقاني في شأنه (عليه السلام): (وقد كان من فقهاء أولاد الأئمة).

وقال العلامة محمد باقر البيرجندي: (إنّ العباس من أكابر الفقهاء وأفاضل أهل البيت بل إنّهُ عالم غير متعلم وليس في ذلك منافاة لتعليم أبيه إياه)^(٣).

فالعباس قائد ملهم، وعالم غير مُعلم على ما يظهر من الكلمات السابقة. ولذا ورد في زيارته المباركة (وَإِنَّكَ قَدْ مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ)^(٤)، وقول الإمام الصادق (عليه السلام): (كان عمّنا العباس نافذ البصيرة)^(٥)

والبصيرة؛ هي فتح عيون القلب على الحقائق فيراها كما هي عليه، ويقابلها فتح العيون بالبصر لترى ظواهر الأشياء، والبصيرة هي هداية وتسديد من الله لمن يريد به الخير كسيدنا ومولانا أبي الفضل العباس (عليه السلام) الذي كان نافذ البصيرة.

بسطة في الجسم

وأما الحديث عن قوام وهندام وقيافة سيدنا العباس فكان مضرّباً للأمثال في وسامته وتماثل خلقته حتى أطلقوا عليه أوصافاً لم تطلق على غيره من بني أبيه الأكارم فقد كانت العرب تقول لعبد مناف: (قمر البطحاء)، ولعبد الله والد النبي (عليه السلام): (قمر الحرم)^(٦)، وذلك لجماهم وكماهم في العرب، وأمّا العباس فهو (قمر العشيرة)،

(١) العباس بن علي (عليه السلام) السيد المكرم: ص ١٥٨ عن أسرار الشهادة: ص ٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٥٨ بتصرف منا.

(٣) العباس بن علي بطل النهضة الحسينية، السيد أبي القاسم الديباجي: ص ٣٧.

(٤) مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي: ص ٥٠٩ زيارة العباس (عليه السلام).

(٥) العبد الصالح العباس بن علي (عليه السلام) السيد هادي الموسوي: ص ١٠٩ عن شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار

(٦) العباس بن علي (عليه السلام) السيد المكرم: ص ١٣٠.

و(قمر بني هاشم)، وإذا علمنا أنَّ بني هاشم هم أقمار العرب لأنَّهم كما يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (نَحْنُ أَفْصَحُ وَانْصَحُ وَأَصْبَحُ)^(١)

وليس ذلك في الوجه وجماله وتناسقه وكأنَّه بدر تمَّ في ليلة كماله وجماله، بل كان جسيماً وسيماً حتى قال السيد المكرم في وصفه: (ولمَّا تطابق فيه الجمالان الصوري والمعنوي قيل له: "قمر بني هاشم"، حيث كان يفوق بجماله كُلَّ جميل، ويبدُّ بطلاوة منظره كُلَّ أحد، حتَّى كأنَّه الفذُّ في عالم البهاء، والوحيد في دنياءه، كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم، وهذا هو حديث الرّواة: (كان العباس رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المطَّهم^(٢) ورجلاه تخطان في الأرض).^(٣)

ومن يطلُّ على ما كتبه الرّواة والمؤرِّخون عن صفات سيدنا العباس يعجب من كثرة الأوصاف الجمالية، والكمالية فيه، وتشعر بأنَّهم مقصِّرون عن إيفائه بالوصف الذي يليق به، وفعلاً هو وترٌّ ودرّةٌ وحيدة في تركيبه وخلقته وجميع صفاته الإنسانية ولذا استحقَّ رتبة تالي المعصوم في كماله وجماله الجسدي والروحي المعنوي. فالعباس كان قامة قلَّ نظيرها حتى في بني هاشم، وربَّما لأنَّه حوى كلَّ الإحسان من أصله (أبيه وأمه)، وذلك بقصّة معروفة جرت لأمر المؤمنين حيث أراد أن يتزوج بامرأة ولدتها الفحولة من العرب، فأشار عليه أخوه النّسابة (عقيل) أن يتزوج فاطمة بنت حزام الكلابية (أم البنين) العامرية، (وأبوها حزام من أعمدة الشرف في العرب، ومن الشخصيات النابهة في السخاء والشجاعة وقرى الأضياف، وأمّا أسرتها فهي من أجَلِّ الأُسُر العربية، وقد عُرفت بالنجدة والشهامة)^(٤)

وكانت تلك الشخصية المتميزة بكلِّ ما فيها هي شخصية سيدنا العباس قائد أركان، وحامل لواء الحق في يوم عاشوراء الخالدة، ولكن ما يميزها أكثر كان الشجاعة والشهامة، وهي البطولة والبسالة، ونتيجتها الولاء والفداء.

عباس الشجاعة

يجب أن نعتز أننا لا يُمكن أن نصف شجاعة سيدنا العباس، وأنا أشعر بالقصور تجاه هذه المسألة لأنَّ شجاعة العباس أعتت البلغاء والفصحاء منذ أيام شبابه وفي ريعان فتوّته وغضاضة عوده ونضارة صباه، والمؤرِّخون يذكرون له مواقف مشهودة في صفّين فقد ذكَّروهم بصولات أبيه في يوم بدر وأحد والأحزاب، يقول أحد الأعلام (أنَّ العباس الأكبر كان فارساً بصفّين كامل الأهبة والعدّة، يقف في صفّ المجالدين

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٢٠.

(٢) المطَّهم: التام من كل شيء، والمتناهي بالحسن، والسمين الفاحش السمن، فالجواد المطَّهم: هو مكتمل، تامّ، متناهٍ في الرشاقة.

(٣) العباس بن علي (عليه السلام) السيد المكرم: ص ١٣٠ عن مقاتل الطالبين: ٥٥.

(٤) العباس بن علي (عليه السلام) الشيخ باقر شريف القرشي: ص ٢٤

فيسْتَعِيرُ أمير المؤمنين (عليه السلام) آتته ولباسه فلا يفرّق بينهما وقد صرّح الكربلائيّ في معالي السبطين بأنّه كان محارباً^(١) وقال الطريحيّ: إنّ العباس (عليه السلام) كان مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحروب والغزوات، ويحارب شجعان العرب ويجالدهم كالأسد الضاري حتّى يجدهم صرعى، وفي يوم صفّين كان (عليه السلام) عوناً وعضداً لأخيه الحسين (عليه السلام) وإنّ الحسين (عليه السلام) في فتح الفرات وأخذ الماء من أصحاب معاوية وهزم أبا الأعور عن الماء.

ثمّ قال: قال الحاج شيخ محمّد باقر البرجنديّ القائيّ في كتابه المسمّى (الكبريت الأحمر): قال بعض من يوثق به: بأنّ يوماً من أيام صفّين خرج شابّ من عسكر أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه لثامٌ وقد ظهر منه من آثار الشجاعة والهيبة والسطوة بحيث أنّ أهل الشام قد تقاعدوا عن حربهِ وجلسوا ينظرون إليه وغلب عليهم الخوف والخشية فما برز إليه أحد، فدعا معاوية برجل من أصحابه يقال له: أبو الشعثاء وكان يُعدُّ بعشرة آلاف فارس، فقال له معاوية: أخرج إلى هذا الشابّ فبارزه.

فقال: يا أمير! إنّ الناس يعدّونني بعشرة آلاف فارس فكيف تأمرني بمبارزة هذا الفتى؟ فقال له: افعل، فبعث إليه بأحد أولاده فقتله الشابّ، ثمّ بعث إليه بآخر فقتله الشابّ، حتّى بعث جميع أولاده (السبعة) فقتلهم الشابّ فعند ذلك خرج ابن شعثاء وهو يقول: أيّها الشابّ! قتلت جميع أولادي والله لأنّك لثامك وأباك وأمّك.

ثمّ حمل اللعين وحمل عليه الشابّ فدارت بينهما ضربات فضربه الشابّ ضربة قدّه نصفين فألحقه بأولاده فعجب الحاضرون من شجاعته عند ذلك صاح أمير المؤمنين (عليه السلام) ودعاه، وقال: ارجع يا بُنّي لثامك تصيبك عيون الأعداء، فرجع وتقدّم أمير المؤمنين (عليه السلام) وأرخى اللثام عنه وقبله بين عينيه فنظروا إليه فإذا هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين.

فالشجاعة العباسية؛^(٢) هي فرع الشجاعة العلويّة الحيدريّة بل قدّت منها قدّاً وهذا الشّبل من ذاك الأسد، وقد أحسن من قال فيه:

بطل تورّث من أبيه شجاعة فيها أنوف ذوي الضلالة ترغم

ثمّ يقول: (ويكفي لإثبات شجاعته (عليه السلام) ما كان منه يوم كربلاء من حيث المواقف النادرة في البسالة والشهامة، ومن حيث عدد من قتلهم يومها فهو مُختلفٌ فيه؛ ففخر الدّين الطريحيّ (رحمه الله) ومن وافقه من العلماء رضوان الله عليهم فيقولون: قتل ثمانين بطلاً، وصاحب (الكبريت الأحمر)، وصاحب (أسرار الشهادة)

(١) معالي السبطين: ج ١/ ص ٢٦٧.

(٢) راجع العبد الصالح العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، السيد هادي الموسوي: ص ٢٤٩ وما بعدها.

وصاحب (نور العين) الشافعي فيقولون: ثمانمائة فارس، والجمع بين القولين سهل بحمل الثمانين على المشاهير من الأبطال، وباقي العدد على ما دونهم، وبين هذين القولين أقول بالزيادة والنقصان.

قال فخر الدين الطريحي (رحمه الله) في المنتخب: روي أن العباس بن علي (عليه السلام) كان حامل لواء أخيه الحسين (عليه السلام) فلما رأى جمع عسكر الحسين (عليه السلام) قتلوا وإخوته وبني عمه بكى وإلى لقاء ربّه اشتاق وحنّ فحمل الراية وجاء نحو أخيه الحسين (عليه السلام) وقال: يا أخي! هل من رخصة؟ فبكى الحسين (عليه السلام) بكاء شديداً حتى أبتلت لحيته بالدموع، ثم قال: يا أخي كنت العلامة من عسكري ومجمع عددي فإذا أنت قتلت يؤول جمعنا إلى الشتات، وعمارتنا تنبعث إلى الخراب.

فقال العباس (عليه السلام): فذاك روح أخيك يا سيدي قد ضاق صدري من حياة الدنيا وأريد أن آخذ الثأر من هؤلاء المنافقين.

فقال الحسين (عليه السلام): إذا غدوت إلى الجهاد فاطلب هؤلاء الأطفال قليلاً من الماء. فلما أجاز الحسين (عليه السلام) أخاه العباس برز كالجبل العظيم وقلبه كالطود الجسيم لأنه كان فارساً هماماً وبطلاً ضرغاماً وكان جسوراً على الطعن والضرب في ميدان الكفاح والحرب.

فلما توجه العباس (عليه السلام) إلى الميدان سمع الأطفال وهم ينادون: العطش، العطش. فرمى بطرفه إلى السماء، وقال: إلهي وسيدي! أريد أن أعتدّ بعدتي وأملأ هؤلاء الأطفال قربة من الماء، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة في كتفه وكان قد جعل عمر بن سعد لعنه الله أربعة آلاف خارجيٍّ موكّلين على الماء لا يدعون أحداً من أصحاب الحسين (عليه السلام) يشرب منه، فلما رأوا العباس (عليه السلام) قاصداً إلى الفرات أحاطوا به من كلّ جانب ومكان، فقال لهم: يا قوم! أنتم كفرّة أم مسلمون؟ هل يجوز في مذهبكم ودينكم أن تمنعوا الحسين وعياله شرب الماء والكلاب والخنازير يشربون منه والحسين (عليه السلام) مع أطفاله وأهل بيته يموتون من العطش أما تذكرون عطش القيامة؟ فلما سمعوا كلام العباس (عليه السلام) وقف خمسمائة رجل فرموه بالنبال والسهام فحمل عليهم ففرّقوا هاربين كما يتفرّق عن الذئب الغنم وغاص في أوساطهم حتى قتل منهم على ما نقل ثمانين فارساً فهمز فرسه إلى الماء وأراد أن يشرب فذكر عطش الحسين (عليه السلام) وعياله وأطفاله فرمى الماء من يده وقال: والله لا أشربه وأخي الحسين (عليه السلام) وعياله وأطفاله عطاشى، لا كان ذلك أبداً، ثم ملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن وهمز فرسه وأراد أن يوصل الماء إلى الخيمة فاجتمع عليه القوم فحمل عليهم ففرّقوا عنه وسار نحو الخيمة فقطعوا عليه الطريق فحاربهم محاربة عظيمة^(١)

(١) منتخب الطريحي: ج ١/ ص ٢٧ مجلس ٤ بتصرف .

فقطعوا يمينه، ثم قطعوا شماله، ثم رضخوا رأسه الشريف بعمود الحديد، فسقط عن جواده وهو يصيح:
أخي يا حسين أدركني، فساق الريح كلامه إلى الخيمة فلمّا سمع كلامه أناه فراّه طريحاً فصاح: وا أخاه! وا
عبّاساه! وا قرّة عيناه! وا قلّة ناصراه!

استراتيجية العباس وشموخ الحشد المقدس

إذا تأملنا بالاستراتيجية القيادية لسيدنا أبي الفضل العباس (عليه السلام) فإنّنا نستطيع أن نقول: أنّ استراتيجيته
كانت في طول وامتداد استراتيجية الإمام الحسين (عليه السلام) القائد الأعلى لجيشه في معركة الديانة في يوم عاشوراء
المأساة الخالدة، وهي حفظ دين الله، وتثبيت قواعده وأركانه في الحياة، وتأويل القرآن في الأمة، وذلك بإحقاق
الحق ودحض الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً.

فالعين الباصرة لأبي الفضل العباس (عليه السلام) وكان (نافذ البصيرة)، كانت تنظر بهذا المنظار الذي يرى الدنيا
بحقيقتها، وواقعيتها من أنّها (دار ممر) وليست دار مقر، فنظره وباصرته كانت متطلعة إلى دار القرار، ودار
الحَيَوَان، الأبدية في جنان الخلد الأبدية.

وهنا تكمن أسرار الشهادة وفلسفة القيادة لدى سيدنا أبي الفضل العباس (عليه السلام)، الذي كان من أطوع خلق
الله لإمامه وقائده الأقدم الأعلى في كل حياته وليس في يوم عاشوراء والمعركة فقط.

فكان ينظر إلى أخيه الحسين (عليه السلام) ليس كأخ أكبر، ومربّ، ومعلم له، بل كان ينظر إليه على أنّه إمامه الذي
افترض الله طاعته عليه، فكان لا يتحرك، ولا يتكلم، إلا بإذن إمامه، ولا يناديه إلا يا سيدي حتى سقط عن
جواده على شط العلقمي نادى أخاه ليُدركه ويودعه قبل خروج روحه الطاهرة من جسده المقطع.

وعجباً من قائده الأقدم وأخيه الأكبر وإمامه الحسين (عليه السلام) أنّه كان ينظر له بمنظار العالم العارف به، ويحبّه
ويحترمه احتراماً قلّ نظيره، ولذا كان لا ينتدبه إلا في المهمّات الصّعبة، لأنّ ثقته به كانت مطلقة، وكان ينظر إليه كما
كان ينظر إلى صنوه الإمام الحسن السبط (عليه السلام) من حيث الأخوة والطاعة التي لم يتحدث التاريخ البشري لها بنظير.
فالعباس القائد وحامل اللواء في معركة الحق يوم عاشوراء، كان استراتيجياً وبعيد المدى في فكره وقيادته
الفذة للمعركة - بإيمانه، والتزامه، وانضباطه، وفدائه - لكي يحقّق الهدف المنشود للمعركة فيكون قد حقق
الانتصار على العدو الغادر الجبار، رغم الاختلال الكبير بين الجيشين بالرجال والعدة والعتاد.

فالعلم العسكري، يقول: إنّ المنتصر هو مَنْ يحقّق هدفه الاستراتيجي من المعركة.
وعلم الاستراتيجية يؤكّد: أنّ نجاح القائد بنجاحه بالمدى البعيد (الاستراتيجي)، وإن أخفق على المدى
القريب (التكتيكي)، وليس العكس لأنّ النصر لمن ظفر بعدوه أخيراً، فمن يضحك أخيراً يضحك كثيراً.

فاستراتيجية القائد العظيم العباس بن علي عليه السلام في قيادته للمعركة في يوم عاشوراء تمثل بحفظ دين الله وإن استشهد القائد وجيشه كله كما حصل يومها، ولكن عاش الدين وحفظ القرآن ورسالة رب العالمين في هذه الحياة الدنيا.

ففي يوم عاشوراء الدامي، استشهد القائد الإلهي، وجيش الحق كله، (أما على ساحة الحياة والصراع الدائر بين الحق والباطل فعاش الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الكرام، في القلوب والضمائر الحرة، وأبى الأمويون وأنصارهم وكُتبت دولتهم الظالمة في مزابل التاريخ، وأصبح رجالها لعنة الأجيال ومثار اشمئزاز بمجرد ذكر أسمائهم الخبيثة، فهم إلى اليوم راية للخيانة واللعنة والنجاسة.

وأما جيش الحق وقيادته المباركة الحكيمة فصار رمزاً للحرية وراية للإنسانية. لأنه دافع عن منظومة القيم والمثل العليا في الحياة فصار ملاذاً للشجاعة والبطولة والإباء والرجولة والفداء. ليتحول بعد معركة عاشوراء إلى قيمة حقيقية تضاف إلى منظومة القيم السامية في الحياة الإنسانية،^(١) وتحول قائدها من أبي الفضل إلى أبي الفضائل (سلام الله عليه).

وهنا بالضبط تلتقي استراتيجية حشدنا المقدس باستراتيجية سيدنا العباس عليه السلام القائد الكبير الذي وقف في عين العاصفة ليفقأها، وخاض في قلب الباطل ليطعنه ويُخرج الحق منه، وليعلن للدنيا أننا على الحق باقون والإسلام ديننا، والقرآن كتابنا، وعليّ إمامنا، والحسين سفينتنا إلى الله.

وفي أيامنا هذه وقف الحشد المقدس وردّد النداء نفس، وكأنّه يردّ الصدى ليوم عاشوراء، حيث رفع الحشد عاشوراء شعارات، وكربلاء صارت منارات، وراح الرجال الأبطال يرددون ملين النداء (لييك داعي الله، لبيك يا حسين).

فالهدف واحد ما بين عاشوراء الأمس ومعركتنا اليوم، والعدو واحد أيضًا وإن اختلفت الأسماء والأشخاص، ولكن المنهج واحد والاستراتيجية واحدة لم ولن تتغير تتلخص بمعركة الحق والباطل، والنور والظلام، والدين الحق والنفاق.

فالمعركة واحدة وممتدة من عاشوراء الأمس إلى عاشوراء اليوم. والقيادة واحدة من أبي الفضل العباس عليه السلام إلى المرجعية المباركة الحكيمة. فالهدف الذي قاتل من أجله سيدنا أبو الفضل عليه السلام واستشهد في يوم عاشوراء عام ٦١ هـ هو ما دفع المرجعية المباركة لإصدار فتوى الدفاع الكفائي في هذه الأيام، فحفظ الدين الحنيف والقرآن الحكيم هو غاية القيادة الربانية.

(١) معركة الساء في أرض كربلاء الحسين أحمد السيد (الكاتب): ص ٣٥٠.

فالحقّ الذي جاء به الرسول الأعظم ﷺ ومثله حفيده الحسين والعباس في يوم عاشوراء، هو ذاته يمثله المراجع الكرام والقيادات الواعية في الحشد الشعبي المقدس، الذي حفظ الدين، والبلاد، والعباد، والمقدّسات، وقدم أغلى التضحيات في سبيل هذا الهدف المقدس.

نور الختام

وبعد هذا البحث السريع عن القيادة الحكيمة والاستراتيجية لسيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام وعدّها الاستراتيجية الواقعية التي اعتمدها حشدنا المقدّس وقيادته الحكيمة، نُجمل ونلخص الكلام بأبرز النقاط وأهمّها في تلك القيادة الاستراتيجية المظفرة.

فالبحت والدرس الحقيقي من سيرة وقيادة سيدنا العباس عليه السلام تتلخّص بما يلي:

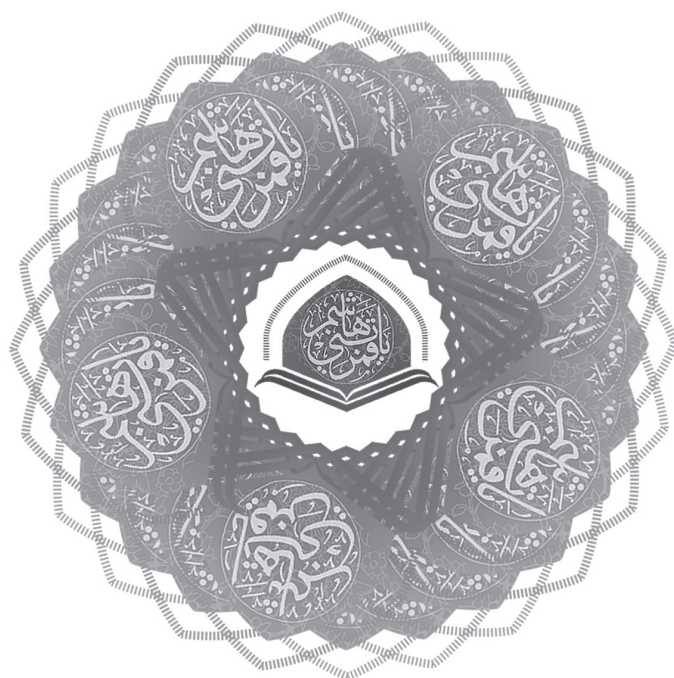
العقيدة الثابتة والرّاسخة؛ فقد (كان صلب الإيمان) وهي أولى الصفات.

العلم والبصيرة النافذة؛ وهذا يعطيه الحق بالقيادة والواجب بالتصدي لها.

الجهاد حتى الاستشهاد؛ تحت راية الحق ودفاعاً عن الدّين والمقدّسات.

وهذه الصفات الثلاثة التي يبيّن إمامنا الصادق عليه السلام هي ذاتها ما تميّز بها أيضاً حشدنا الشعبي المقدس، الذي رفع الرؤوس عالياً بعد أن قدّم الآلاف من النفوس الطاهرة على مذبح الحرية والكرامة العاشورائية، في هذه المعركة التي يخوضها رجالنا على كلّ الجبهات وعلى كلّ المستويات، فلولاً للعقيدة الراسخة، والبصيرة النافذة، والفتوى بالدفاع التي تفضّل بها سماحة السيد المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف) لذهب العراق بكّل ناسه ومقدّساته - لا سمح الله - ودخلت المنطقة في المجهول الذي لا يعرف نهايته إلا الله تعالى. فالفتوى الحكيمة التي فاه بها حكيم الزمان وقائده والتي أدّت لشوء هذا الحشد المقدس فأرعبت الأعداء وخلطت الأوراق في الشرق الأوسط إذا لم نقل في العالم أجمع، وهذا ما يعترف به كبار رجالات الغرب ومنظّرو السياسات العالمية كلّها.

فقيادة سيدنا العباس بن علي عليه السلام الاستراتيجية، تبلورت وظهرت آثارها في معركتنا في هذه الأيام بوجه جيوش الظلم والظلام الصهيوي وهابية التي أرادت حرب إبادة لكل القيم والمثل العليا وللإسلام الأصيل هو ما يشبه بعاشوراء ثانية في هذا القرن الداعشي، فجاءت الفتوى وأنقذت الأمة وحمت المقدّسات وردّت كيد العدى إلى نحورهم، وها هم رجالنا يُسطرون أجمل لوحات العزة والكرامة والشرف والإباء مستمدين ذلك من قيادة كربلاء، وروح عاشوراء، على كلّ الجبهات وكأنّ روح وشموخ وراية أبي الفضل العباس عليه السلام تظلّهم، وتحميهم، وتحفظهم.



مسلم بن عقيل شخصية قيادية ومبادئ سامية

الشيخ حيدر حسن

الثبات على المبدأ من الأعمال المهمة التي تبين كمال شخصية الإنسان، وقد زخر القرآن الكريم بقصص بينت وبوضوح أهمية هذا الخلق القويم:

قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)^(١).

أوحى الله تعالى إلى النبي نوح عليه السلام بأن يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى، وأن يتركوا ما كانوا عليه عاكفين، من أصنام وغيرها. فنفذ نوح عليه السلام أمر الله تعالى، وأخذ يبلغ رسالة ربه، ولكن قومه كذبوه، بل وأكثر من ذلك، أنهم عمدوا على إيذائه ومقاطعته عليه السلام، إلى حد أنهم إذا سمعوا صوته وهو يبلغهم بما أنزل إليه من ربه ليرجعوا إلى رشدهم، وينبذوا عاداتهم وتقاليدهم المغلوطة، ويتوجهوا إلى عبادة الله تعالى، وضعوا أصابعهم في آذانهم؛ كي لا يسمعوا صوته عليه السلام. وكلما رأوه وضعوا ثيابهم على وجوههم؛ كي لا يشاهدوه عليه السلام، إضافة إلى هذا كله كانوا يُسمعونهم أقوالاً قبيحة لا تليق بمقامه الشريف. وكانوا يمارسون ضده بعض الأعمال الخسنة. ولكن مع هذا كله لم يدخل الجزع إلى نفسه، ولم يرضخ لهم، وأخذ يبلغ رسالة ربه ليل نهار، ويقول المفسرون في كلمة (لَيْلًا وَنَهَارًا) المقصود منها: هو كناية عن دوامه في تبليغ الرسالة الإلهية من غير فتور ولا توان.

والدرس الذي علينا معرفته من هذه القصة أن لا نتوقف في مسيرتنا ولو واجهنا كل الصعاب، وأن لا ندع لليأس طريقاً إلى النفس أبداً، وأن نحافظ على نشاطنا ومساعدتنا بنفس الحرارة التي بدأنا بها فيها، وإن الآية الكريمة أشارت إلى أن نوحاً عليه السلام ظل طوال ٩٥٠ عاماً من العمل الدؤوب (مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)^(٢)، حتى قال بعضهم: إن هذا العدد القليل هو ثمانية أشخاص فقط، عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: (وَمَا آمَنَ مَعَهُ

(١) سورة نوح: ٥-٧.

(٢) سورة هود: ٤٠.

إِلَّا قَلِيلٌ) قال: «كانوا ثمانية»^(١).

إنَّ أغلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ومن سار على خطِّهم تحمَّلوا المتاعب والمصاعب الكبيرة، في سبيل نشر الرسالة التي أمرهم الله تعالى بتبليغها إلى البشرية.

فهذا الرسول الأعظم عليه السلام واجه عقبات كؤودة، ولكن جهاد النبي عليه السلام وصبره وثباته على مبدئه أفضل جميع مخططاتهم وكيدهم، متخطيًا بذلك هذه الصعوبات. واستطاع نتيجة ذلك تغيير الكثير من قومه، حتى دخلوا في الإسلام عندما رأوا صدقه وصلابته على مبدئه، وحرصه على مصلحتهم، وتفانيه في احترامهم، حيث إنَّه عليه السلام عندما واجهه قومه بالكذب والأذى، وعملوا ما عملوا لإيذائه وإيذاء أصحابه لم يجزع، بل دعا لهم ربَّه واستغفر لهم. ففي رواية أنَّ الرسول الأعظم عليه السلام كان يمسح الدم عن وجهه عندما ضربه المشركون من قومه في يوم أحد على جبهته الشريفة ويقول: «اللهم أهد قومي فإنَّهم لا يعلمون»^(٢).

مسلم بن عقيل هو من أصل نقي من بني هاشم وحفيد عمِّ النبي، أبو طالب، الذي لم يدع النبي حتى الساعات الأخيرة من حياته وقبل دعوة النبي عليه السلام.

إذا كنَّا نريد دراسة شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام، يجب أن نعدّه أحد الشخصيات الدينية العظيمة للإسلام، لأنَّ مسلم بن عقيل كان الممثل الخاص للإمام المعصوم، في عهد أمير المؤمنين وفي زمن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وتم إرساله إلى الكوفة كنائب خاص للإمام الحسين عليه السلام، فقد كان ثقة الإمام ومن خواصّه، وكان خبيرًا في الشؤون السياسية والعسكرية.

كما كان متفانيًا ومخلصًا وصاحب بصيرة ثاقبة، وذات مكانة علمية عالية وكتب الإمام الحسين عليه السلام إلى شيعة الكوفة في ذلك الوقت وقد اختار عليه السلام لسفارته ثقته وكبير أهل بيته مسلم بن عقيل، فاستجاب له عن رضى ورغبة، وزوّده برسالة وهي: «مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ بِالْكُوفَةِ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَا بَعْدُ: فَقَدْ أَتَنِّي كُتُبُكُمْ، وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ مُحَبَّتِكُمْ لِقُدُومِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا بَاعْتُ إِلَيْكُمْ بِأَخِي وَابْنِ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، لِيَعْلَمَ لِي كُنْهَ أَمْرِكُمْ، وَيَكْتُبَ إِلَيَّ بِمَا يَتَيَّنُّ لَهُ مِنْ اجْتِمَاعِكُمْ، فَإِنْ كَانَ أَمْرُكُمْ عَلَى مَا أَتَنِّي بِهِ كُتُبُكُمْ، وَأَخْبَرْتَنِي بِهِ رُسُلُكُمْ، أَسْرَعْتُ الْقُدُومَ إِلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ»^(٣). وتسلَّم مسلم الرسالة، وغادر مكة ليلة النصف من رمضان، فصلى في مسجد الرسول عليه السلام، وطاف بضريحه، وودَّع أهله وأصحابه، وكان ذلك هو الوداع الأخير لهم، واتَّجَه صَوْبَ الْعِرَاقِ، واستأجر دليلين من

(١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٤٨.

(٢) إعلام الوري: ص ٨٣، وراجع المناقب: ج ١ ص ٤٨.

(٣) الأخبار الطوال - الدينوري/ ص ٢٣٠

قَيسٌ يَدُلُّ أَنَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ.

وسار مسلم يطوي البيداء، حتى دخل الكوفة فاختر الزول في بيت المختار الثقفي؛ لوثوقه منه بإخلاصه للإمام الحسين (عليه السلام) وتفانيه في حبه.

وفتح المختار أبواب داره لمسلم، وقابله بمزيد من الحفاوة والتكريم، ودعا الشيعة إلى مقابلته، فأقبلوا إليه من كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ، وهم يظهرون لَهُ الولاء والطاعة.

وانتألت الشيعة على مسلم تبايعه للإمام الحسين (عليه السلام)، وكانت صيغة البيعة الدعوة إلى كتاب الله وسُنَّةَ رسوله ﷺ، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقِسْمَةُ الغنائم بين المسلمين بالسوية، وَرَدَ المَظَالِم إلى أهلها، ونصرة أهل البيت (عليهم السلام).

واستمر مسلم بن عقيل (عليه السلام) يعبئ الكوفة ويأخذ البيعة حتى تكامل لديه عدد كبير من الجند والأعوان، فقد بلغ عدد من بايعه واستعدَّ لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام) ثمانية عشر ألفاً^(١) في حين ذكر المسعودي أَنَّ عددهم اثني عشر ألف رجل، وقيل ثمانية عشر ألفاً^(٢).

وبحكم ذلك، أطمأن مسلم بن عقيل للأوضاع التي تهيأت له فكتب رسالة للإمام الحسين بن علي (عليه السلام) قائلاً: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ وَقَدْ بَايَعَنِي مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا فَعَجَّلَ الْإِقْبَالَ حِينَ يَأْتِيكَ كِتَابِي هَذَا فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَعَكَ لَيْسَ لَهُمْ فِي آلِ مَعَاوِيَةَ رَأْيٍ وَلَا هَوًى وَالسَّلَامُ»^(٣).

ولعلَّ سائلاً يسأل مع هذا العدد الكبير من الأنصار ومع ذلك الثبات، لم يستطع مولانا مسلم بن عقيل السيطرة على وضع الكوفة؟

إنَّ دراسة المجتمع الكوفي في ذلك الوقت، وما مني به من التناقض في سلوكه الفردي والاجتماعي، والوقوف على المخططات السياسية التي اعتمد عليها ابن زياد للتغلب على الأحداث، والنظر في الصلاحيات المعطاة لمسلم بن عقيل من قبل الإمام فإنَّ الإحاطة بهذه الأمور توضح لنا الأسباب في إخفاق الثورة، وفيما يلي نذكر بإيجاز أهم الأسباب التي أدَّت إلى شهادة سيدنا ومولانا مسلم بن عقيل (عليه السلام):

إنَّ القوم في الكوفة لم تكن لهم قيادة موحَّدة، يرجعون إليها في أمورهم وقراراتهم، بل مثلهم وجهاء

(١) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر، دار المعارف، ١٩٦١م)، ج ٥، ص ٣٥٧؛ محمد بن محمد بن النعمان المقيد، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٢) أبي الحسن علي بن الحسن المسعودي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٨؛ محمود بن محمد الشيباني، الصراط السوي في مناقب آل النبي (النجف: مكتبة أمير المؤمنين العامة، د. ت) ص ٨٦.

(٣) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج ٥ ص ٣٥٧؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين (قم: منشورات مكتبة الداودي، د. ت) ج ٢، ص ٣٤٨.

وأشرف متعددين من أهل الكوفة لكل منهم تأثيره في قبيلته، لكنهم لا تصدر مواقفهم إزاء الأحداث الكبرى المستجدة عن تنسيق وتنظيم، والدليل على ذلك هي كثرة الكتب وتعددتها التي بلغت اثنا عشر ألف كتاب. كانت الصفات الاجتماعية للقوم في ذلك الوقت أغلبها مقدمات لنقض البيعة، ومن تلك الصفات؛ التناقض في السلوك، فهو يقول شيئاً ويفعل ضده، ويؤمن بشيء ويفعل ما ينافيه والحال أنه يجب أن تتطابق أعمال الإنسان مع ما يؤمن به، وقد أدلى الفرزدق بهذا التناقض حينما سأله الإمام عن أهل الكوفة فقال له: "خلفت قلوب الناس معك، وسيوفهم عليك" (١).

والظاهرة الأخرى في المجتمع الكوفي في ذلك الوقت الغدر، فقد كان من خصائصهم التي اشتهروا بها، والطابع الخاص الذي عرف به المجتمع الكوفي التمرد على الولاة، فلا يكاد يتولى عليه والٍ وحاكم حتى أعلنوا الطعن عليه.

والظاهرة الغريبة التي عرف بها المجتمع الكوفي هي الانهزامية، وعدم الصمود أمام الأحداث، فإذا جدّ الجد ولّوا منهزمين على أعقابهم، فقد أجمعوا في حماس على مبايعة مسلم ونصرته، ولما أعلن الثورة على ابن مرجانة انفضّوا من حوله حتى لم يبقَ معه إنسان يدلّه على الطريق، وقد وقفوا مثل هذا الموقف من زيد بن علي، فقد تركوه وحده يصارع جيوش الأمويين، واتصفت الأكثرية الساحقة من أهل الكوفة بمساوئ الأخلاق. وهناك نزعة عامة سادت في أوساط المجتمع الكوفي، وهي التهالك على المادة والسعي على حصولها بكلّ طريق، فلا يباليون في سبيلها بالعار والخزي، ولقد لعبت هذه الجهة دورها الخطير في إخفاق ثورة مسلم، فقد بذل ابن زياد الأموال بسخاء للوجوه والأشرف فخفوا إليه سراعاً فغدروا بمسلم، ونكثوا عهودهم، وقد ملكهم ابن زياد بعبثائه فأخرجهم لحرب ربحانة رسول الله ﷺ بعد أن أقسموا الأيمان المغلظة على نصرته والذبّ عنه.

وظاهرة أخرى من ظواهر المجتمع الكوفي وهي سرعة التأثر بالدعايات من دون فحص ووقوف على واقعها، وقد استغل هذه الظاهرة الأمويون أياماً فأشاعوا في أوساط الجيش أن الحسن صالح معاوية وحينما سمعوا بذلك ماجوا في الفتنة وارتطموا في الاختلاف، فعمدوا الى أمتعة الإمام فنهبوها، كما اعتدوا عليه فطعنوه في فخذه، ولما أذاعت عصابة ابن زياد بين جيوش مسلم أنه جيش أهل الشام قد أقبل إليكم فلا تجعلوا أنفسكم عرضة للنقمة والعذاب، فلما سمعوا ذلك انهارت أعصابهم، وولّوا منهزمين، وأمسى ابن عقيل وحده ليس معه إنسان يدلّه على الطريق .

أما الحياة الاقتصادية في الكوفة فكانت تتسم بعدم التوازن فقد كانت فيها الطبقة التي غرقت في الشراء العريض فقد منحتها الدولة الأموية أيام عثمان ومعاوية الهبات والامتيازات الخاصة فأثرت على حساب الضعفاء والمحرومين.

إن الحياة الاقتصادية تؤثر أثرًا عميقًا وفعّالًا في كيان المجتمع، وتلعب دورًا خطيرًا في توجيه المجتمع نحو الخير أو الشر، وقد ثبت أن كثيرًا من الجرائم التي يقترفها بعض المصايين في سلوكهم إنما جاءت نتيجة لفقرهم وبؤسهم أو لجشعهم على تحصيل المادة، وقد اندفع أكثر الجيش الذي خرج لحرب الإمام الحسين (عليه السلام) حينما منّاهم ابن مرجانة بزيادة مرتباتهم التي يتقاضونها من الدولة.

وعلى أي حال فإن سوء الحالة الاقتصادية في الكوفة كانت من الأسباب الفعالة في إخفاق ثورة مسلم وتحول الجماهير عنه حينما أغدق ابن زياد الأموال على الوجوه والعرفاء وغيرهم فاندفعوا إلى القيام بمناهضة مسلم وصرف الناس عنه .

كما كانت الكوفة أمينة قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها، ومتباينة في طباعها وعاداتهم وتقاليدها فكان فيها العربي والفارسي والنبطي إلى جانب العبيد وغيرهم، ولم تعد مدينة عربية خالصة كمكة والمدينة وإنما كانت مدينة أهلها أخلاط من الناس - كما يقول اليعقوبي - وقد هاجرت إليها هذه العناصر على أنها المركز الرئيس للمعسكر الإسلامي فمنها تندقق الجيوش الإسلامية للجهاد كما تندقق بها المغنم الكثيرة التي وعد الله بها المجاهدين، وقد بلغ نصيب الجندي المقاتل من فيء المدائن اثني عشر ألفًا مما دعا ذلك إلى الهجرة إليها بوصفها السبيل إلى الثروة.

وبالرغم من حداثة سنّ ابن زياد فإنه كان من أمهر السياسيين في الانقلابات، وأكثرهم تغلبًا على الأحداث، وقد استطاع بغدده ومكره أن يسيطر على حامية الكوفة، ويقضي على جذور الثورة ويخمد نارها، وقد كانت أهم مخططاته ما يلي:

- ١ - التجسس على مسلم والوقوف على جميع شؤون الثورة .
- ٢ - نشر أوبئة الخوف، وقد أثار جَوًّا من الفزع والإرهاب لم تشهد له الكوفة نظيرًا، وانشغل الناس بنفوسهم عن التدخل في أيّ شأن من الشؤون السياسية.
- ٣ - بذل المال للوجوه والأشراف، وقد صاروا عملاء عنده يوجههم حيثما شاء، وقد أفسدوا عشائريهم وألحقوا الهزيمة بجيش مسلم.
- ٤ - الاحتيال على هانئ بإلقاء القبض عليه، وهو أمتع شخصية في مصر، وقد قضى بذلك على أهم

العناصر الفعالة في الثورة .

وللأسباب ذاتها، أعلن الطاغية ابن زياد حالة الطوارئ في أنحاء الكوفة جميعها، وقد شدد على مدير شرطته بتنفيذ أوامره وهي:

أولاً: تفتيش الدور والمنازل في الكوفة جميعاً بحثاً عن مسلم بن عقيل.

ثانياً: الاعتقالات الواسعة لجميع المؤيدين للثورة فألقى الشرطة القبض على المختار ابن أبي عبيد الثقفي، وعمارة بن صلخب الازدي، وعبد الأعلى بن يزيد الكلبي، وعبد الله بن نوفل بن الحارث، والأصبع بن نباتة^(١). ومن جانب آخر فإن الطاغية ابن زياد قرّر إعدام كل من يأوي مسلم بن عقيل، وأمر بجوائز ثمينة لمن يأتي به، وفعلاً أفشى أحدهم بمكان وجود مسلم فندب ابن زياد ابن أبي عمرو المخزومي ومحمد بن الأشعث باعتقال مسلم .

شهادة مسلم بن عقيل عليه السلام

طوى مسلم ليلته حزناً تساوّرهُ الهموم، وكان - فيما يقول المؤرخون - قد قضى شطراً من الليل في عبادة الله، ما بين الصلاة وقراءة القرآن.

وقد خفق في بعض الليل، فرأى عمّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخبره بسرعة اللحاق به، فأيقن عند ذلك بدُنُو الأجل المحتوم منه.

وقد أصدرت سلطات ابن زياد أمراً تَضَمَّنَ ما يأتي:

أولاً: الحكم بالإعدام على كل من آوى مسلماً مهما كانت مكانته الاجتماعية.

ثانياً: إن دية مسلم تكون لمن جاء به.

ثالثاً: إن من ظفر بمسلم تمنحه السلطة عشرة آلاف درهم.

رابعاً: إن من يأتي به يكون من المقرّبين عند الطاغية يزيد، وينال ثقته.

وتمتّى أكثر أولئك الأوغاد الظفر بمسلم بين عقيل، لينالوا المكافأة، وكذا التّقرّب إلى يزيد بن معاوية.

وبعد أن جرت معركة غير متكافئة بين مسلم وبين أزالام ابن زياد جرح فيها مسلم وسقط على الأرض،

فوقع في أسر أعدائه، وسلّموه إلى الطاغية ابن زياد، فأمر بإلقائه من أعلى القصر.

واستقبل مسلم الموت بثغر باسم، فصعد به إلى أعلى القصر، وكان يسبح الله ويستغفره بكل طمأنينة ورضا

(١) إبراهيم الموسوي الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين (بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٧٥م)، ص ١٢٢ .

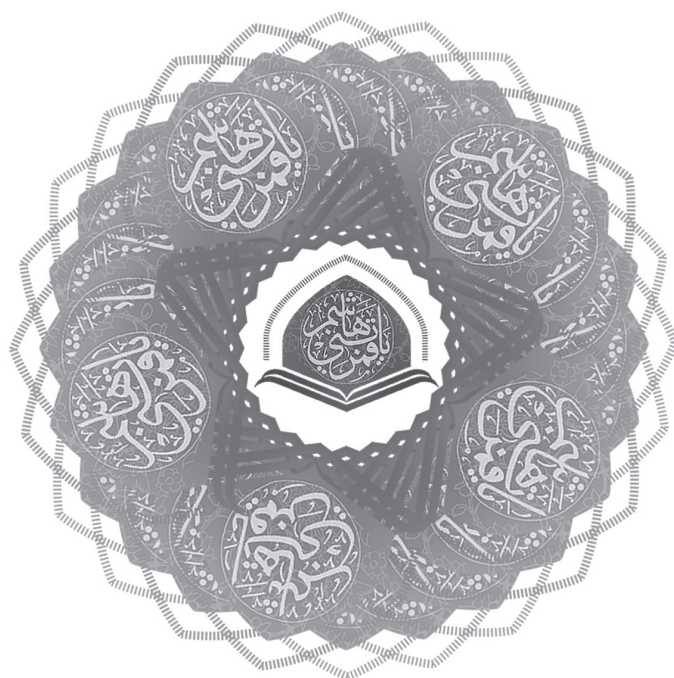
ويقول: (اللَّهُمَّ احْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَرَّوْنَا وَخَذَلُونَا).
واستدعيَ الجَلَّادَ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ، وَرَمَى بِرَأْسِهِ وَجَسَدِهِ (عليه السلام) إلى الأرض، وسقط مسلم بن عقيل (عليه السلام) شهيداً،
دفاعاً عن الحق، ودفاعاً عن مولاه الإمام الحسين (عليه السلام).

الخاتمة

من أهم الدروس التي يمكن تعلمها أهمية مراعاة الدين والثبات على المبدأ مهما كانت الظروف، ورفض
مبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

فقد مُنح الفرصة للقاء وقتل عبد الله بن زياد إلا أنه رفض ذلك.
إنَّ الإنسان المؤمن الذي يريد الوصول إلى أهدافه لأبَدٍ له من الثبات والصبر والتحمل، وعدم التنازل
للأعداء قيد أنملة.

إنَّ الشيء المهم الذي يعدّ مفتاح النجاح والفلاح في جميع الأهداف، هو الثبات والدوام على النهج
الإسلامي القويم، وعدم الملل والكلل؛ لأنَّ أي هدف مهما كان بسيطاً يحتاج إلى الصبر والاستمرار في العمل.



العقل والشعائر الحسينية

السيد صباح جواد الموسوي

هناك فرق كبير بين التفكير العميق وبين التفكير الكسول، فالكسل في التفكير يعني عدم الإبداع والاستنتاج، والرضا بما يظهر من دون أي جهد ذهني منك لتحليله، وببساطة فإن المعرفة لن تأتي إلا من الكتب والقراءة والاستماع لذوي العلم ومتابعة آرائهم؛ وحتى نصل إلى فهم الموضوع نحتاج إلى مقدمتين مهمتين

المقدمة الأولى:

هناك أنماط من التفكير:

- التفكير البديهي
- التفكير العاطفي
- التفكير المنطقي
- التفكير الرياضي
- التفكير الناقد
- التفكير العلمي
- التفكير الابتكاري

والذي يهمنا في بحثنا هذا نوعان من التفكير لعلاقة البحث بهما:

التفكير العاطفي (أو الوجداني)

التفكير الناقد

- التفكير العاطفي

وأحيانا يطلق عليه التفكير الوجداني أو الهوائي، ويقصد به فهم أو تفسير الأمور أو اتخاذ القرارات وفقاً لما يفضلته الفرد أو يرتاح إليه أو يرغبه أو يألفه.

وتتسم خصائص التفكير العاطفي بالسطحية، والتسرع، والتبسيط، وحسم المواقف على طريقة صح وخطأ.

● التفكير الناقد

مفهوم التفكير الناقد لغة واصطلاحاً:

الفعل «نقد» يعني ميز الدراهم وأخرج الزيف منها^(١). وورد تعبير نقد الشعر، ونقد النثر بمعنى أظهر ما فيه عيب أو حسن، والناقد الفني كاتبٌ عمله تمييز العمل الفني، جيده من رديئه، وصحيحه من زيفه. وإذا رجعنا إلى الكلمة الإنجليزية Critical نجد أنها مشتقة من الأصل اللاتيني Criticus أو اليوناني Kritikos، والذي يعني ببساطة القدرة على التمييز أو إصدار الأحكام.^(٢)

أما اصطلاحاً: فيعرف:

هو قدرة الفرد على إبداء الرأي المؤيد أو المعارض في المواقف المختلفة، مع إبداء الأسباب المقنعة لكل رأي. و(الفكرة): قد تكون قضية، أو خبراً، أو رواية، أو ادعاء، أو إجراء، أو حدثاً. ويكفي هنا أن يكون الفرد صاحب رأي في القضايا المطروحة، وأن يدلل على رأيه ببينة مقنعة حتى يكون من الذين يفكرون تفكيراً ناقداً. ويُعدّ التفكير الناقد من أسس ومظاهر العقل النشط.

خطوات التفكير الناقد

هناك خطوات للتفكير الناقد يجب على كل فرد أن يتبعها؛ كي يكتسب مهارات التفكير الناقد ومنها:

١. جمع كل ما يمكن جمعه عن موضوع البحث.
٢. استعراض الآراء المختلفة والمرتبطة بالموضوع.
٣. مناقشة الآراء المختلفة لتحديد الصحيح من الخطأ.
٤. تمييز نواحي القوة والضعف في الآراء المتعارضة.
٥. تقييم الآراء بطريقة موضوعية.
٦. البرهنة على صحة الحجج والأدلة.
٧. الرجوع إلى مزيد من المعلومات إذا ما اقتضى الأمر ذلك.
٨. الدقة في ملاحظة الأحداث من حيث وقوعها، وتقييم موضوعي للموضوعات.

(١) ابن منظور، لسان العرب/ ص ٤٢٥.

(٢) أثر استخدام استراتيجية تدريس الأقران على تنمية مهارات التفكير الناقد في الرياضيات لدى طلبة الصف الحادي عشر قسم العلوم على التحصيل العلمي الإنساني (الأدبي) بغزة/ نادر خليل / ١٣٤١ / ٠١٠٢ / رسالة ماجستير.

٩. البعد عن العوامل الشخصية في التقييم.

ويمكن تلخيصها في:

- تحديد الهدف من التفكير.
- التعرف على أبعاد الموضوع.
- تحليل الموضوع الى عناصر "بما يتلاءم مع الهدف".
- وضع المعايير والمؤشرات الملائمة؛ لتقييم عناصر الموضوع.
- استخدام المعايير في تقييم كل عنصر من عناصر الموضوع.
- التوصل إلى القرار أو الحكم.

خصائص المفكر الناقد

من خلال الاطلاع على تعريف التفكير الناقد يمكن استخلاص مجموعة من صفات صاحب التفكير الناقد فهو مستوعب وملم بالموضوع محل التفكير، وليس متطفلاً يتدخل في كل شيء، ولا يجادل في أمر عندما لا يعرف شيئاً عنه، كما يستطيع تجنب الأخطاء الشائعة في استدلاله للأمور، وكذلك يتساءل عن أي شيء يبدو غير معقول، أو غير مفهوم بالنسبة إليه، وبعد ذلك يستطيع فصل التفكير العاطفي عن التفكير المنطقي، وله القدرة على التعامل مع الموقف المعقد بطريقة منطقية عن طريق استخدام مصادر علمية موثوق بها ويشير إليها، مع البقاء على صلة بالنقطة الأساسية أو جوهر الموضوع، وفي خاتمة المطاف يتخذ موقفاً، أو يتخلى عن موقف، عند توافر أدلة وأسباب كافية لذلك.

إنّ التفكير بشكل ناقد يجعل الفرد أكثر صدقاً مع نفسه، ولن يخاف بأن يعترف بأنه كان على خطأ، كما يجعله يتعلم من أخطائه، وسيكون أكثر استقلالية، كما يساعد التفكير الناقد على صنع القرار الحكيم في الحياة اليومية، كما أنه ينمي ممارسة التفكير والقدرة على المناقشة، والحوار، والقدرة على التواصل، والتفاوض مع الآخرين. وحينما يعجز الإنسان عن التفكير الناقد والنشط تتحول معرفته إلى أحد أسباب الانحراف، إذ إنّ تعاطينا مع المعرفة برافاهية فإنّ العقل يخدعنا، ويغويينا ويضلنا، قال الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)^(١).

ولكي يتسنى لنا نقد الشعائر الحسينية لا بد من أن نمتلك عقلاً ناقداً، وأمّا عقلاً لا يمتلك آليات ومفاهيم النقد العلمي لا يحق له أن يعطي رأيه.

(١) سورة الجاثية/ الآية: ٢٣.

المقدمة الثانية:

الإفتاء بغير علم

الإنسان الذي ليس لديه معرفة وليس لديه علم إذا حصلت منه هفوة، فيمكن أن يؤدي ذلك إلى كسر رجليه، وأما الذي يكون واقفاً فوق الجبل إذا صدرت منه هفوة بسيطة وسقط فسوف يهلك وهكذا. ولذلك الإفتاء بغير علم من المحرمات الكبائر، فالقرآن الكريم وحديثهم ﷺ صعب الفهم إلا من كان يمتلك مقدمات الفهم والاستيعاب.

إنَّ الأدلة من القرآن الكريم تضافرت على حرمة القول على الله تعالى بغير علم، ولا بينه، وعدته من كبائر الذنوب، وإليك طرفاً منها:

الدليل الأول: تحريم الله تعالى القول عليه بغير علم يقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(١).
الدليل الثاني: يقول تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)^(٢).

الدليل الثالث: يقول سبحانه: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٣)
إنَّ المفتي بغير علم يتسبب في إضلال نفسه عن الحق، كما يتسبب في إضلال السائل له عن الحكم في أمر ما، فمن الأفضل أن يقول فيما ليس له به من علم: «لا أدري».

عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «أَنْهَكَ عَنْ خَصْلَتَيْنِ فِيهِمَا هَلَاكُ الرِّجَالِ أَنْهَكَ أَنْ تَدِينَ اللَّهَ بِالْبَاطِلِ وَتُفْتِيَ النَّاسَ بِمَا لَا تَعْلَمُ»^(٤).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُجَّاجِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَخَصْلَتَيْنِ فِيهِمَا هَلَاكُ مَنْ هَلَاكَ إِيَّاكَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاسَ بِرَأْيِكَ أَوْ تَدِينَ بِمَا لَا تَعْلَمُ»^(٥).

وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى لَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ وَلِحَقُّهُ

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) النحل: ١١٦، ١١٧.

(٤) الكافي/ ج ١/ ص ٤٢.

(٥) المصدر نفسه / ج ١/ ص ٤٢.

وَرَزَّ مَنْ عَمِلَ بِقُتْيَاهُ»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «مَا عَلِمْتُمْ فَقُولُوا وَمَا لَمْ تَعْلَمُوا فَقُولُوا اللَّهُ أَعْلَمُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْتَزِعُ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ يَحِرُّ فِيهَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٢).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ لَا أَدْرِي وَلَا يَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ فَيُوقِعَ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ شَكًّا وَإِذَا قَالَ الْمُسْتَوَلُّ لَا أَدْرِي فَلَا يَتَّهِمُهُ السَّائِلُ»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ خَصَّ عِبَادَهُ بِآيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْلَمُوا، وَلَا يَرُدُّوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَقَالَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ»^(٤).

لذلك فالوقوف عند الشبهة أو الأمر غير المعلوم من التوفيق فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

« لَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ »^(٥).

إنَّ حديثنا صعب مستصعب

رَوِيَ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ قَاعِدًا فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ فَقَالُوا لَهُ حَدِّثْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُمْ وَيُحْكُمُ إِنَّ كَلَامِي صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ قَالُوا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نُحَدِّثَكَ قَالَ قُومُوا بِنَا فَدَخَلَ الدَّارَ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي عَلَوْتُ فَفَهَرْتُ، أَنَا الَّذِي أُحْيِي وَأُمِيتُ، أَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، فَغَضِبُوا وَقَالُوا كَفَرُ، وَقَامُوا فَقَالَ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِلْبَابِ يَابَابُ اسْتَمْسِكْ عَلَيْهِمْ فَاسْتَمْسَكَ عَلَيْهِمُ الْبَابُ. فَقَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ كَلَامِي صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ. تَعَالَوْا أَفْسِّرْ لَكُمْ أَمَّا قَوْلِي أَنَا الَّذِي عَلَوْتُ فَفَهَرْتُ فَأَنَا الَّذِي عَلَوْتُكُمْ بِهَذَا السِّيفِ فَفَهَرْتُكُمْ حَتَّى آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمَّا قَوْلِي أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ فَأَنَا أُحْيِي السُّنَّةَ وَأُمِيتُ الْبِدْعَةَ وَأَمَّا قَوْلِي أَنَا الْأَوَّلُ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَأَسْلَمَ وَأَمَّا قَوْلِي أَنَا الْآخِرُ فَأَنَا آخِرُ مَنْ سَجَى عَلَى النَّبِيِّ ثَوْبَهُ وَدَفَنَهُ وَأَمَّا قَوْلِي أَنَا الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ فَأَنَا عِنْدِي عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ قَالُوا فَرَجَتْ عَنَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ»^(٦).

(١) الكافي / ج ١ / ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه / ج ١ / ص ٤٢.

(٣) المصدر نفسه / ج ١ / ص ٤٢.

(٤) المصدر نفسه / ج ١ / ص ٤٣.

(٥) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٢٦٠.

(٦) بحار الأنوار / ج ١٨٩ / ص.

هناك فرق بين الإفتاء والأخذ بأحكام العقل، وعندنا كثير من الأحكام الشرعية مبنية على الأحكام العقلية، وهذا ما يعبر عنه فقهاؤنا: (كل ما حكم به العقل حكم به الشرع)، ويسمونها قاعدة الملازمة بين ما حكم به العقل وما حكم به الشرع، إذا كان الحكم العقلي حكماً قطعياً بديهياً نأخذ به في مجال التشريع، الآن أضرب لك أمثلة:

العقل يحكم بحرمة الظلم، الظلم حرام، الإسلام أيضاً يحكم على طبق العقل: الظلم حرام، لأن هذا حكم عقلي بديهي لا يختلف فيه اثنان.

العقل يحكم بلزوم الرفق باليتيم مثلاً، الإسلام أيضاً يحكم على طبق ما يحكم به العقل (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)^(١) لا بد أن تعامله بالرفق.

نأتي الآن مثلاً أضرب لك مثلاً أوضح: الإضرار بالنفس، ماذا يقول العقل؟ يقول العقل: لا يجوز للإنسان أن يتلف نفسه، ليس من حق الإنسان أن يتلف نفسه أو أن يتلف عضواً من أعضائه، لا بد للإنسان أن يحافظ على سلامة نفسه وسلامة بدنه، أليس هذا حكماً عقلياً؟! حتى لو لم توجد شريعة ولم يوجد دين أليس هذا حكماً عقلياً؟! الإسلام يقر هذا الحكم العقلي ويمضيه: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)^(٢).

التهلكة ما معناها؟

أن تعمل عملاً يوجب تلف النفس أو تعمل عملاً يوجب تلف العضو، تقطع إصبعاً، تقطع أذنًا، تقطع عيناً، تقطع مثلاً قلباً أو كبدًا أو أي عمل، أي عمل يوجب تلف النفس أو يوجب تلف العضو فهو تهلكة، لذلك مسألة التدخين مثلاً، يقول الفقهاء عنها: إذا أحرز الإنسان - يعني: صار عنده اطمئنان - أن التدخين سبب لتلف نفسه أو سبب لتلف عضو من أعضاء بدنه يجرم عليه التدخين، كل الفقهاء يقولون هكذا: من اطمأن أو أحرز أن التدخين سبب لتلف النفس أو سبب لتلف عضو من الأعضاء يجرم عليه التدخين، لا فرق بين الفقهاء في هذه الناحية، كل ما يوجب التهلكة فهو محرّم، هذا حكم عقلي أقره الإسلام وبنى عليه حكماً شرعياً.

والقياس بالعقل من الأمور والمشاكل الفكرية التي أضلت الكثير:

دخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام.

قال: يا أبا حنيفة! أنت تفتي أهل العراق؟!

(١) سورة الضحى / آية ٩.

(٢) تفسير سورة البقرة / الآية ١٩٥.

قال: نعم.

قال: بِمَ تفتيهم؟!

قال: أفتيهم بكتاب الله.

قال: هل تعرف كتاب الله ناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه؟!

قال: نعم.

قال: فما قولك في قوله تعالى: (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) ^(١)؟!

قال: ما بين مكة والمدينة.

قال: يا سبحان الله! أفمن سار ما بين مكة والمدينة من دون رقيب يكون آمناً على نفسه؟!

قالوا: لا.

قال: إذن فكيف فسرتها بهذا؟! ما قولك في قوله تعالى: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) ^(٢) أين هو؟!

قال: البيت الحرام.

قال: أنشدكم بالله ألم يلجأ عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير إلى البيت الحرام وقُتِلَا فكيف أَمِنَا على أنفسهما؟!

إذا من دخله كان آمناً كيف سعيد بن جبير دخل وقُتِلَ؟! وكيف عبد الله بن الزبير التجأ وقُتِلَ؟!

قال: أنا صاحب قياس.

قال: أيهما أعظم: القتل أم الزنا؟!

قال: القتل يا ابن رسول الله.

قال: فلمَ الشرع يقبل في القتل شاهدين ولا يقبل في الزنا إلا أربعة شهود؟!

أيهما أقدر: البول أم المنى؟!

قال: البول يا ابن رسول الله.

قال: فلمَ المنى يُغْتَسَلُ منه والبول لا يُغْتَسَلُ منه؟!

أيهما أعظم: الصَّوم أم الصَّلَاة؟!

قال: الصَّلَاة يا ابن رسول الله عمود الدين.

قال: فلمَ الحائضُ تقضي صومها ولا تقضي صلاتها؟!

(١) سبأ - ١٨.

(٢) سورة ال عمران/ الآية: ٩٤.

قال: يا ابن رسول الله أنا صاحب فرائض.

قال: ما تقول في رجلين سيد وعبد - مولى وعنده عبد - تزوجا في ليلة واحدة ودخلا بزوجتيهما ثم فارقاها وسافرا فبقيت زوجة السيد وزوجة العبد في دار واحدة وأنجبا غلامين، وبعد أن أنجبا غلامين سقط السقفُ عليهما فماتت زوجة السيد وماتت زوجة العبد وبقي الغلامان، من السيد منهما ومن العبد؟! ومن الوارث ومن الموروث؟!

قال: أنا صاحب حدودٍ.

قال: ما رأيك في رجل أقطع قطع يد رجل؟!

وما تقول في رجل أعمى فقع عين صحيح؟!

ثم قال له: "إنّ دين الله لا يصاب بالعقول، وليس أبعد من دين الله من عقول الرجال، يا أبا الحنيفة لا تقس الدينَ برأيك، إنّ أوّل من قاس إبليس، قال: (خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ)"^(١). إنّ العقل على الرغم من كونه طاقة عظيمة تؤمن لنا الكثير من المعارف باستنتاجاتها وتحليلاتها، لكنه في الوقت نفسه قد يؤدّي بنا إلى الضياع إن أسأنا استخدامه وخالفنا شروطه. فما لم تكن أحكام العقل قطعية فلا عبرة بها، إذ الظن يكشف عن الواقع بمقدار لا ينتفي معه احتمال الوقوع بالخطأ، فالدين مثلاً بما فيه من أحكام شرعية وأمور غيبية لا يدرك بالعقل.

يمكن أن الإنسان يقول كلمة واحدة في هذه القضية الحساسة تسلب كلّ نعمة عليه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صُرْتَ فِي وَثَاقِهِ فَاخْزَنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ قَرُبَ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً»^(٢).

الكلام حول الشعائر الحسينية

تمثّل الشعائر الحسينية أحد أهم روافد استمرار الارتباط البشري بقضية أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله، فالشعائر تسلط الضوء على حقيقة الصراع الأبدي بين الحق والباطل وتظهر بشكل واضح الزيف الذي يعيشه الطغاة، لذلك يخاف الظالمون من الشعائر الحسينية أشد الخوف ويحاربونها بكل طاقاتهم. إنّ من المؤسف جداً أن يسقط في هذا الامتحان بعض من هو في العقيدة من أتباع أهل البيت عليهم السلام. بسبب

(١) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٢٨٧

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشّيعه، ج ١٢، ص ١٩٣، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطّبعة الأولى ١٤١٢، قم.

شبهات واهية مثل: أنَّ هذه الشعائر لم تكن موجودة في زمن النبي ﷺ والأئمة المعصومين (عليه السلام)، وأنَّ بعض من يمارس هذه الشعائر قد يرتكب بعض المحرّمات أو يتخلّف عن بعض الواجبات.

إنَّ هذا من كلمات المشكّكين، ثم هناك سؤال يوجه لمن يعترض على هذه الشعائر بدعوى عدم وجودها في زمن النبي ﷺ: ماذا يقول في المدارس الدينية والمراجع... فهذه كلّها لم تكن في زمان النبي ولا زمان الأئمة (عليه السلام)، مع أنَّ سخر القول ببطالانها من الواضحات.

وعلى الرغم من ضعف إشكالهم يجب على هذا الإشكال بجوابين:

الأول: إنَّ هذه الشعائر داخلّة تحت العمومات، وهي تشمل الجميع. فكما أنّها تشمل قبة الإمام الحسين (عليه السلام) وضريحه ولم تكن في زمن الأئمة (عليه السلام)، فكذلك تشمل الشعائر كلّها.

الثاني: إنَّ هذه الشعائر من مقدّمات وجود الواجب، ومقدّمات وجود الوجوب - كما هو معلوم - واجبة، عينية كانت أو كفائية، وإنَّ علماء الشيعة من الشيخ المفيد وحتى زمننا الحاضر بحثوا هذه المسائل بتحقيق وعمق وبسط. إذن فهذا الإشكال غير وارد، وهو كلام الذين لم يقرأوا القرآن أو قرأوه ولم يفهموه، أو لم يقرأوا الحديث أو قرأوه ولم يعوه.

أما الإشكال الثاني فجوابه: أنَّ الشخص العادي - فضلاً عن المتفكّر - يدرك أنَّ وقوع الحرام أو التخلّف عن الطاعة في مكان أو مقام، لا يعني عدم مشروعية ذلك المكان أو المقام، وإنّما تنحصر الحرمة في الفعل نفسه. فلو أنَّ إنساناً بات في مسجد مثلاً من طلوع الفجر حتى طلوع الشمس، وبسبب تساهله فاتته الصلاة، فهل يؤمر بغلق هذا المسجد أم يجب هداية ذلك الإنسان بالحكمة والموعظة الحسنة؟

على المؤمنين التورّع من إبداء الرأي في أحكام الله تعالى، وأنَّ عليهم التقيد بالرجوع إلى من لهم الحقّ في الإفتاء وبيان أحكام الله تعالى؛ لأنَّ أحكام الله سبحانه وتعالى مهمة جداً وعظيمة عنده، ولا تنال بسهولة في كل أحد؛ بل يبذل الفقهاء الجهد لسنوات من أجل الوصول إليها، ورُبّ مسألة واحدة يستغرق البحث فيها أسابيع قبل أن يتوصّل الفقيه في نهاية الأمر إلى فتوى فيها وقد لا يتوصّل.

الشعائر الحسينية بكل أنواعها وفقاً لمتطلبات العصر وحاجاته وتطوراتها، إلّا أنّنا نذكّر بأنَّ لإحياء وإقامة الشعائر الحسينية أهدافاً عديدة، منها:

١. التثقيف والتوعية: حيث نقوم من خلال إقامة مجالس العزاء والحزن بتجديد البيعة مع الإمام الحسين (عليه السلام) والدعوة إلى نهجه، وبيان أهدافه وسيرته المباركة وتضحياته العظيمة من أجل الإسلام والمسلمين، وننعلّم معالم الدين والمذهب في مدرسة الحسين (عليه السلام).

٢. تخليد النهضة الحسينية: حتى لا تنسى الأمة الإسلامية تلك النهضة العظيمة، وحتى لا ينسى أو يتناسى التاريخ تلك الملمحة الكبرى والنهضة المباركة.

٣. التفاعل الفردي والاجتماعي: ونقوم بإحياء هذه الشعائر من أجل التفاعل الفردي والاجتماعي مع هذه النهضة المباركة وحصول حالة التأثر والحزن، من خلال استذكار حوادثها الأليمة والظلم الذي جرى على أبطال هذه الملمحة الكبرى، وهذا التفاعل قد يحصل للإنسان من خلال مطالعة تاريخ هذه النهضة أو سماع بعض الأشرطة، فيكون مأجوراً ومثاباً.

٤. الإعلام الرسالي الهادف: حيث نقوم من خلال إقامة العزاء الحسيني وتسيير المسيرات والمواكب وغيرها من صنوف الشعائر الحسينية بعمل إعلامي فريد، إذ نقوم بتحريك الرأي العام وتوحيد الصفوف ورصّها أمام الأعداء.

٥. تثبيت أصل النهضة الحسينية وترسيخها، إذ لولا الشعائر لمُحيت أو مُسخت تلك النهضة المباركة، وليس بخافٍ على أحد أننا حينما نقول: إنّ الشعائر الحسينية أحييت وتُحيي أصل النهضة الحسينية، فهذا لا يعني أبداً الانفكاك بين القضية الحسينية وبين أصل الدين، بل هما شيءٌ واحد؛ إذ إنّ النهضة الحسينية هي صلب الدين، وأساس قويم من أسسه الراسخة، فلولا النهضة الحسينية لتزعزع أصل الإسلام، ولطُغَت الصبغة الأموية المقيتة عليه، ولصار الإسلام رقماً يُضاف لبقية الديانات ذات الأصول السماوية التي تلاعبت بها الأيدي أيّما تلاعب، فمن الواضح الذي لا غش فيه أنّ القضية الحسينية تعدّ علّة من علل بقاء الدين واستمراره...»^(١).

٦. إنّ الشعائر هي عبادة روحية اشتملت على ثوابٍ جمٍّ لا يُحصى، وبركاتٍ كثيرة من الجانب المادي والروحي، فهي من هذا الجانب لا شكّ في مقربيتها؛ لما تضمّنته من الوعد بالثواب الجزيل، الذي يعدّ بنفسه من أعظم المقربات، وكثير من الشعائر احتشدت فيها نصوص جمّة، ملئت بذكر الله، وتسيّحه، وتحميده... إلى ما شاء الله من أصناف ذكر الله تعالى، أو بالأمر بتلك الأذكار، وذكر الله - كما لا يخفى - يُعدّ بنفسه من أعظم المقربات له تعالى.

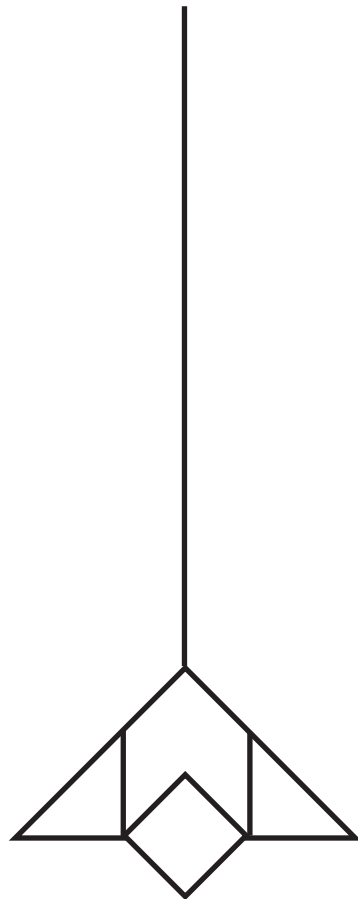
٧. إنّ تلك الشعائر هي بمثابة إعلان من قبل الفرد لحالة تويّ أولياء الله تعالى، والاصطفاف في صفّهم، والكون معهم، ثمّ التبرّي من أعدائهم، وهذا المفهوم هو أحد الركائز الأساسية في تصحيح علاقة العبد بربه،

(١) بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ٣٢٩.

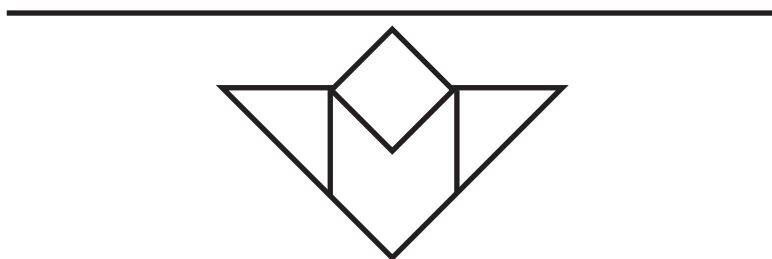
فقد ورد في زيارة عاشوراء مثلاً: « يا أبا عبد الله، إني سلمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم إلى يوم القيامة»^(١).
إنّ تلك الشعائر كانت سبباً مباشراً في تعريف الكثير من المسلمين وغيرهم بالمذهب الحق - مذهب أهل البيت (عليه السلام) - ولفت أنظارهم لذلك، وتحوّلهم واعتناقهم لمذهب أهل البيت (عليه السلام)، وتغيير مسار علاقتهم برّهم.
وأخيراً:

إنّ أهمّ عنصر ممكن أن يلحظ في هذا الشق هو حثّ الشعائر على مسألة البذل في سبيل الله تعالى، والإنفاق في إحياء أمر الله تعالى؛ إذ ممّا لا شكّ فيه أنّ البذل في هذا السبيل هو بذلٌ في أمرٍ راجح محبّب عند الله تعالى، بل العقل حاكمٌ بذلك، فلا يختلف عاقلان أنّ الإطعام - مثلاً - أمر محبّب عند جميع العقلاء، وبذل المال في سبيل ذلك وفي سبيل إحياء ذكرى رمزٍ من رموز الصلاح والتقوى أمرٌ راجحٌ لا محالة.
ولعلّ أهمّ ما يبرز في ذلك هو مسألة التكافل الاجتماعي، الذي يظهر جلياً بأبهى صورته في كثيرٍ من الشعائر، فترى الجميع صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً، يشعرون بأنهم مكلفون وموظّفون بالبذل بما جادت به أيديهم، كلّ ذلك حباً منهم للإمام الحسين (عليه السلام)، وتمسّكاً بحبل ولائه المتين.

(١) بحار الأنوار / ج ٩٨ / ص ٣٧٥.



شهر صفر

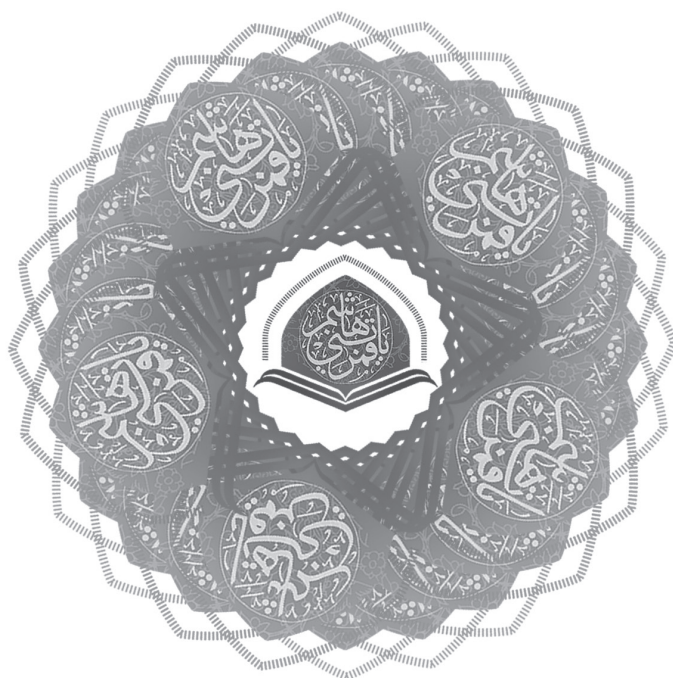


« الإمام الحسن عليه السلام في القرآن الكريم

« أثر شعبية الزيارة الأربعينية في تنمية

خُلقي الإيثار والكرم

« الحرب مع القاسطين والمارقين



الإمام الحسن عليه السلام في القرآن الكريم

منذر كاظم آل هرييد

لقد ورد الإمام الحسن عليه السلام في العديد من الآيات القرآنية التي فسرها المعصومون عليهم السلام ومنها:

١- آية التطهير:

ونصها: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الأحزاب: ٣٣.

وقصة نزول الآية كما يرويها الترمذي: (عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله قال نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)، في بيت أم سلمة، فدعا النبي صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجعلهم بكساء وعلي خلف ظهره فجعله بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟ قال أنت على مكانك وأنت إلى خير^(١))

وقد شاعت تسمية الخمسة المجتمعين في بيت أم سلمة، بأهل الكساء نسبة إلى الكساء الموجود في هذه الكرامة العظيمة.

وليس هناك خلاف بين علماء العترة الطاهرة بأنها نزلت في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام والسبطين العظيمين الحسن والحسين عليهم السلام.

ويتفق مع علماء الشيعة، جمع غفير من علماء أهل السنة كما تشهد بذلك صحاحهم وكتبهم ومنهم: مسلم^(٢) واحمد بن حنبل^(٣)، والحاكم^(٤)، ابن أبي شيبة الكوفي أستاذ البخاري^(٥)، والنسائي^(٦)، وابن

(١) سنن الترمذي - الترمذي ٥: ٣٢٨.

(٢) ينظر صحيح مسلم - مسلم النيسابوري ٧: ١٣٠.

(٣) ينظر مسند أحمد - الإمام أحمد بن حنبل ٤: ١٠٧، و ٦: ٢٩٢.

(٤) ينظر المستدرک على الصحيحين - الحاكم النيسابوري ٢: ٤١٦، و ٣: ١٣٣، و ٣: ١٤٧.

(٥) ينظر المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي ٧: ٥٠١.

(٦) ينظر خصائص أمير المؤمنين عليه السلام - النسائي: ٤٩.

حبان^(١)، وغيرهم.

وهناك فريق آخر من علماء أهل السنة، يذهب بعيداً ويقول بنزولها في حق نساء النبي ﷺ، ولا حجة لديهم سوى سياق الآيات الذي وجدت فيه الآية الكريمة لأن ما قبلها وما بعدها جاء في حق نساء النبي ﷺ: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقرْنِ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)^(٢).

والتشبث بالسياق، لا ينهض بالحجة لوجود معارضات عديدة له، ومنها أن الرسول الأعظم قد رفع اللبس عندما داوم طيلة ستة أشهر - بعد نزول الآية - على المرور بباب علي وفاطمة والحسين ﷺ قبل الشروع في إقامة الصلاة بمرأى ومسمع من المسلمين قائلا: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، قوموا إلى الصلاة يرحمكم الله).

وقول وفعل الرسول الأكرم ﷺ حجة عند جميع طوائف المسلمين.

كما إن الواقع التاريخي لا يدعم نزولها في حق أمهات المؤمنين وزوجات النبي ﷺ، حيث لم تدع أي واحدة منهن ذلك، وعلى رأسهن أم سلمة وعائشة^(٣)، وقد اعترفن بنزولها في حق الخمسة الأطهار^(٤).

يضاف إلى ذلك إن التهديد القرآني لبعض أمهات المؤمنين بالطلاق والاستبدال في قوله تبارك وتعالى (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مِثْلًا مِّثْلِكَ فَأَتَاتِيَنَّ مِثْلًا مِّثْلِكَ فَاسْبُغِي فِي مِثْلِهِ مِثْلًا مِّثْلًا) ^(٥)، لا يتناغم مع التأكيد على الإرادة الربانية بالتطهير من الرجس والآثام المقصود من الآية .

وإذا رجعنا إلى السياق وهو الحجة الكبرى عند الفريق الثاني، فإن التعابير التي جاءت في ثانيا آية التطهير تختلف عما قبلها وما بعدها، من حيث استعمال الضمائر المؤنثة للآيات التي تسبقها، والتي تليها، ولو كان

(١) ينظر صحيح ابن حبان - ابن حبان ١٥: ٤٣٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٢-٣٤

(٣) روى البيهقي في السنن الكبرى ١٤٩: ٢ عن عائشة قالت: (خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فادخله معه ثم جاء الحسين فادخله معه ثم جاءت فاطمة فادخلها معه ثم جاء علي فادخله معه ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقال عقبه: (رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن محمد بن بشر).

(٤) جاء في المستدرک للحاكم ٣: ١٤٨: (لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة قال ادعوا لي فقلت صفية من يا رسول الله قال أهل بيتي عليا وفاطمة والحسن والحسين فجاء بهم فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه ثم رفع يديه ثم قال اللهم هؤلاء آلِي فصل على محمد وعلى آل محمد وانزل الله عز وجل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٥) سورة التحريم: ٥.

المقصود من أهل البيت ﷺ زوجات الرسول ﷺ لاقتضى أن يكون الضمير ضمير جمع المؤنث المخاطب على النسق نفسه الذي جاء به ما قبلها وما بعدها، فيكون الكلام: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركن تطهيرا.

وبذلك يتعزز القول بأنها من الجمل الاعترافية التي جاءت في سياق كلام آخر، وليس بعزيز وجود أمثالها في كلام العرب، وآيات القرآن الكريم كما في سورة يوسف (قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) ^(١)، فقد خوطبت امرأة العزيز بأول الكلام، وانتقل الخطاب إلى نبي الله يوسف ﷺ ثم عاد الخطاب إلى امرأة العزيز مرة أخرى.

وبعد عدم نجاح السياق في إلحاق نساء النبي ﷺ بأهل آية التطهير، أو صرفها إليهن، جاء الاعتماد على أقاويل ومرويات أعداء أهل البيت ﷺ كعكرمة الخارجي مولى ابن عباس: (قال الذهبي: فهذه آيات شريفة في زوجات نبينا ﷺ. وقال عكرمة عن ابن عباس: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، قال: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال عكرمة: من شاء باهله أنها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة. وعلق الحافظ ابن كثير على قول عكرمة فقال: فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك، ثم ساق الأحاديث على ذلك) ^(٢).

ومحاولة نسبة الآية الكريمة إلى غير أهلها، من قبل البعض تأتي في سياق طمس الفضيلة العظمى التي تضمنتها وإبعادها عن مستحقيها.

والحق إن إرادة التطهير من قبل الله سبحانه وتعالى، والتأكيد على هذه الإرادة بأساليب متعددة يفصح عن عصمة أهل البيت ﷺ، ويعلن عن تهية هذه العائلة الكريمة لقيادة الأمة الإسلامية بعد وفاة خاتم النبيين ﷺ. هذه الخلافة التي يستحقها أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، وقد شهدت هذه الآية بأفضليتهم ﷺ على باقي الأمة ويشهد لذلك ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل حيث قال: (سألت أبي عن التفضيل؟ فقال: أبو بكر وعمر وعثمان، ثم سكت. فقلت: يا أبت، أين علي بن أبي طالب؟ قال: هو من أهل البيت لا يقاس به هؤلاء) ^(٣).

(١) سورة يوسف: ٢٨-٢٩.

(٢) مسند ابن راهويه - إسحاق بن راهويه ٤: ١٥ - ١٦.

(٣) ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي ٢: ٢٩٨.

٢- آية المباهلة

ونصها: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (١).

وقد جرت وقائع هذه الآية في السنة العاشرة للهجرة، حينما جاء وفد نصارى نجران إلى المدينة المنورة للتعرف على دعوة النبي ﷺ، ومعرفة تطابق أوصافه مع ما موجود في كتبهم، فأبى أغلبهم، مع وضوح الحق ولم يؤمنوا فكان أن سجل الرهط المقدس بقيادة خاتم الأنبياء ﷺ نصراً عزيزاً، على منكري رسالته من أتباع الملل والأديان الأخرى.

والغريب أن هذه المناسبة التي ظهرت فيها كرامة من كرامات الله عز وجل، ورفرفت فيها أعلام الانتصار للإسلام، نسيها كثير من المسلمين، ولم يعد يتذكرها، ويحتفل بها إلا شيعة أهل البيت (عليهم السلام).

وقصة المباهلة طويلة وممتعة وذكرها كاملة يستدعي صفحات طوال، وطلبنا للاختصار ننقل ما ذكره الزمخشري، وهو أحد كبار مفسري أهل السنة حيث قال: (وروي أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكن، فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله ﷺ، وقد غدا محتضنا الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نترك على دينك ونثبت على ديننا، قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا، قال: فإني أناجزكم، فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا) (٢).

(١) سورة آل عمران: ٦١

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل - الزمخشري ١: شرح ٤٣٤.

وحديث المباهلة معروف ومشهور عند السنة والشيعة على حد سواء، وقد أورد السيد البحراني (قد) في كتابه غاية المرام تسعة عشر حديثاً من طرق أهل السنة وخمسة عشر حديثاً من طرق الشيعة. وكانت أقوال العلماء تؤكد أن الخمسة الأطهار هم أهل المباهلة، وإليك طرف منها:

قال الحاكم النيسابوري: (قال لما نزلت هذه الآية ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم فقال اللهم هؤلاء أهلي هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) (١)

وقال الزرندي الحنفي: (وأنزلت هذه الآية: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فدعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وقال: اللهم هؤلاء أهلي) (٢).

وقال المباركفوري: (دعا رسول الله علياً فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة وفاطمة أي لأنها أخص النساء من أقاربه، وحسناً وحسيناً، فنزلهما بمنزلة ابنه فقال اللهم هؤلاء أهلي) (٣).

وقال الجصاص: (نقل رواية السير ونقله الأثر لم يختلفوا فيه: أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم ثم دعا النصارى الذين حاجوه إلى المباهلة، فأحجموا عنها وقال بعضهم لبعض: إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة) (٤).

وقال الشيخ محمد بن طلحة الشافعي: (.... فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله فخرج إليهم محتضن الحسين أخذاً بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلي خلفهما ويقول: اللهم هؤلاء أهلي، قال الشعبي: قوله تعالى: أبناؤنا الحسن والحسين (عليه السلام)، ونسائنا فاطمة، وأنفسنا علي) (٥).

وقال القرطبي: (أن النبي ﷺ جاء بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلقه وعلي خلفها وهو يقول لهم: إن أنا دعوت فأمنوا) (٦).

ونقل الحافظ ابن عساكر احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) بها، في يوم الشورى، بعد وفاة عمر بن الخطاب:

(١) المستدرک - الحاكم النيسابوري ٣: ١٥٠.

(٢) نظم درر السمطين - الزرندي الحنفي: ١٠٨.

(٣) تحفة الأخوذی - المباركفوري ٨: ٢٧٨.

(٤) أحكام القرآن - الجصاص ٢: ١٨.

(٥) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (عليه السلام) - محمد بن طلحة الشافعي: ٣٨ - ٣٩.

(٦) تفسير القرطبي - القرطبي ٤: ١٠٤.

(قال علي بن أبي طالب يوم الشورى والله لأحتجن عليهم بما لا يستطيع قرشيهم ولا عريبيهم ولا عجميهم رده ولا يقول خلافه، ثم قال لعثمان بن عفان ولعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وسعد وهم أصحاب الشورى وكلهم من قريش وقد كان قدم طلحة: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أفياكم أحد وحمد الله قبلي؟ قالوا: اللهم لا، قال أنشدكم بالله هل فيكم أحد صلى الله قبلي وصلى القبلتين؟ قالوا اللهم لا، قال: أنشدكم بالله أفياكم أحد أخو رسول الله ﷺ غيري إذ آخى بين المؤمنين فأخى بيني وبين نفسه وجعلني منه بمنزلة هارون من موسى إلا أنا لست نبي؟ قالوا: لا، قال: أنشدكم بالله أفياكم مطهر غيري إذ سد رسول الله ﷺ أبوابكم وفتح بابي وكنت معه في مساكنه ومسجده فقام إليه عمه فقال يا رسول الله غلقت أبوابنا وفتحت باب علي قال نعم الله أمر بفتح بابه وسد أبوابكم؟ قالوا: اللهم لا، قال: نشدتكم بالله أفياكم أحد أحب إلى الله وإلى رسوله مني إذ دفع الراية إلي يوم خيبر فقال لأعطين الراية إلى من يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ويوم الطائر إذ يقول اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي فجئت فقال اللهم وإلى رسولك اللهم وإلى رسولك غيري؟ قالوا: اللهم لا، قال نشدتكم بالله أفياكم أحد قدم بين يدي نجواه صدقة غيري حتى رفع الله ذلك الحكم؟ قالوا: اللهم لا، قال: نشدتكم بالله أفياكم من قتل مشركي قريش والعرب في الله وفي رسوله غيري؟ قالوا: اللهم لا، قال: نشدتكم بالله أفياكم أحد دعا رسول الله له في العلم وإن يكون أذنه الواعية مثل ما دعا لي؟ قالوا: اللهم لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم ومن جعله رسول الله ﷺ نفسه وأبناءه أبناء ونساء نساءه غيري؟ قالوا: اللهم لا...)^(١).

ونقل مسلم في صحيحه، تمسك سعد بن أبي وقاص بهذه الفضيلة عندما تمنع عن تنفيذ أمر معاوية بن أبي سفيان في سب مولى المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام: (أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب، فقال: أما ما ذكرت ثلاثا، قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله قال فتناولها فقال ادعوا لي عليا فأتى به أرمم فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي)^(٢).

(١) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساکر ٤٢: ٤٣١ - ٤٣٢.

(٢) صحيح مسلم - مسلم النيسابوري ٧: ١٢٠ - ١٢١.

أما علماء الشيعة، فكلمتهم في ذلك واضحة، لأنها من صميم عقائدهم:

قال الشيخ المفيد (قد): (... فدعا الحسن والحسين عليهما السلام للمباهلة، فكانا ابنيه في ظاهر اللفظ، ودعا فاطمة سلام الله عليها وكانت المعبر عنها بنسائه، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان المحكوم له بأنه نفسه وقد علمنا أنه لم يرد بالنفس ما به قوام الجسد من الدم السائل والهواء ونحوه، ولم يرد نفس ذاته، إذ كان لا يصح دعاء الإنسان نفسه إلى نفسه ولا إلى غيره، فلم يبق إلا أنه أراد عليه وآله السلام بالعبارة عن النفس إفادة العدل والمثل والنظير، ومن يحل منه في العز والإكرام والمودة والصيانة والإيثار والإعظام والإجلال محل ذاته عند الله سبحانه، فيما فرض عليه من الاعتقاد بها وألزمه العباد. ولو لم يدل من خارج - دليل على أن النبي صلى الله عليه وآله أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام لقضى هذا الاعتبار بالتساوي بينهما في الفضل والرتبة، ولكن الدليل أخرج ذلك، وبقي ما سواه بمقتضاه (١).

وقال تلميذه السيد المرتضى (قد): (لا شبهة في دلالة آية المباهلة على فضل من دعي إليها وجعل حضوره حجة على المخالفين، واقتضاؤها تقدمه على غيره، لأن النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجة فيه إلا من هو في غاية الفضل وعلو المنزلة، وقد تظاهرت الرواية بحديث المباهلة وأن النبي صلى الله عليه وآله دعا إليها أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأجمع أهل النقل وأهل التفسير على ذلك (٢).

ومن الطريف اعتراف ابن تيمية، بعدم خروج أحد مع رسول الله في المباهلة غير المطهرين الأربعة (٣)، إلا أنه يقول بأن عادة العرب في المباهلة أنهم كانوا يخرجون أقرب الناس إليهم، ذاهلاً عن أن تسمية الخمسة الأطهار جاءت من الله سبحانه وتعالى ولم تأت من العرف والعادة، ومن يسمع بقول (عادة العرب) يتصور أن هناك مباهلات ومباهلات في تاريخ العرب.

ولم يبين لنا ابن تيمية، هل كانت العرب تخرج صغارها كما دعي الحسنان ونساءها كالزهراء، وتترك كبار الأقارب كالعباس.

نعم، لما ألزمه ما في الآية من فضيلة عظمى لأمر المؤمنين عليهم السلام حاول التخفيف منها بقوله: لم تكن هذه الفضيلة لعل فقط وإنما كانت لفاطمة والحسن والحسين.

وفي هذا التخفيف مزيد فضل وشرف أن يختص الله تعالى شأنه أمير المؤمنين عليه السلام وعائلته الكريمة بمشاركة النبي صلى الله عليه وآله في مجال مجابهة المنكرين للإسلام والدعوة الإسلامية.

(١) تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام - الشيخ المفيد: ٢١ - ٢٣.

(٢) الشافي في الإمامة - الشريف المرتضى: ٢: ٢٥٤.

(٣) ينظر آية المباهلة - السيد علي الميلاني: ٣١.

ولا يظنُّ أحد أنَّ حضور الأربعة الطاهرين عليهم السلام كان لأجل تسجيل الحضور فقط، بل لهم الدور المكمل لدور رسول الله صلى الله عليه وآله كما يتضح من قوله صلى الله عليه وآله: إذا أنا دعوت فأمنوا، أي قولوا آمين. وفي هذا بيان لأهلية الحسين عليه السلام مع صغر سنِّهم لإنجاز التكليف الإلهية، والمساهمة في تحمل أعباء الدفاع عن الإسلام، وبذلك تندفع مساواة من ساوهم بغيرهم في الأفعال عند صغر سنِّهم.

٣- آية المودة

ونصها: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ^(١).

وقد اتفق المفسرون من الشيعة جميعاً على نزول هذه الآية في حق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وجاءت أكثر مصادر أهل السنة مطابقة لما رواه إخوانهم أتباع العترة الطاهرة. حيث قال الزمخشري: (وروى أنَّها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما) ^(٢)

وروى الهيثمي عن ابن عباس قال: (لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ^(٣).

ونقل ابن كثير استدلال الإمام زين العابدين عليه السلام على الرجل الشامي بهذه الآية: (لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيراً فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟ قال نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى؟ قال وإنكم لأنتم هم؟ قال نعم) ^(٤).

وأخرج الحاكم خطبة الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاده الإمام علي عليه السلام ^(٥): (قال خطب الحسن بن علي

(١) الشورى: ٢٣

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل - الزمخشري ٤٦٧: ٣.

(٣) مجمع الزوائد - الهيثمي ١٠٣: ٧.

(٤) تفسير ابن كثير - ابن كثير - ج ٤ - ص ١٢١

(٥) (قال الذهبي معقبا على حديث خطبة الإمام الحسن عليه السلام، الذي أخرجه الحاكم عن أبناء أئمة أهل البيت والذرية الطاهرة: ليس بصحيح! ولما كان هذا القدر مجملاً ومبهماً، فإنه لا يعياً به... وأظن أنه من جهة المتن والمعنى لا السند، وعذر الذهبي في قدحه في مناقب آل البيت عليهم السلام معلوم) (تشديد المراجعات و تفنيد المكابرات - السيد علي الميلاني ١: ٢٧٤ - ٢٧٥)

الناس حين قتل علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايته فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه وما ترك على أهل الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله ثم قال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي وانا ابن النبي وانا ابن الوصي وانا ابن البشير وانا ابن النذير وانا ابن الداعي إلى الله بإذنه وانا ابن السراج المنير وانا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه ﷺ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت^(١).

وتكلم القندوزي في نزول الآية بحق أهل البيت المطهرين فقال: (أخرج أحمد في مسنده: بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت لنا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين. أيضا أخرج هذا الحديث الطبراني في معجمه الكبير، وابن أبي حاتم في تفسيره، والحاكم في المناقب، والواحدي في الوسيط، وأبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء والثعلبي في تفسيره، والحموي في فرائد السمطين^(٢)).

وروى محمد بن طلحة الشافعي: (لما نزل قوله تعالى: قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وأبنائهما^(٣))

وقد صرح العجلوني بذلك نثرا وأكده شعرا فقال:

لقد حاز آل المصطفى أشرف الفخر	بنسبتهم للطاهر الطيب الذكر
فحبهم فرض على كل مؤمن	أشار إليه الله في محكم الذكر
ومن يدعي من غيرهم نسبة له	فذلك ملعون أتى أقبح الوزر ^(٤)

(١) المستدرک - الحاكم النيسابوري ١٧٢: ٣.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي ٣١٥: ١.

(٣) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ﷺ - محمد بن طلحة الشافعي: ٢٨.

(٤) كشف الخفاء - العجلوني ١: ١٩.

والآيات الماثورة عن الشافعي أحد الفقهاء الأربعة عند أهل السنة، وإمام الشافعية:

يا أهل بيت رسول الله حاكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^(١)

ومما تضمنته هذه الآية الكريمة من فضائل بحق أهل البيت عليهم السلام، أن مودة أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة الزهراء عليها السلام والإمامين الحسنين عليهم السلام واجبة بنص القرآن الكريم، بل جعلها الله تبارك وتعالى أجراً لأداء الرسالة المحمدية.

وهذا الوجوب المستمر يدل بدوره على عصمة أهل البيت عليهم السلام، لأن الله سبحانه وتعالى، لا يأمر بحب من يرتكب الذنوب والآثام، (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)^(٢)، ومن الطبيعي أن أي ذنب مهما صغر ينحرف بالإنسان عن طريق الحق، والصراط القويم الذي يريده الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فلا يمكن أن يكون حبه واجباً دائماً، إن افترض تلبسه بالذنوب في لحظة من اللحظات.

وإذا كان الأئمة معصومين، كما هو معلوم بالدليل العقلي والنقلي، فإن تقدم غيرهم عليهم يصطدم مع العقل والقرآن والسنة، ولا تنفع التأويلات في إيجاد الأعذار لأولئك المتقدمين، مهما كان شكلها ونوعها. وطاعة المعصوم واجبة، لأنه يهدي إلى الحق فلا يساويه غيره (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)^(٣).

هذا هو المفروض والمطلوب بحق آل النبي صلى الله عليه وآله، لكن مراجعة الواقع التاريخي للمسلمين يفضح بُعد أغلبهم عن ذلك، إن لم يناقضه، فما أن التحق نبينا العظيم صلى الله عليه وآله بجوار ربه الكريم وقبل أن تتم مراسيم دفنه جرت أحداث عظام عصفت بوصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في بيعة الغدير.

وكانت نتيجة تلك العواصف أن حرمت الأمة الإسلامية من قيادة الطاهرين المطهرين المشهورين بالعلم والحكمة، والمتحلين بأكمل الفضائل، التي لا يستطيع منصف أن ينكرها أو يغض الطرف عنها.

وسقط في امتحان الحب جمع كبير من الصحابة، ولم تستقم الجماهير المأمورة بالمودة دوراً بعد دور، وحتى عند وصول البيعة بالخلافة مدعنة إلى بيت كبير أهل القربى، شقت عليه عصا الطاعة ولم يذعنوا لصوت القرآن، ووصل الأمر إلى تجييش الجيوش لمقاتلة وصي رسول الله صلى الله عليه وآله والحاكم بالسوية، وهاجت الفتن ولم تهدأ

(١) معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله - الزرندي الشافعي: ٢٥.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) يونس: ٣٥.

حتى لاقى ربه قتيلا في محراب صلاته على يد أشقى الأشقياء عبد الرحمن بن ملجم.

وتابع الإمام الحسن عليه السلام على خطى أبيه وجده، وهو الفريد في الفضائل والصفات، ولكن الشيطان ما برح ضاربا على وتر الفتنة والانشقاق عن سبط رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة، حتى قضى مسموما، تاركا شريكه في السيادة يقارع طغاة بني أمية، فوصل اعوجاج الأمة حدا لا يقيمه إلا الدم الطاهر، فكانت كربلاء وكان الذبيح العطشان.

واستمر الحال بباقي الأئمة الاثني عشر عليه السلام من ذرية الحسين عليه السلام محاصرين، مضطهدين، مقتلين حتى كانت الرزية العظمى بغياب الموعود المنتظر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

ثم انطوى عصر المتقدمين، وجاء المتأخرون، فلم يزن الكثير منهم ما فعله الأولون، ولم يتنبهوا لتجارب التاريخ، بل أغمضوا أعينهم عن الحق وصریح القرآن ودأب بعضهم على التماس العذر لمن سبقهم، وكأن لكل واحد منهم قلبين، قلب يدعي حب أهل بيت النبي ﷺ، وقلب ينبض بحب من عاداهم، وصار الجمع بين محبة أمير المؤمنين ومحبة معاوية شيء مقبول، وحب الحسين عليه السلام مع حب قاتله الملعون يزيد، يمثل الطريقة الوسطى وخصوصا عند طوائف من المسلمين في عصرنا، ومن خالف تلك الطريقة عد من الرافضة المبعوضين، أو كان شيعيا محترقا كما كان يوصف رواة فضائل أهل البيت عليه السلام.

٤ - آية الصلاة على النبي وآله:

ونصها: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)^(١).

وقد فسرت كيفية الصلاة الموجودة في الآية الكريمة، بأنها الصلاة على النبي وآله، في الكثير من كتب أعلام أهل السنة وعلى رأسهم البخاري بروايته عن كعب بن عجرة قال:

(قيل يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة، قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)^(٢).

(١) سورة الأحزاب: ٥٦

(٢) صحيح البخاري - البخاري ٦: ٢٧.

وروى مثل ذلك القرطبي في تفسيره^(١)، وابن عساكر^(٢)، وابن أبي حاتم الرازي^(٣)، والثعلبي^(٤)، والسيوطي^(٥)، وغيرهم.

وبعد معرفة كيفية الصلاة الواردة في الآية وشمول الآل بها، وتكرار ذكر الآل المقدس يوميا في تشهد الصلاة التي هي عمود الدين ومع ورود النهي عن قطع ذكر آل البيت ﷺ عند الصلاة على النبي ﷺ، يصر بعض المسلمين على الاستمرار في الصلاة الخالية من أهل البيت ﷺ عند ذكرهم لخاتم المرسلين ﷺ في طيات كلامهم، وتسمى هذه الصلاة الناقصة المنهي عنها بالصلاة البتراء.

ومن الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ في تفسير معنى الصلاة البتراء، والنهي عنها: ما نقله القندوزي، قال: (وفي جواهر العقدين والصواعق المحرقة روي عن النبي ﷺ قال: لا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: تقولون: اللهم صل على محمد وتسكتون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)^(٦).

ومما يستقى من هذه الآية في حق أهل البيت ﷺ، ومنهم الإمام الحسن عليه السلام: أن تفسير صلاة الله سبحانه وتعالى مع ملائكته على الرسول الأعظم ﷺ، بالصلاة عليه وآله دليل آخر على عدم الافتراق بين خاتم النبيين ﷺ وعترته الطاهرة، يضاف إلى المشاركة في وجوب المودة والتطهير، والدفاع عن حريم الإسلام في المباهلة، دون غيرهم من الصحابة، وأمّهات المؤمنين وعلية القوم. قال الرازي: (إنَّ الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أنَّ حب آل محمد واجب، وقال الشافعي رضي الله عنه:

يا راكبا قف بالمحصب من منى	واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى	فيضا كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد	فليشهد الثقلان أني رافضي ^(٧) .

(١) ينظر تفسير القرطبي - القرطبي ١٤: ٢٣٤.

(٢) ينظر تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ١٥: ٢٣٦.

(٣) ينظر تفسير ابن أبي حاتم - ابن أبي حاتم الرازي ١٠: ٣١٥١.

(٤) ينظر تفسير الثعلبي - الثعلبي ٨: ٦٢.

(٥) ينظر الدر المنثور - جلال الدين السيوطي ٥: ٢١٥.

(٦) ينابيع المودة لدوي القربى - القندوزي ١: ٣٧.

(٧) تفسير الرازي - الرازي ١٦٦: ٢٧.

وفي ذخائر العقبي عن جابر رضي الله عنه أنه كان يقول لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد ما رأيت أنها تقبل (١).

كما أن في الآية الكريمة دليل آخر على عصمتهم ﷺ، لأن صلاة المسلمين عليهم في كل وقت، ولو فرضنا - تجاوزا - ارتكابهم الذنب، فإن وجوب الصلاة عليهم من قبل الله - تعالى - يتناقض مع المفروض.

ومع وجود كل هذه الدرجات الرفيعة التي لم ينل مثلها أحد من الصحابة أو غيرهم، يبقى محيرا قبول المسلمين لتقديم من هو أقل مرتبة من آل البيت ﷺ عليهم، وأعجب ما قرأته في هذا الباب قول ابن أبي الحديد في مقدمة شرحه لنهج البلاغة، انه يحمد الله على أن (قدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف) (٢). حيث لم يكتف بتصحیح التقدم، بل نسب ذلك الفعل إلى الله عز وجل، لمصلحة اقتضاها التكليف، ولم يبين ماهية تلك المصلحة ولا دليله على ما ارتكبه في حق الحكيم الخبير.

وتقديم المفضول على الفاضل الذي حمد الله عليه ابن أبي الحديد، لا يقر به أي عاقل - إن خلي وعقله - وأخلص فكره من هواه.

وبالإضافة إلى كونه يخالف قواعد العقل السليم، فهو يخالف ما جاء به القرآن الكريم (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (٣)، (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (٤).

(١) ذخائر العقبي - احمد بن عبد الله الطبري: ١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١: ٣.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) سورة يونس: ٣٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.
٢. آية المباهلة: السيد علي الحسيني الميلاني، الناشر مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط ١، ١٤٢١ هـ.
٣. تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر (ت ٥١٧ هـ)، تحقيق علي شيري، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٤. تفسير ابن أبي حاتم: ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، الناشر المكتبة العصرية، المطبعة صيدا - المكتبة العصرية.
٥. تفسير الثعلبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن): عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعلبي (ت ٨٧٥ هـ)، تحقيق د. عبد الفتاح أبو سنة و علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٦. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق وتصحيح أحمد عبد العليم البردوني، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٧. تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام): الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تحقيق علي موسى الكعبي، الناشر دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٨. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق وتصحيح الأسانيد ووضع الفهارس محمد هادي الاميني، الناشر مكتبة نينوى الحديثة، طهران.
٩. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: أبو العباس محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤ هـ)، الناشر مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.
١٠. سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١١. الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ)، تحقيق وتعليق

- السيد عبد الزهراء الحسيني، الناشر مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط ٢، ١٤١٦ هـ - ١٩٨٦ م
١٢. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.
١٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
١٤. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
١٥. صحيح مسلم (الجامع الصحيح): مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١٦. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، الناشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
١٧. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ٥٣٨ هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٩. المستدرک على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، المطبعة دار المعرفة، بيروت.
٢٠. مسند ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم المروزي (ت ٢٣٨ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحق البلوسي، الناشر مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٢١. مسند احمد: احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، الناشر دار صادر، بيروت.
٢٢. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق وتعليق سعيد اللحام، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٢٣. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ: محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ)، تحقيق

ماجد بن أحمد العطية.

٢٤. معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول ﷺ: محمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٥٠ هـ)،

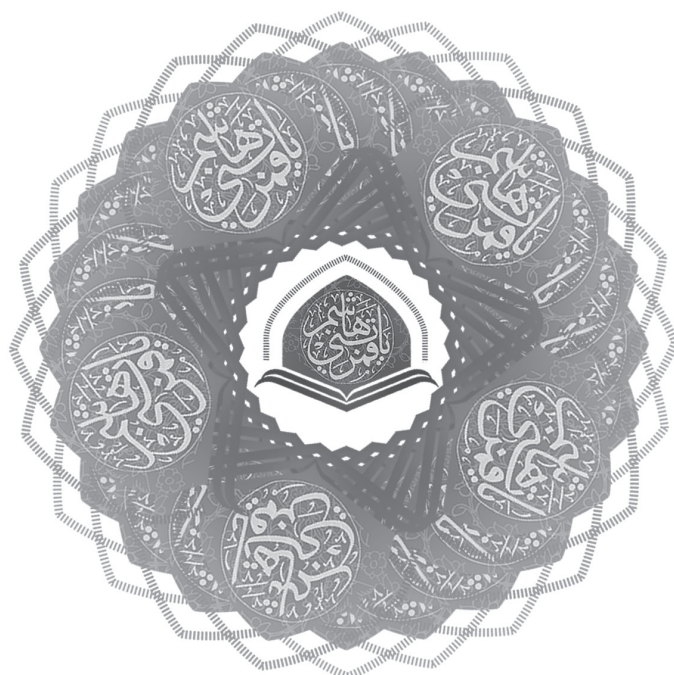
تحقيق ماجد بن أحمد العطية .

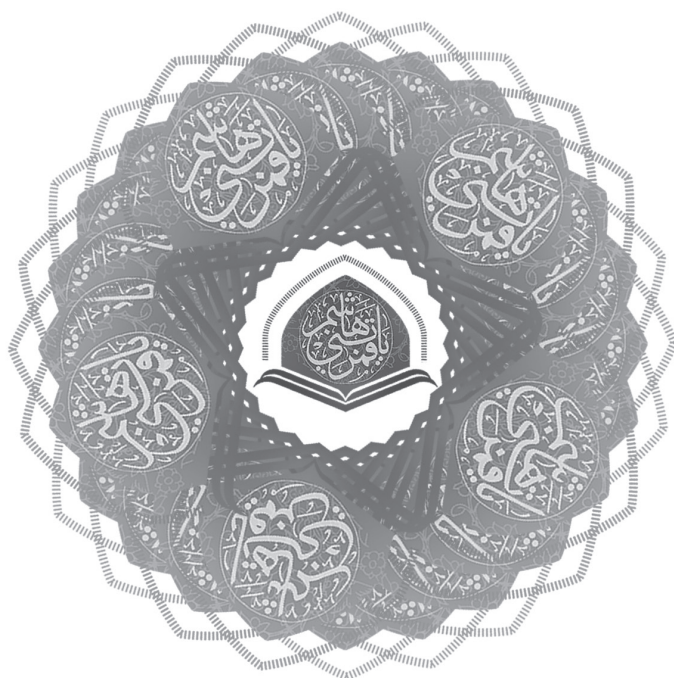
٢٥. نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطین: محمد بن يوسف

الزرندي (ت ٧٥٠ هـ)، ط ١، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.

٢٦. ينابيع المودة لذوي القربى: الشيخ سليمان بن ابراهيم القندوزي (ت ١٢٩٤ هـ)، تحقيق سيد

علي جمال أشرف الحسيني، الناشر دار الاسوة للطباعة والنشر، المطبعة أسوة، ط ١، ١٤١٦ هـ.





أثر شعيرة الزيارة الأربعينية في تنمية خُلقي الإيثار والكرم

أزهار جبر هادي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعترته الطاهرين الميامين، وصحبه المنتجبين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، من الآن إلى يوم الدين وبعد:

من نعم الله الكبرى على أمتنا الإسلامية وعلى أتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم تحديدًا هو وجود أهل البيت عليهم السلام في حياتنا، ومن هذا الوجود المشعّ بالخير واليمن والبركة ما يكمن في زيارة مراقدهم المقدسة، وبخاصة زيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام التي ركّز عليها جميع أهل البيت عليهم السلام وأولوها عناية فائقة للغاية، والحديث عن هذا الجانب من الوضوح بمكان عظيم، ومن بين هذه الزيارات الحافلة بالمعطيات والمرتكزات هي (زيارة الأربعين المباركة) التي هي بصدد دراستنا، فقد حفلت هذه الزيارة بعناصر عقائدية وفكرية وأخلاقية في منتهى الفاعلية، ولم تقتصر آثارها على شريحة محددة، لا من حيث العمر ولا من حيث الجنس، ولا من حيث المستوى الثقافي، فالكل متاح له أن يتربى على مبادئها صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساء.

إنّ ظاهرة زيارة الأربعين تنفرد بتقديم استعراض أخلاقيّ عريض حيث لا يوجد ثمة عمل مشابه له، لا شكلاً ولا مضموناً ولا غرضاً، فلم تشهد المجتمعات - لا قديماً ولا حديثاً - حدثاً يُعنى بإحياء (مكارم الأخلاق) والقيم الإنسانية الأصيلة من خلال تجسيدها فعلياً، وممارستها طوعاً وعفوياً لأيام متتالية، وباستمرار وتنوع مثير ومذهل، فلا يكاد ينتهي مشهد حتى يخطف بصرك مشهد آخر، وتحوم أحداث تلك المشاهد على صناعة الحب والوفاء وعشق السخاء وتكريم التضحية وخلق أنماط معجزة من الكرم والإيثار، إنّنا ازاء أسطورة أخلاقية ترسمها الملايين من المشتركين في ممارسة زيارة الأربعين.

وعلى أساس ذلك كله جاء هذا البحث حول زيارة الأربعين والذي أسميته: "أثر شعيرة الزيارة الأربعينية في تنمية خُلقي الإيثار والكرم" واقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم الى: مقدمة، وخاتمة، ومبحثين، وقائمة المصادر والمراجع. اشتمل المبحث الأول على ثلاثة مطالب، كرس المطلب الأول لتعريف زيارة الأربعين في

اللغة والاصطلاح، وذكرت في المبحث الثاني استحباب زيارة القبور بصورة عامة وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في الأربعين بصورة خاصة مع ذكر الروايات الدالة على ذلك، أما المطلب الثالث فكان لإثبات أن زيارة الأربعين شعيرة من شعائر الله فضلاً عن تعريف الشعيرة في اللغة والاصطلاح، أما المبحث الثاني فكان أثر زيارة الأربعين في تنمية خلقي الإيثار والكرم ويحتوي على ثلاثة مطالب، الأول كان لتعريف التنمية لغة واصطلاحاً، والثاني عن تنمية خلق الإيثار في مسيرة الزيارة الأربعينية، أما المطلب الثالث فتناولت فيه تنمية خلق الكرم في مسيرة الزيارة الأربعينية.

المبحث الأول: شعيرة زيارة الأربعين في الروايات الشريفة.

المطلب الأول: زيارة الأربعين لغة واصطلاحاً

١ - الزيارة في اللغة: من مجموع كلمات اللغويين والمفسرين تحصل أن الزيارة هي القصد والملاقة. زور، زاره، زيارة، وزورا، قصده فهو زائر و(زور) وقوم (زور) وزاور مثل سافر وسفر وسفارة ونسوه (زور) أيضاً و(زور) وزائرات والمزار يكون مصدرًا وموضع (الزيارة) و(الزيارة) في العرف قصد المزار إكراماً له واستئناساً به^(١).

كما ذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب (تزاوروا): زار بعضهم بعضاً. والتزوي: كرامة الزائر وإكرام المزور للزائر، والتزوير: أن يكرم المزور زائره ويعرف له حق زيارته^(٢).

والزور (الزائر) وهو الذي يزورك: يقال رجل زور، وفي الحديث إن لزوارك عليك حقاً، وهو في الأصل مصدر، وضع الاسم كصوم ونوم، بمعنى صائم ونائم^(٣).

وأما المعنى الاصطلاحي للزيارة فإنه لا يكاد يخرج عن المعنى اللغوي وإن كان المتبادر هو زيارة القبور غالباً^(٤).

إن ظاهرة زيارة القبور والاهتمام بالموتى من الظواهر المتكررة في تاريخ المجتمعات البشرية والمتتبع لها سيجد أنها لا تختص بالمجتمع الديني ولا بالمسلمين، بل هي موضع اهتمام على اختلاف مشاريعها ومعتقداتها^(٥).

(١) الفيومي، أحمد بن محمد بن المقرئ (٧٧٠هـ)، المصباح المنير، ط٣، (إيران: سرور، ١٤٢٥هـ)، ص ٢٦٠.

(٢) ابن منظور (٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ج ٦، ص ١١.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق نواف الجراح، ط١، (بيروت: دار صادر، ٢٠١١)، ج ٥، ص ١٤٥.

(٤) عبد الحميد، صائب، الزيارة والتوسل، ط١، (قم: مركز الرسالة، ١٤٢١ق)، ص ١٥.

(٥) الموسوي، عبد الرحيم، في رحاب أهل البيت (عليه السلام): زيارة القبور، ط٣، (بيروت: التعارف للنشر، ٢٠٠٦م)، ص ١١.

وستحدث عن هذا الموضوع في المباحث اللاحقة.

تعدّ الزيارات بصورة عامة واحدة من أهم الوسائل في إحياء الدين في النفوس وأبرز مظاهر شعائره هي زيارة الشخصيات الفذة التي أسست هذا الدين وحفظته وفدت أرواحها وأموالها من أجل عزّته ومن بين هذه الشخصيات العظيمة الإمام الحسين عليه السلام.

أما ما يخصّ بحثنا هو زيارة الأربعين التي هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر إلى النور، وبالتالي يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادئ ومن ثم رفع معدن الذات والطينة الإنسانية.^(١) إنّ يوم الأربعين هو ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام إلى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في هذا اليوم، وما مسير المؤمنين اليوم وبأعداد مليونية إلى كربلاء مشاة ومن جميع أنحاء العالم إلّا تذكرة بمسيرة كربلاء الخالدة، ويسمى هذا اليوم في العراق (مرد الرأس) وهو العشرين من صفر.^(٢)

ومرد الرأس كما صرّح به الكثير من العلماء: هو اليوم الذي ردّ رأس الحسين إلى جثته حتى دفن مع جثته.^(٣) إنّ العشرين من صفر هو يوم الأربعين وهو موضع وفاق الجميع، إلّا ما ذكره الشيخ البهائي في كتابة (توضيح المقاصد)، فإنّه جعل يوم التاسع عشر من صفر يوم الأربعين، وهو المتفرد في قوله، وذلك الاختلاف ناشئ عن احتساب يوم عاشوراء أو عدمه، والظاهر عدم احتسابه، لأن المقصود مضي ذلك المقدار من بعد الشهادة فيكون يوم الحادي عشر من محرم مضي عنها وهكذا.^(٤) وقال السيد ابن طاووس «فإن قيل: كيف يكون العشرين من صفر يوم الأربعين، إذا كان قتل الحسين عليه السلام يوم عاشر من محرم، فيكون يوم العاشر من جملة الأربعين، فيصير واحد وأربعين»^(٥) فيقال لعلّ إنّ الشهر كان ناقصاً، أو يكون تامّاً ويكون يوم قتل الإمام عليه السلام غير محسوب لأنّ قتله كان أواخر النهار، فلم يحسب من العدد.

(١) البغدادي، ابراهيم حسين، اسرار زيارة الاربعين، (د:م، د:مط، ١٤٣٣هـ)، ص ٧.

(٢) السعدي، انتصار عبد عون، المسار التاريخي لزيارة الاربعين النشأة والتطور، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، (العدد الرابع، السنة الثانية، ٢٠١٧م)، ص ٨٢.

(٣) الخوارزمي، ابي الريحان محمد بن احمد البيروني (٤٤٠هـ)، الاثار الباقية عن القرون الخالية (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٢٣م)، ص ٣٣١. بن شهر اشوب، رشيد الدين ابي عبد الله محمد بن علي المازندراني (٥٨٨هـ)، مناقب ال ابي طالب، ط ١، (قم: شريعت، ١٤٣١هـ)، ج ٤، ص ٧٧. الطبرسي، ابي الفضل بن الحسن، اعلام الوري بأعلام الهدى، ط ٣، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٧٠م)، ص ٢٥٠. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤م)، ص ٢٦٥.

(٤) الاميني، محمد امين، الركب الحسيني في الشام ومنه الى المدينة المنورة، ط ٢، (قم: مركز الدراسات الاسلامية، ١٣٨٣هـ)، ج ٦، ص ٣١٩. المجلسي، بحار الانوار، باب زيارة الاربعين (٤٢)، ج ١٠١، ص ٣٣٥.

(٥) ابن طاووس، ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني الحسيني (٦٦٤هـ)، إقبال الاعمال، (تحقيق حسين الاعلمي)، ط ١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، للمطبوعات، ١٩٩٦م)، ص ٦٦.

وبهذه المناسبة تكونت زيارة الأربعين، إذ تَفِدُ المواكب العزائية وآلاف الزائرين إلى كربلاء المقدسة يوم العشرين من صفر فإِنَّهم يقومون بدور الاستقبال للإمام السجاد عليه السلام وبنات الرسالة العائدين من الشام ومعهم رأس الحسين عليه السلام وفي الوقت نفسه يجددون الاحتفال بذكرى مرور أربعين يوماً على شهادة الإمام عليه السلام. ولقد ذكر العلماء والمحدثون جملة من الأدلة والروايات التي تشير إلى استحباب زيارة الحسين عليه السلام بصورة عامة، وزيارة الأربعين بصورة خاصة، وذكر البراهين الدالة على مشروعية زيارة الأربعين، ونحاول أن نشير بنحو الإجمال إلى بعضها في المبحث الثاني.

المطلب الثاني: حقيقة زيارة الأربعين في الروايات الشريفة.

قبل الولوج في هذا المطلب الذي يتحدث عن حقيقة زيارة الأربعين في الروايات الشريفة، وقبل ذكر الروايات الدالة على استحباب زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين، سنتحدث عن زيارة القبور بصورة عامة، وعن زيارة الحسين عليه السلام بصورة خاصة.

إنَّ أحد الأمور الأساسية التي أقرّها الإسلام بالعقل والنقل هو وجود الحياة بعد الموت، وأنَّ الأرواح تعيش في عالم برزخي بين الدنيا والآخرة، فيه النعيم وفيه العذاب. فعن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: "الموتى تزورهم؟ قال: نعم، قلت: فيعلمون بنا إذا آتيناهم؟ فقال: إي والله، إنَّهم ليعلمون بكم، ويستأنسون إليكم".^(١)

دَلَّ ذلك على أنَّ هناك باب مفتوح بين الأحياء والأموات، وقد أرشدت الشريعة الناس إلى طريقه، لغايات وأهداف نبيلة وشريفة.^(٢)

إنَّ زيارة القبور تنطوي على آثار أخلاقية وتربوية هامة، وتعد من الأمور التي أجمعت الأمة الإسلامية عليها وعلى استحبابها، بلا فرق بين مذاهبها المختلفة، ومارس ذلك كبيرهم وصغيرهم. تشكل زيارة القبور بصورة عامة وسيلة للاتعاظ والعبرة، حيث يدرك الزائر للقبور بأنَّ مصيره معها طال فهو الفناء، روي عن الرسول ﷺ: (زوروا القبور فإنَّها تذكر الموت).^(٣) كما تساهم في تعميق الاعتقاد باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الدين، روي عن الرسول ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنَّها تذكر الآخرة».^(٤) وتؤدّي زيارة

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، تفضيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط ١، (قم: مؤسسة آل البيت عليه السلام لأحياء التراث)، ١٤٠٩هـ، ج ٣، ص ٢٢٢.

(٢) شع، مياسة مهدي، زيارة الأربعين فوق الشبهات، ط ١، (النجف: دار أبو طالب للطباعة والنشر، د: ت)، ص ٧.

(٣) السيوطي، جلال الدين، سنن النسائي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٠م)، ج ٤، ص ٩٠.

(٤) السيوطي، جلال الدين، سنن النسائي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٠م)، ج ٤، ص ٨٩.

القبور إلى تنمية مشاعر الخير وحب الفضيلة، فإنّها تعدّ وسيلة لتربية الإنسان المسلم على أن يكون ذا قصد إيجابي في فعله، هذه بعض الفوائد التي تؤدّيها زيارة القبور.

أما ما يخص زيارة الحسين فإنّ الأحاديث والروايات فيها تفوق حدّ الحصر، والترغيب فيها لا يضاهيه ملحظ آخر، والله ينظر إلى زوار الحسين، والزائر مستجاب الدعوة، مغفور الذنب، مقضي الحاجة، والزيارة تفرج الهم والحزن، والتوسل عند قبر الحسين يقضي الدين، ويشفي الأمراض، والأمر المهم في زيارة الحسين عليه السلام أنّها لا تقتصر على وقت فهو يزار كل يوم، وكل أسبوع، وكل شهر. وقد تقتصر زيارة على زمن معين مخصوص، فيه من الفضيلة ما فيه، وقد تعددت الزيارات المخصوصة للحسين عليه السلام، وإن زيارة الإمام الحسين عليه السلام ذات اعتبار خاص، ولها آداب مرعية ومراسم معينة، تعرضت لها كتب الأدعية والزيارات. (١)

لقد تواترت الروايات في فضل زيارة الحسين بن علي عليه السلام، ومنها على سبيل الإيجاز: روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «مُرُوا شِيعَتَنَا بِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ إِيْتَانَهُ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ وَيَمُدُّ فِي الْعُمُرِ وَ يَدْفَعُ مَدَافِعَ الشُّوْءِ وَإِيْتَانَهُ مُفْتَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يُقِرُّ لَهُ بِالْإِمَامَةِ مِنَ اللَّهِ». (٢)

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَارِفًا بِحَقِّهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ" (٣) و «عَنْ أُمِّ سَعِيدٍ الْأَخْمَسِيَّةِ قَالَتْ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ): يَا أُمَّ سَعِيدٍ تَزُورِينَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ (سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ)؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: يَا أُمَّ سَعِيدٍ زُورِيهِ، فَإِنَّ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ (سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ) وَاجِبَةٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ». (٤) كما ورد في روايات كثيرة الآثار المترتبة على تارك زيارة الإمام الحسين عليه السلام ويعدّ من الجفاء للحسين عليه السلام، وكذلك ينقص من العمر بنحو لا تخلف فيه. (٥)

وورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: "مُرُوا شِيعَتَنَا بِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ إِيْتَانَهُ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ وَيَمُدُّ

(١) ظ: الصغير، محمد حسين علي، الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر الثوري دراسة في المنهج والمسار، ط ١، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠١٢م)، ص ٣٦٤.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب (٣٧) تأكد استحباب زيارة الحسين بن علي عليه السلام، ج ١٤، ص ٤٣١.

(٣) الكليني، أبي جعفر بن محمد بن يعقوب بن اسحاق، (٣٢٩هـ)، الكافي، صححه على أكبر الغفاري، (طهران: مؤسسة دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٧هـ)، ج ٤، ص ٥٨٢. القمي، أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (٣٦٨هـ)، كامل الزيارات، تحقيق جواد القمي، ط ٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٠هـ)، الباب ٥٤، ص ٢٦٢. العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤١١.

(٤) القمي، كامل الزيارات، الباب ٤٣، ص ٢٣٧. المجلسي، بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٣. العاملي، وسائل الشيعة، باب ٤٠، ج ١٤، ص ٤٣٧.

(٥) التستري، جعفر، (١٣٠٣هـ)، الخصائص الحسينية، تحقيق جعفر الحسيني، (دم: انوار الهدى، دت)، ص ٣٠٢.

فِي الْعُمْرِ وَيَذْفَعُ مَدَافِعَ الشُّوْءِ وَإِتْيَانَهُ مُفْتَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يُقِرُّ لَهُ بِالْإِمَامَةِ مِنَ اللَّهِ" (١) ويستحب أيضًا زيارة زائر الحسين (عليه السلام) حين القدوم أو استقباله، فإنَّ ذلك مما يحصل به ثواب الزيارة كما دلت عليه الأخبار. (٢) فقد ذكر بعض المؤلفين من أصحابنا، عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ إِذَا انْصَرَفَ الرَّجُلُ مِنْ إِخْوَانِكُمْ مِنْ زِيَارَتِنَا أَوْ زِيَارَةِ قُبُورِنَا فَاسْتَقْبِلُوهُ وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ وَهَنِّئُوهُ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُ فَإِنَّ لَكُمْ مِثْلَ ثَوَابِهِ وَيَغْسَاكُمْ ثَوَابٌ مِثْلَ ثَوَابِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَإِنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُنَا أَوْ يَزُورُ قُبُورَنَا إِلَّا غَشِيَتْهُ الرَّحْمَةُ وَغُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ. (٣)

ومن نأت داره، وبعدت شقته فإنَّه يزور الإمام الحسين (عليه السلام) من بعيد، قال أبو عبد الله (عليه السلام): "إذا بعدت عليك الشقة ونأت بك الدار فلتعل على أعلى منزلك ولتصل ركعتين، فلتؤم بالسلام إلى قبورنا فإنَّ ذلك يصل إلينا" (٤). هذا بخصوص زيارة الإمام (عليه السلام) العامة.

أما زيارة الحسين (عليه السلام) الخاصة فإنَّ هذه الزيارة تزيد فضيلتها بخصوصية الوقت على أصل الفضيلة المطلقة، وخصوصيتها في زيادة الأجر معلومة، وأنَّ لكل واحدة أيضًا أثر خاص، وفضيلة خاصّة، وقد وردت فيها الأحاديث الكثيرة بحيث يغني الاستشهاد بها عن البحث عن الأسبقية التاريخية وإن كانت مهمة في التوثيق التاريخي، مثلاً زيارة الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة وليلة عيد الفطر ويومه وليلة عاشوراء ويومها وزيارة الأربعين وليلة عيد الأضحى ويومها وليلة الجمعة ويومها وليلة النصف من شعبان وغيرها من الأوقات التي لم يقدر معها الزائر في الحضور إلى القبر الشريف فيمكن الزيارة من بعد، كما ذكرنا في بداية البحث إذ إنَّ المشترك في الزيارة من قرب أو بعد هو القربة إلى الله تعالى، (وسياقي تفصيله في المطلب الثاني من هذا البحث) ومحبة الحسين (عليه السلام) لمحبة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، والمواساة لأهل البيت (عليهم السلام) من خلال زيارة الحسين (عليه السلام). (٥)

لما كان لزيارة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ذلك الفضل العظيم والاستحباب الأكيد بل قد يقال بوجوبها الكفائي على الأقل فقد جاءت روايات الأئمة من ولد الحسين (عليه السلام) لتبين لنا أنَّ هنالك أوقات خاصة، ومن تلك الأوقات زيارته في العشرين من صفر (زيارة الأربعين).

(١) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (٥٤٦٠هـ)، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، ط ٣، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٤ش)، باب ٩٥، ج ٦، ص ٤٤. القمي، كامل الزيارات، باب ٧٨، ص ٣٥٥. ج المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٤.

(٢) الاصطهباناتي، محمد حسن، نور العين، في المشي إلى زيارة الحسين (عليه السلام)، ط ١، (قم: مؤسسة الرافد للمطبوعات، ٢٠١١م)، ص ٦٢٣. نقلاً عن الخصائص الحسينية.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٢، ص ٣٠٢.

(٤) الطوسي، تهذيب الأحكام، الباب ٤٧، ج ٦، ص ١٠٣.

(٥) الحبوبي، الأبعاد العقائدية، مصدر سابق، ص ٨١-٨٢. بتصرف

ذكر العلماء والمحدثون جملة من الأدلة والروايات، التي تشير إلى استحباب زيارة الأربعين، منها

الدليل الأول: رواية الإمام العسكري (عليه السلام):

روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) أنه قال: "علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والجهز ببسم الله الرحمن الرحيم والتختم باليمين وتعفير الجبين".^(١) أورد بعضهم إشكالا على حمل كلمة (الأربعين) في رواية الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) على خصوص زيارة أربعين مؤمناً، والجواب على هذا الإشكال، إنَّ ما فهمه العلماء في زمن صدور الحديث وما بعده وإلى يومنا هذا إنَّ المراد من زيارة الأربعين خصوص زيارة الحسين (عليه السلام)، وسار على هذا الفهم عموم شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، وكذلك دخول الألف واللام على كلمة أربعين، ولا شك إنَّ المراد من هذه الألف واللام خصوص العهد لا غيرها، وإن دخولها على الكلمة تحولها من نكرة إلى معرفة مشخصة معروفة عند المخاطب، ولو كان الغرض هو الإرشاد إلى زيارة أربعين مؤمن لقال الإمام (عليه السلام): وزيارة أربعين. أورد المقوم في كتابه مقتل الحسين (عليه السلام): «والتصرف في هذه الجملة (زيارة الأربعين) بالحمل على زيارة أربعين مؤمناً التواء في فهم الحديث وتمحل في الاستنتاج يأباه الذوق السليم مع خلوه عن القرينة الدالة عليه»^(٢).

والحاصل: حيث لا توجد قرينة تدل على إنَّ الأربعين هو أربعون مؤمناً، وحيث إنَّ اللام تفيد العهد، وإنَّ السيرة العملية للفقهاء والأعلام والمتدينين يحيون يوم العشرين من صفر وهذه السيرة مرتبطة ومتصلة بعمل الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعقائل الوحي وبعض صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) كجابر، يتضح استحباب ومشروعية زيارة الأربعين الحسينية، ولا يقصد من حديث الإمام العسكري (عليه السلام) ما توهمه بعضهم.^(٣)

الدليل الثاني: رواية صفوان بن مهران الجمال عن الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارة الأربعين: "السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونبيه، السلام على صفي الله.. إلى نهاية الزيارة، ثم صل ركعتي الزيارة وتدعوا بما أحببت"^(٤).

(١) الطوسي، ابن الحسن، مصباح المتعبد، (تصحيح: احمد عاشور)، ط ١، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٧ م)، ص ٧٣٠. الطوسي، تهذيب الاحكام، ج ٦، ص ٥٢. ابن طاووس، اقبال الاعمال، ص ٦٦. المجلسي، بحار الانوار، الباب ٤٢، ج ١٠١، ص ٣٢٩. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٥٧، ج ١٤، ص ٤٧٨. البرجوردي، حسين الطباطبائي، جامع احكام الشيعة، (قم: مؤسسة الواصف، ١٣٨١ ش)، الباب ٥٥، ج ١٥، ص ٢٧٧.

(٢) المقوم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين (عليه السلام)، ط ٤، (النجف: مطبعة الاداب، ١٩٧٢)، ص ٤٦٠.

(٣) شيع، مياسة، زيارة الاربعين، مصدر سابق، ص ٤٠.

(٤) ابن طاووس، اقبال الاعمال، مصدر سابق، ص ٦٦. الكفعمي، تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي (٩٠٠)، المصباح في الادعية والزيارات والاحراز والعوزات، ط ٢، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣ م)، ص ٦٤٨. الطوسي، التهذيب، ج ٦، ١١٤. الاضطهاني، نور العين، مصدر سابق، ص ٣٧. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٧٨. القمي، عباس، مفاتيح الجنان ويليها الباقيات الصالحات، ط ٢، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٩ م)، ص ٥٤١.

الدليل الثالث : هو ما يروى عن جابر وهي أنه روى عن عطا قال: كُنْتُ مَعَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ، فَلَمَّا وَصَلْنَا الْغَاضِرِيَّةَ اغْتَسَلَ فِي شَرِيعَتِهَا، وَلَيْسَ قَمِيصاً كَانَ مَعَهُ طَاهِراً. ثُمَّ قَالَ لِي: أَمَعَكَ شَيْءٌ مِنَ الطَّيِّبِ يَا عَطَا؟ قُلْتُ: مَعِيَ سُعْدٌ، فَجَعَلَ مِنْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَسَائِرِ جَسَدِهِ. ثُمَّ مَشَى حَافِئاً حَتَّى وَقَفَ عِنْدَ رَأْسِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، وَكَبَّرَ ثَلَاثاً ثُمَّ خَرَّ مَغْشِياً عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا آلَ اللَّهِ... السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا صَفْوَةَ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا خَيْرَةَ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ.... إِلَى نِهَايَةِ الزِّيَارَةِ ثُمَّ انْحَنَى عَلَى الْقَبْرِ وَمَرَّغَ خَدَيْهِ عَلَيْهِ وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ.....» الخ الزيارة^(١).

في ضوء ما تقدم، تبين أن أحاديث الأئمة (عليهم السلام) حثت على زيارة الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعين وجعلتها سنة متبعة.

الأربعين شعيرة من شعائر الله تعالى.

إنَّ الحكم الإجمالي للشعائر يتوقف على تحرير معنى الشعيرة أو الشعائر في الوضع اللغوي، ولذا يقتضي الأمر قبلولوج إلى غمار المطلب بيان المراد من مفهوم الشعائر أو الشعيرة.

الشعيرة في اللغة: إنَّ لفظ الشعائر أو الشعيرة كما وردت في المعاجم اللغوية، كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي (شعر)، أورد بن زكريا في كتابه معجم مقاييس اللغة (شعر) الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على ثبات، والآخر على علم وعلم، فالأول الشعر معروف، والجمع إشعار، وهو جمع الجمع، والواحدة شعيرة، والشعيرة واحدة الشعائر، وهي إعلام الحج وأعماله، ويقال الشعيرة أيضا البدنة تهدي^(٢). وقيل شعائر لكل علم مما تعبد به لأن قولهم شعرت به علمته، فلهذا سميت الأعلام التي هي متعبدات الله تعالى شعائر، والمشاعر: مواضع المناسك.^(٣)

المشاعر: الطقوس التي تحيا بها الشعيرة أو الشعائر، ومشاعر الحج: المناسك والأعمال التي يتم بها الحج والحواس والأحاسيس، تتولد في النفس تجاه الموجودات والأحداث، واحدها مشعر.^(٤)

(١) المجلسي، بحار الانوار، الباب ٢٥، ج ١٠١، ص ٣٢٩. الحر العاملي، وسائل الشيعة ج ١٤، ص ٤٧٩.

(٢) بن زكريا، ابن الحسين احمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، (د.م: الدار الاسلامية للطباعة والنشر، ١٩٩٠م) ج ٣، ص ٣٦٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ١٣٦. الفراهيدي، الخليل بن احمد (١٧٥هـ) تحقيق مهدي المجزومي، وابراهيم السامرائي، ط ١، (بيروت: الاعلامي للمطبوعات، ١٩٨٨م) ج ١، ص ٢٥١. الرازي، محمد بن ابي البكر عبد القادر، رتبة محمود خاطر، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م)، ص ٣٣٩. الفيروز، آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ) تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ٢٢، (بيروت: دار احياء التراث، ٢٠٠٣م)، ص ٣٨٨. النراقي، احمد بن مهدي، عوائد الايام في بيان قواعد استنباط الاحكام، ط ١، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م)، ص ٤٢-٥٠.

(٤) الحمصي، احمد بن سليم، وضناوي، سعدي عبد اللطيف، (بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠١٥م)، ص ٥٦٠.

من خلال كلام اللغويين، يمكن الخروج بنتيجة، أن مورد استخدام مفردة الشعيرة والشعار هي موارد الإعلام الحسي بمعنى من المعاني الدينية، وإن جعلها بعض اللغويين مرتبطة بمناسك الحج خاصة.

أما الشعائر في الاصطلاح: "والشعائر تعني علامات الله وأدلتها، وهي تضم عناوين لأحكامه وتعاليمه العامة، وأول ما يلفت النظر في هذه المراسم مناسك الحج التي تذكرنا بالله سبحانه وتعالى".^(١)

وقد تضاف الشعائر إلى لفظ الجلالة (الله)، فنقول: (شعائر الله) كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)،^(٢) وقد تضاف إلى المذاهب، فيقال شعائر المذهب، وتضاف إلى الحسين (عليه السلام) فتسمى بالشعائر الحسينية، وقد تضاف إلى الدين، فتعرف باسم شعائر الدين أو شعائر الإسلام.^(٣)

أما ما يخص البحث هي الشعائر الحسينية: إنَّ الشعائر الحسينية إحدى الخطوط الهامة التي اعتمدها أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة عموماً، كما أنَّها كانت القاعدة الهامة التي يرتكز عليها تحركهم في الأمة، وقد وضع الأئمة (عليهم السلام) التصميم العام لهذه الشعائر ورسموا لها أبعادها الدينية، بحيث تنسجم من ناحية الشكل مع ظروف المأساة وأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، ومن ناحية المضمون مع الأبعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية.^(٤)

إنَّ المراد من الشعائر الحسينية هي تلك العلامات الدالة على قضية الحسين (عليه السلام) في الجملة، وهذه الشعائر تشترك فيما بينها بدلالات عامّة مشتركة كما في اشتراك جميع الشعائر بأنَّها علامات دالة على مظلومية الحسين (عليه السلام).^(٥)

إنَّ مفردة الشعائر - كما هو واضح - قد وردت في آيات عديدة في القرآن الكريم. (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ).^(٦) (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ).^(٧) (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط ١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٩٢م)، ج ١٠، ص ٣٠٧.

(٢) سورة الحج: آية / ٣٢.

(٣) الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية بين الاصاله والتجديد (محاضرات ساحة الاستاذ الشيخ محمد السند)، ط ١، (قم: دار الغدير، ٢٠٠٣م)، ص ٢٢. البخاتي، حاتم، الشعائر الدينية وانطباقها على المراسم الحسينية، (مجلة الاصلاح الحسيني، كربلاء، قسم الشؤون الفكرية، السنة الاولى، العدد، ١٤٣٤هـ)، ص ٣٠-٣١.

(٤) ظ: الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية، ط ٢، (النجف: العترة الطاهرة، ٢٠٠٥م)، ص ٧.

(٥) ظ: الحوي، محمد قاسم، الابعاد العقائدية في الشعائر الحسينية، (د، م: مطبعة الرائد، ٢٠٠٩م)، ص ٢٩.

(٦) سورة المائدة: الآية / ٢.

(٧) سورة الحج: الآية / ٣٠.

الْقُلُوبِ).^(١) (وَالْبُذْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ).^(٢) (إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ).^(٣) وهناك بعض الآيات التي لم يرد فيها لفظ الشعائر إلا أن بعض العلماء والمفسرين ذهبوا إلى استفادة حكم الشعائر منها، لم نذكرها للاختصار.

أورد الشيخ محمد السند في كتابه أن في بداية كل بحث لا بُدَّ أن يعثر الفقيه أو المجتهد على أدلة معيّنة لعنوان البحث، وهذه الأدلة حسب قواعد الفقه والأصول هي: الموضوع، والمحمول، والمتعلق. ومن أوضح الآيات على إثبات المطلوب، (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)،^(٤) حيث تدل على محبوبة ورجحان التعظيم لشعائر الله حسب التقسيم الثلاثي.^(٥)

حينما نقف على مضامين هذه الآيات القرآنية نجدها تشير وبوضوح إلى استحباب إحياء الشعائر الدينية، والشعائر الدينية: عبارة عن عبادات وسنن وآداب ومراسم، تتشكل من مزيج مكاني وزماني وسلوكي وخطابي، وقيمتها تبرز حين إحيائها، فعدم إحيائها يلغي مبرر وجودها أصلاً، وهذا الإحياء لا يكون عبثاً^(٦)، وكان سياق الحديث في هذه الآيات عن مناسك الحج وأفعاله وما يرتبط به مما جعل بعض علماء السنة يذهب إلى أن الشعائر مختصة ببعض مناسك الحج أو جميعها، ولا تشمل بقية الأبواب الفقهية، ولكن هذا الرأي خطأ، لأن مجرد وجود قرينة السياق لا تصلح دليلاً فيما لو وجد ما يعارضها من أدلة واستظهار، ولذلك ذهب علماء مدرسة أهل البيت (عليه السلام) إلى عمومية القاعدة، كالشيخ الكبير كاشف الغطاء (قدس سره) الذي ذهب إلى أن قبور الأئمة قد شعرت، فهي من الشعائر، فتجري عليها أحكام المساجد.^(٧)

وأورد صاحب المستمسك عند ترجيحه القول باستحباب الشهادة الثالثة قال كما أنه لا بأس بالإتيان به بقصد الاستحباب المطلق لما فيه من الاحتجاج، إذا قال أحدكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فليقل علي أمير المؤمنين، بل ذلك في هذا الإعصار معدود من شعائر الإيذان ورمز التشيع فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً

(١) سورة الحج: الآية / ٣٢.

(٢) سورة الحج: الآية / ٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية / ١٥٨.

(٤) سورة الحج: الآية / ٣٢.

(٥) ظ: جعفر، صادق، استراتيجية الشعائر الدينية عند الشيعة الإمامية، ط ١، (بيروت: جيكور للطباعة والنشر، ٢٠١٦م)، ص ٩١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩١.

(٧) ظ: كاشف الغطاء، جعفر بن خضر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، تحقيق: عباس التبريزيان، وآخرون، ط ٢، (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٣٠هـ)، ج ٢،

ص ١٤٧.

بل قد يكون واجباً لا بعنوان الجزئية من الأذان^(١).

إنَّ أقوال العلماء تثبت بأنَّ الشعائر لا تختص بمناسك الحج والعبادات وإنَّما لها شمول لكل الأحكام والأُمور الدينية، وأنَّ معنى الشعائر ووجودها اتخاذي واعتباري، أي حسب اتخاذ العرف واعتباره، فقبل أن يتواضع عليها العرف والمشرعة، لا تكون شعيرة ومشاعر بل تتخذ شعيرتها بعد أن تنتشر وتتفشى ويتداول استعمالها، وتصبح بشكل رسمي شعيرة وشعائر^(٢)

إنَّ من أبرز مصاديق وأفراد وتطبيقات الشعائر الدينية، هي الشعائر أو المراسم الحسينية، حيث تستمد الشعائر الحسينية أساسها الشرعي من الدعامتين الأساسيتين للتشريع، وهما (القرآن والسنة المطهرة) وذكرنا في بداية المطلب الآيات القرآنية التي تتضمن كلمة الشعائر وتأكيد استحبابها وعلى هدي ما تقدم تبين أنَّ الشعائر الحسينية تعدّ من شعائر الله تعالى، لأنَّها من الأمور العبادية التي يتقرَّب بها العبد إلى ربِّه، وتعد خير وسيلة للتذكير بأوليائه، والتي تكون امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى بحفظ قرابة رسول الله ﷺ ومودتهم، إذ قال تعالى (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ولقد تواترت الأحاديث والروايات الواردة في تفسير هذه الآية أنَّ المقصود من القربى هم أهل البيت (عليه السلام)^(٣).

أما في السنة المطهرة: تعدّ السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني في التدرج الإسلامي بعد القرآن الكريم (والسنة تعرف بأنَّها قول المعصوم أو فعله أو تقريره) فتشمل طريقة الأئمة الاثني عشر. وجاء على لسان النبي ﷺ، أنَّ أهل البيت هم عدل القرآن، وهم الأدلاء على مرضاة الله والمظهرين لأمره ونهيه^(٤).

ذكر الشيخ كاشف الغطاء: "أما والله لولا تعظيم هذه الشعائر وقيام أعواد المنابر، واستدامة التوجع والتفجع، لانطمست أعلام التشيع"^(٥).

ومن المعلوم أن مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) هي من أعظم المصائب على أهل البيت (عليه السلام) إذ قال الإمام أبو محمد

(١) الطباطبائي، محسن الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ط ٣، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩م)، ج ٥، ص ٥٤٥.

(٢) البخاتي، حاتم، الشعائر الدينية، مصدر سابق، ٣٦. بتصرف

(٣) ظ: الصفار، احمد فاضل، الشعائر الحسينية، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٤) وهو حديث الثقلين المروي عن النبي (ﷺ) "إني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدأ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي، وأنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

(٥) كاشف الغطاء، محمد الحسين النجفي، الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات، (بيروت: دار المرتضى، ١٣٤٥هـ)، ص ٢٨.

الحسن المجتبي عليه السلام "لا يوم كيومك يا أبا عبد الله" (١)

إنَّ الشعائر الحسينية لا تعاني من شحة في مجال الغطاء الشرعي والأدلة الدالة على رجحانها ومشروعيتها، وإنَّ للنهضة الحسينية أهدافاً وغايات يدركها الباحثون والعلماء وأخرى لم يدركوها بعد، وإنَّ المحافظة على تلك الأهداف السامية وإبقائها خالدة إنَّما يتحقق في ظل مراسم وطقوس وشعائر مختلفة واعية، ومن أهم هذه الشعائر هي (الزيارة، وإقامة المآتم، واللطم، ولبس السواد وإطعام الطعام)، فهي وسائل لإحياء أمر أهل البيت عليه السلام كما في الحديث "رحم الله من أحيا أمرنا" (٢).

تعدُّ الزيارة من أهم الشعائر الحسينية لما ورد من الحثِّ المؤكَّد عليها من قبل الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته عليه السلام في مختلف الظروف، ومن هذه الزيارات، زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعاء، وذكرنا سابقاً الأحاديث والروايات الواردة في فضل زيارة الأربعاء، وجعلها من علامات المؤمن كما جاء على لسان مولانا الحسن بن علي العسكري (٣). وأفرد العلامة الحر العاملي في وسائل الشيعة باباً لها أسماه (باب التأكيد على زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعاء من مقتله وهو يوم العشرين من صفر) (٤).

أما زيارته عليه السلام مشياً وهو ما يقوم به الموالون لأهل البيت عليه السلام، وخاصَّة في الزيارات المخصوصة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام كزيارة الأربعاء، فقد وردت في ذلك روايات تدل على استحباب هذا العمل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "يا علي زر الحسين ولا تدعه، قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحاً عنه سيئة ورفع له درجة، فإذا أتاه وكل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من سيئ ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودعوه وقالوا: يا ولي الله مغفور لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك ولا تطعمك أبداً" (٥).

إذن إنَّ المشروعية لزيارة الأربعاء مستمدة من كلام الأئمة عليه السلام مباشر وعليه عمل المشهور من علماء الطائفة، فلماذا يُلام الشيعة على زيارة الحسين عليه السلام وهو سيّد الشهداء الأحرار، الذي أنقذ أمته من خطر المحو والزوال. في الحقيقة أنَّ الأعداء أجهدوا أنفسهم كثيراً لكي يقفوا سداً منيعاً أمام زيارة الأربعاء، وكانت في كلِّ الأدوار معرضة للعدوان، ففي عهد المتوكل العباسي الذي كان يمثل القمّة في العدوان، فكان يقطع الأيدي،

(١) الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (٥٣٨١هـ)، الامالي أو المجالس، ط ١، (قم: مؤسسة البعثة، ١٩٩٦م)، ص ١١٧.

(٢) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، (ت: ٤٦٠هـ)، الامالي، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة)، ط ١، (قم: دار الثقافة، ١٤١٤هـ)، ص ١٣٥.

(٣) ظ: الى الصفحات، ١٢-١٣، من هذا البحث

(٤) العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٧٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٤٣٩.

والأرجل ويقتل النفس، ثم هدم حرم الإمام الحسين عليه السلام وأغرقه لكي يمحوا أثره، إلى رضا خان، إلى صدام اللعين والوهابيين وأمثالهم الذين جاءوا في أدوار مختلفة من التاريخ مستهدفين زيارة الأربعين، فلو كانت هذه الزيارة لا تحمل مضموناً دينياً وثقافياً وسياسياً واجتماعياً لما تعرضت لهذا المقدار من العدوان، ولتركت كما تركت الصوفية التي تقيم شعائر معينة، فهم يجلسون في مكان ما ويؤدون طقوسهم المعينة.^(١)

المبحث الثاني

أثر زيارة الأربعين في تنمية خلقي الإيثار والكرم

المطلب الأول: تعريف التنمية لغة واصطلاحاً

من الواضح أن المعاني والألفاظ بينهما علاقة وثيقة وارتباط عميق، فإنَّ الألفاظ المستعملة في كلِّ لغة إنَّما هي جسر إلى المعاني، وقد وضعت الألفاظ على المعاني بوضع خاص في البداية، ويسمَّى هذا الوضع الأولى بالوضع اللغوي، فكلُّ كلمة لا بد أن نعرف معناها اللغوي أولاً، والمتكفل ببيان المعاني هو معاجم اللغة، ثم ربما ينقل اللفظ من معناه الأوَّلي إلى معنى جديد يصطلحه البعض لنفسه، فيسمَّى بالمعنى المصطلح الثانوي، ويختلف باختلاف العلوم والفنون والصناعات والعرف.^(٢)

وقبل الورود في المباحث الخاصة في موضوع التنمية، لا بدُّ لنا أن نعرف معناها لغة واصطلاحاً

التنمية في اللغة:

(نمى): النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، ونمى المال ينمي: زاد^(٣)
ذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب «قال الأصمعي: التَّنْمِيَةُ من قولك نَمَيْتَ الحديث أُنْمِيَهُ تَنْمِيَةً بَأَن تَبْلُغَ هذا عن هذا على وجه الإفساد والنميمة، وهذه مذمومة والأولى محمودة، قال: والعرب تَفَرِّق بين نَمَيْتَ مخففاً وبين نَمَيْتَ مشدداً بها وصفت، قال: ولا اختلاف بين أهل اللغة فيه»^(٤). إذن تتجمع دلالات التنمية لغوياً في الزيادة والوفرة والتكثير والنماء.

التنمية في الاصطلاح:

لقد اختلف المفكرون الاجتماعيون حول تحديد مفهوم التنمية، حيث من الصعب عليهم الاتفاق على

(١) الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية، مصدر سابق، ص ٧٥. بتصرف

(٢) العلوي، عادل، تربية الأسرة على ضوء القرآن والعقيدة، ط ١، (قم: المؤسسة الإسلامية العامة للإرشاد والتبليغ، ١٤٢١هـ)، ص ١٩.

(٣) زكريا، ابن الحسين أحمد بن فارس، (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، (بيروت: الدار الإسلامية، ١٩٩٠م)، ص ٤٧٩.

(٤) ابن منظور، (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ١، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ج ١٤، ص ٢٩٧.

تعريف شامل لها، وذلك لأن مفهوم التنمية قد تطور في حد ذاته مع تطور الفكر الإنساني الذي كان يسود كل مرحلة، فإن استخدام مفهوم التنمية قد تتطور منذ الخمسينيات فانتقل من التركيز على التنمية الاقتصادية خلال الخمسينيات والستينيات الى التركيز على الجانب الاجتماعي خلال السبعينيات والثمانينيات وصولاً الى استخدام التنمية البشرية^(١)، فأصبحت أشكال عدة للتنمية بالإضافة الى التنمية الاقتصادية، ومنها (التنمية الاجتماعية، التنمية السياحية، التنمية العمرانية، التنمية المستدامة، التنمية السياسية، التنمية الثقافية، والتنمية المتكاملة، والتنمية البشرية)^(٢). والتنمية البشرية عرفها الكمالى بأنها: هي عملية مدروسة، مخطّط لها، محددة الأهداف، تدار من الفرد او المجتمع او من كليهما، وتسعى الى إحداث تقدم وتتطور وتقدم، وتنعطف بالمستويات كافة لا تحدها حدود فهي تطرق جميع أبواب مجالات الحياة كافة التي تؤثر في الفرد والمجتمع، لتحقيق التطور المطلوب، هذا التغير الشامل والتطور هدفه إحداث طفرة نمووية خدمة للإنسان والزمن الذي يعيشه^(٣).

أمّا تعريف التنمية المتكاملة: فهي مجموعة من الجهود المتنوعة والمنسقة التي تؤهل المجتمع المسلم للقيام بأمر الله تعالى، فالرفاهية والصّحة وفرص العمل والتعليم والتدريب والاستمتاع بأوقات الفراغ والتقدم التقني.. كل ذلك يهدف الى شيء واحد، هو تأهيل المسلم ورفع كفاءته، وتهيئة المناخ البيئي والاجتماعي الذي يساعده على أداء حقوق العبودية لرب العالمين والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض على الوجه الأكمل^(٤).

المطلب الثاني: تنمية خلق الإيثار في مسيرة الزيارة الأربعينية.

الإيثار: هو أرفع درجات الجود والسخاء وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه. وهو تفضيل الإنسان غيره على نفسه^(٥)، قال تعالى في محكم كتابه: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)^(٦) وهذا هو منتهى العطاء والجود في سبيل الله تعالى.

وروي عن أبي الطفيل: اشترى علي (عليه السلام) ثوباً، فأعجبه فتصدق به، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أثر على نفسه أثره الله يوم القيامة الجنة^(٧) وأنّ مبيت الإمام علي في فراش الرسول ﷺ يعدّ موقفاً رسالياً خالداً

(١) الربيعي، فؤاد فليح حسن، التنمية البشرية والشباب الواقع والطموح، ط١، (بيروت: دار القارئ، ٢٠١٦م)، ص ٢٢.

(٢) الربيعي، فؤاد فليح حسن، التنمية البشرية والشباب الواقع والطموح، ٢٣

(٣) الكمالى، طلال فائق، التنمية البشرية في القرآن الكريم دراسة موضوعية، ط١، (كربلاء: مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ١٤٣٥هـ)، ص ٦٢.

(٤) بكار، عبد الكريم، مدخل الى التنمية المتكاملة رؤية اسلامية، ط١، (بيروت: الدار الشامية، ١٩٩٠م)، ص ١٠.

(٥) الامين، محمد، الاخلاق والآداب الاسلامية، ط١، قم: مكتب الامين، ٢٠٠٣م، ص ٣٤٦.

(٦) سورة الحشر / اية ٩.

(٧) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط١، (قم: دار الحديث، ٢٠٠٠م)، ص ٢١.

في تاريخ الإسلام، ولعظمة هذا الموقف، فقد أنزل الله تعالى فيه قرآنًا، وهو قوله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)^(١).

يعدّ الإيثار أو ما يدعى أحيانًا (السلوك التغيري) واحدًا من أهم السلوكيات الإيجابية التي اهتم بها علماء النفس الاجتماعي، وذكروا أيضًا أنّ هناك ثمة تداخل في المصطلحات مثل (السلوك الإيثاري، والسلوك الاجتماعي الإيجابي)، حيث عرّفوا السلوك الإيثاري: هو أداء عمل لشخص آخر، دون أن يكون للشخص الفاعل أي مصلحة أو منفعة شخصية، وعرّفوا السلوك الاجتماعي الإيجابي، هو كلّ عمل يهدف إلى رعاية أو رفاهة الآخر^(٢).

وقد عملت ممارسة زيارة الأربعين المباركة على تأصيل سلوك الإيثار علميًا في الحياة حتى أصبح مثلاً يقتدى به من قبل شعوب شتى، ويعدّ من أهم السلوكيات التي ساعدت في انتصار نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث أعطت السيدة زينب وأخوها العباس بن علي بن أبي طالب وأهل بيته وأصحابه (عليهم السلام) أروع الدروس في الإيثار في معركة كربلاء عندما أثرت أخاها الإمام (عليه السلام) بنفسها وبأعز ما لديها أولادها، وكان موقف أبي الفضل في غاية الإيثار والبطولة فالقضية لم تكن كفاً من الماء، إلّا أنه كان يساوي في تلك اللحظات الحرجة حياة إنسان لشدة الاحتياج إلى قطرة من الماء لإرواء الأجساد التوّاقة، وهذا الموقف هو الذي ترمز إليه وتعبّر عنه الآية القرآنية «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»، فتلك الطاعة وذلك الوفاء هي النفسية المؤمنة التي ينبغي أن يكون عليها الشباب المؤمن المجاهد^(٣).

كما نجد هذا السلوك (الإيثار) في أعلى نسبه في زيارة الأربعين التي تمثّل مهرجاناً إنسانياً عظيماً، حيث تكشف زيارة الأربعين عن حالة من التعافي الكبير في جسد أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، في حقل السلوك الإيجابي حتى أمكن القول إنّ ظاهرة زيارة الأربعين المباركة تمثّل معملاً أخلاقياً ضخماً لإنتاج السلوك الإيثاري، ومختبرات عظيمة لفحص واختبار ودراسة السلوك الإنساني المتعلق بالبذل والتعاون وتقديم المساعدة إلى الآخرين^(٤).
إنّ تاريخ ممارسة زيارة الأربعين يشهد بأنّ الزوار والمتطوعين لخدمتهم يعرضون أنفسهم للمخاطر في هذه الممارسة عبر مختلف الوجوه، وأوضحها الحكومات المناهضة لهذه الممارسة، لأنّهم يعتقدون أنّها تهدد كياناتهم

(١) سورة البقرة/ آية ٢٠٧.

(٢) الساعدي، محمد عبد الرضا، زيارة الأربعين دلالات وافاق، ط ٤، (د: م، مطبعة الورد، ٢٠١٧م)، ص ٦٠.

(٣) المسيرة الحسينية الخالدة مع دراسة للإعلام الزينبي في شعر الدكتور احمد الوائلي، (مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، عدد/ ٤٣، ج ٥/ سنة ٢٠١٦م)، ص ١٢١.

(٤) الساعدي، محمد عبد الرضا، زيارة الأربعين، ص ١٠٠.

ذلك لما تتضمنه من شعارات ثورية مناهضة للظلم والاستبداد. وفيما يتعلق بالسلوك الإيثاري لدى الرجال والنساء في زيارة الأربعين فمن الصعب تحديد فوارق كبيرة بين المرأة والرجل، فكلا الجنسين يشتركان ببذل مختلف أشكال المساعدة، وكثيراً ما تتداخل الأدوار دون أن يחדش ذلك التداخل في حياء الممارسين، أو يتسبب ببعض المحاذير الشرعية، وعلى أي حال فإن السلوك الإيثاري من العنصر النسوي لا يقل عن نظيره الذكوري، فقد شاركن أشقائهن الرجال في أغلب نشاطات السلوك الإيثاري^(١).

في الزيارة الأربعينية تختلف الأجواء كلياً عما هو عليه في باقي الزيارات حيث إن المرء يشعر أن المرقد الحسيني أصبح له من التمدد المعنوي الكثير فإن ذلك التمدد يغطي كل مسالك الزوار لذلك نجد طبيعة العلاقة بين الزوار في هذه الزيارة خصوصية واضحة بحيث إن الزائر خارج المرقد يعيش في مجتمع مماثل لما موجود في داخل المرقد.

المطلب الثالث: تنمية خلق الكرم في مسيرة الزيارة الأربعينية.

إن الكرم إذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، نحو قوله: (فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)^(٢) وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه: ولا يقال: هو كريم حتى يظهر ذلك منه^(٣).

ويعني الكرم: بذل المال والطعام أو أي نفع مشروع والإنفاق على العيال والأرحام والمحتاجين والأيتام، وهو ضد البخل، ومن أسباب الكرم الباعثة عليه أن يكون في سبيل الله، أو رغبة في نفع، أو دفع ضرر مخوف أو طلباً للثناء والسمعة، أو دليل على الحب والأريحية^(٤).

والكرم نوعان: إما خاص وإما عام، فالخاص ما شمل شخصاً أو أسرة أو جماعة في حال من الأحوال، فيكون نفعه مؤقتاً ومنحصراً بالمحسن إليهم دون سواهم، أما العام: ما يبذل في سبيل خيري أو عملي، بحيث ينفع قومًا بجماعتهم أو أمة بأسرها أمداً مديداً، وكلاهما مفيد ولازم للجامعة الإنسانية^(٥).

لقد اشتهر العرب منذ القدم بالكرم والضيافة وإطعام الضيف وتوفير سبل الراحة له، كما قرأنا في كتب التاريخ. إن شعييرة إطعام الطعام هي من الممارسات الإنسانية التي بها يرتقي المسلم درجات العلا من الثواب

(١) الساعدي، محمد عبد الرضا، زيارة الأربعين، ص ١٠٤.

(٢) سورة النمل/ آية ٤٠.

(٣) الاصفهاني، الراغب، (ت: ١٤٢٥هـ)، مفردات الفاظ القرآن، ط ٤، (قم: مطبعة كيميا، ١٤٢٥هـ)، ص ٧٠٧.

(٤) جود، سادسة حلاوي، القيم التربوية في سيرة السيدة زينب، ط ١، (البصرة: مطبعة الفيحاء، ٢٠١٥م)، ص ٩٣.

(٥) عنحوري، سليم، محاضرة في الكرم وتأثيره في عالم الاجتماع، (مجلة المجمع العلمي العربي، بيروت: دار صادر، المجلد ٧/ ج ٦، ١٩٢٧م)، ص ٢٤٢.

والأجر لما تبعته في النفوس عامة من التواصل والرحمة فعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أطعم أخا في الله كان له من الأجر مثل من أطعم فيهما من الناس، قلت وما الفياض؟ قال مائة ألف من الناس)^(١)، وعنه أيضا قال: (من أشبع مؤمناً وجبت له الجنة)^(٢). يعدّ أمر إطعام الطعام عموماً من الأمور المستحبة في الفقه الإسلامي، ويزداد استحباب العمل إذا كان في سبيل إحياء الشعائر الحسينية، حيث يمكن استنتاج مشروعية إطعام الطعام في سبيل الإمام الحسين (عليه السلام)، في ضوء قوله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)^(٣)، النازلة بحق أهل البيت (عليهم السلام) عندما أثروا على أنفسهم وقدموا الطعام في ثلاثة أيام متتالية للمسكين واليتيم والأسير^(٤)، ومن هذا المنطلق نفسه فإن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) عندما يطعمون الطعام فإنما يقومون بذلك لحبهم لله تعالى، لذا فإن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) عندما يطعمون الطعام لحب أهل البيت وسيد الشهداء (عليهم السلام)، فإنهم بالحقيقة يقدمون الطعام لحب الله تعالى، لأن الله سبحانه وتعالى قد بين في كثير من آياته أن العبد إذا كان يريد أن يكون محباً لله تعالى فيجب أن يكون محباً لأهل البيت (عليهم السلام)^(٥).

إنّ شعيرة إطعام الطعام هي من الممارسات الإنسانية التي بها يرتقي المسلم درجات العلا من الثواب والأجر لما تبعته في النفوس عامة من التواصل والرحمة، كما ذكرنا سابقاً، إلا أن ليس الطعام وحده عليه الأجر والثواب فهناك خدمة المرضى وتقديم الماء لزوار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وتقديم الشاي، وغيره من المشروبات، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "مَنْ سَقَى الْمَاءَ فِي مَوْضِعٍ يُوجَدُ فِيهِ الْمَاءُ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، وَمَنْ سَقَى الْمَاءَ فِي مَوْضِعٍ لَا يُوجَدُ فِيهِ الْمَاءُ كَانَ كَمَنْ أَحْيَا نَفْسًا، وَمَنْ أَحْيَا نَفْسًا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"^{(٦)(٧)}.

وباتت الشعائر الحسينية في شهر محرم وصفر تزدهي بإطعام ضيوف أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وتقديم كافة الخدمات لهم من الطعام الشراب والمبيت وغيرها من الخدمات. ففي سابقة ليس لها نظير في التاريخ وأنت تتجول في كربلاء المقدسة وفي جميع الطرقات المؤدية إليها تلمح أناساً متطوعين من جميع المحافظات العراقية في

(١) الصدوق، أبي جعفر بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت: ٣٨١هـ)، ثواب الاعمال، (صححه: حسين الأعلمي)، (د:م، مطبعة امير، ١٤١٨هـ)، ص ١٦٦.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت: ١١٠٤هـ)، (تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث)، ط ١، (قم: مؤسسة احياء التراث، ١٤٢١هـ)، ج ٢٤، ص ٢٩٠.

(٣) سورة الإنسان/ آية ٨.

(٤) السمرقندي، نصر بن محمد بن ابراهيم، تفسير السمرقندي، ط ١، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ج ٣، ص ٥٠٤.

(٥) الصفار، احمد فاضل، الحياة الدستورية لحرية ممارسة الشعائر الحسينية في العراق، (بيروت: دار الاثر، ٢٠١٥م)، ص ٧٧.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط ٣، (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م)، ج ٩٦، باب كراهية رد السائل، ص ١٧٢.

(٧) الموسوي، ليث عزيز ال سيد ناصر، أصل وتاريخ الشعائر الحسينية، ط ١، (كربلاء: العالمية الحديثة، ٢٠١٧م)، ص ٩٠.

أيام عاشوراء والأربعينية وهم مشغولون في خدمة محبي أهل البيت (عليه السلام) المفجوعين بعاشوراء^(١)
إنَّ زيارة الأربعين تُعدُّ وسيلة لبناء هوية تشمل جميع الشيعة في جميع أنحاء العالم هذا من جانب، ومن
جانب آخر فإنَّ الأفراد الذين يقومون بأداء هذه الشعيرة في أثناء السير مشياً على الأقدام وتحمل مصاعب
الطريق الذي لا يخلوا من المخاوف والإرهاب، أو الذين يقومون على خدمتهم في أثناء صرف المبالغ الطائلة في
تلك المواكب المنتشرة على جانبي الطريق والتي تهَيء مختلف أنواع الأطعمة والمشروبات فضلاً عن الخدمات
الطبية والصحية إنّما في ذلك دلالة على عمق الواعز الديني، وإيمانهم بقضيتهم والامثال لما حثَّ عليه أهل
البيت (عليه السلام) في هذا السياق^(٢).

إنَّ الحديث عن البذل والعطاء والسخاء في زيارة الأربعين المباركة يحتاج الى موسوعات لكي يستوعب
حقائقه، وتفي بشرح أغراضه وموضوعاته، فهو إحدى مكاسب الإنسانية، وشاهد صادق لأصالة قيم الخير،
وإنَّ العطاء في الزيارة الأربعينية يكاد يكون مختلفاً عن كلّ أنواع العطاء، مع الملاحظة أنّنا لا نتكلم عن مواقف
تاريخية بل عن مواقع معاصرة حيّة ومستمرّة ومتجدّدة، في إمكان أي شخص التأكّد منها.

إنَّ إحياء الشعائر الحسينية يؤثّر في حيوية المجتمع وأفراده من نواحٍ عدّة، فهي تبث فيهم الطاقة وتبعث فيهم
الهمّة وتدفعهم للعمل، وتحرك أوضاعهم في اتجاهات عديدة، وبصيغة أخرى تؤدّي الى تعبئة الناس والبيئة التي
يعيشون فيها في حقول عدّة؛ الدينية، والرّوحية والمعرفية، وقد أشار القرآن الكريم، وكذلك روايات أئمة أهل
البيت (عليه السلام)، الى تأثير الشعائر والمقدسات في الحياة والمنافع العامة للناس^(٣).

إنّنا ندعو جميع المؤمنين والمؤمنات من جميع أنحاء العالم الى أن يلتحقوا بهذا الاستعراض المقدّس ويسجلوا
حضورهم الفعال مع إخوانهم العراقيين على تراب العراق الزّاكي من أجل الكشف عن هوية وحجم أتباع
أهل البيت (عليه السلام)، وإعطاء صورة واقعية عن حالتهم المعنوية، وإيضاح دورهم المحوري في الدفاع عن مقدّساتهم،
ودرجة تعلقهم برموزهم العقيدية. وإذا كانت الحالة الصحية لبعض من يتخوف من المجيء لا تسمح له
بالوصول الى المرقد المطهر، او لا يمتلك الوقت الطويل بسبب انشغالات بعض أصحاب المسؤوليات، فيكفي
أن يمشي كل شخص من هؤلاء لساعات محدودة أيّام الزيارة باتجاه كربلاء المقدسة من أيّة جهة شاء.

(١) الموسوي، ليث عزيز ال سيد ناصر، اصل وتاريخ الشعائر الحسينية، ص ٨٨.

(٢) جبر، محمد حسون، رموز ودلالات المرقد الحسيني، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠١٥م)، ص ١٩٠.

(٣) جعفر، صادق، استراتيجية الشعائر الدينية عند الشيعة الامامية، ط ١، (بيروت: مطبعة جيكور، ٢٠١٦م)، ص ١٧١.

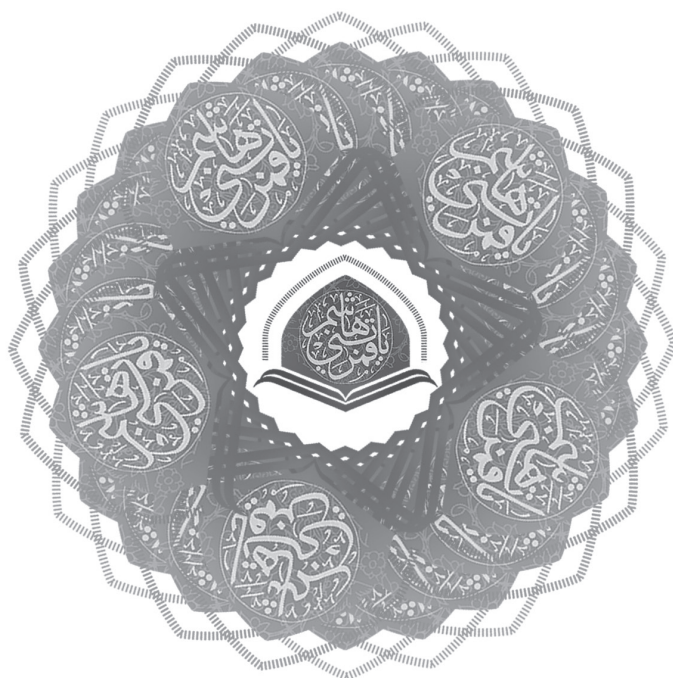
الخاتمة

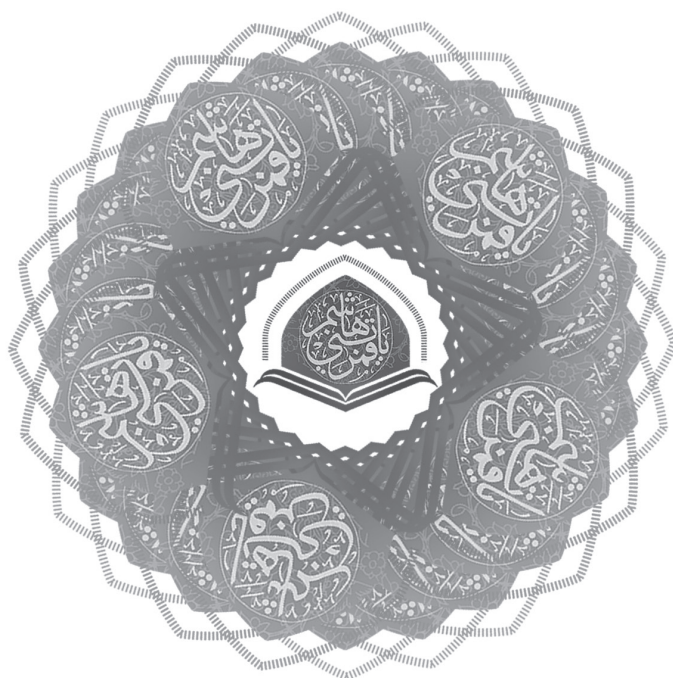
عبر هذا البحث، حاولت إبراز أهم النقاط التالية:

١. إننا وإن لم ندرك محضر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لتتعلم منهم ونتربى على أيديهم إلا أن الله حفظ لنا تعاليمهم ومواقفهم ورغبنا إلى زيارة مشاهدهم.
٢. تعدّ الزيارات واحدة من أهم وسائل إحياء الدين في النفوس وإبراز مظاهر شعائره هي زيارة الشخصيات العظيمة التي أسست هذا الدين وحفظته وفدت أموالها ونفوسها من أجل عزّته.
٣. إنّ الشعائر الحسينية لا تعاني من شحّة في مجال الغطاء الشرعي والأدلة الدالة على رجحانها ومشروعيتها، وإنّ للنهضة الحسينية أهدافاً وغايات يدركها الباحثون والعلماء وأخرى لم يدركوها بعد، وإن المحافظة على تلك الأهداف السامية وإبقائها خالدة، إنّما يتحقّق في ظل مراسم وطقوس وشعائر مختلفة واعية، ومن أهم هذه الشعائر هي (الزيارة، وإقامة المآتم، واللطم، ولبس السواد واطعام الطعام)، فهي وسائل لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام كما في الحديث "رحم الله من أحيا أمرنا".
٤. تعدّ زيارة الأربعين المعدّة إلهياً ثورة مزعزة لكل طواغيت العصر في كلّ زمان ومكان؛ كونها حينما تعود وتعاد ليعتاد على ذكرها بزيارة صاحبها عليه السلام والتي تساهم في إحياء الذكرى وإبقائها وإدامتها، والتصديّ لكل طاغوت ظالم وكافر، بمن يشبه يزيد بن معاوية. تحت شعار هيهات ممّا الدّلة.
٥. إنّ الحشد الذي نشهده اليوم في مسرح زيارة الأربعين المباركة هو نفس الحشد الذي استجاب لنداء المرجعية الدينية، فما أروع هذا التلاحم والترابط بين الالتزام بتوجيهاتها وبين الذوبان في حب سيد الشهداء عليه السلام والوعي الكبير في إحياء شعائره، وقد انعكست بركات الالتزام بالقيادة الشرعية، كما انعكست نفحات هذه الزيارة المباركة بالذات على تحشيد أبناء الحشد، ومواصلة تدفق الزخم المعنوي والمادّي لديهم بنحوٍ لافت للغاية .
٦. إنّ الحسين عليه السلام هو الناصر لولده المهدي وهو الذي يعدّ العدة له (عجل الله فرجه) لأنّ هذا التدريب الروحي وهذه التربية الروحية وهذا البناء الروحي الإنساني لأجيال المؤمنين يتم بيد الحسين عليه السلام فهو الذي يوطئ للظهور ولنصرة ولده المهدي (عجل الله فرجه)، إذن المشروع المهدي قائم بالمشروع الحسيني.
٧. من أبرز المفاهيم والدروس المستفادة من زيارة الأربعين هو (الإيثار)، فالإيثار يعني الفداء وتقديم شخص آخر على النفس، وبذل المال والنفس فداءً لمن هو أفضل من ذاته. وفي كربلاء شوهذ بذل

النفس في سبيل الدين، والفداء في سبيل الإمام الحسين عليه السلام، والموت عطشاً لأجل الحسين. فالإمام الحسين ضحّى بنفسه في سبيل الدين.

إنّ الخدمات التي تُقدّم أثناء الطريق من قبل المتطوعين كالطعام والشراب والمسكن او محطات الاستراحة والتحفيز المعنوي الذي يتبادله الجمهور المؤمن يكاد أن لا يتوفّر له نظير في جميع أنحاء العالم.





الحرب مع القاسطين والمارقين

ناصر هادي ناصر الحلو

الحرب مع القاسطين (حرب صفين)

قبل الخوض في أسباب المعركة ونتائجها، أجد من المناسب المرور على مفهوم المفردة (القاسطون) في اللغة ودلالاتها القرآنية، وعليه فسوف تتم دراسة المطلب كما هو آت:

الفرع الأول: مفهوم القاسطين في اللغة والمنظور القرآني

أولاً: مفهوم القاسطين في اللغة

القاف والسين والطاء: أصلٌ صحيح يدلُّ على معنيين متضادين والبناءً واحد. فالْقِسْطُ - بكسر القاف -: العدلُ، والقِسْطُ (بفتحها): الجور، والقسوط: العدول عن الحق، وجمعها قاسطون^(١).

والقسط: يعني العدل وضده الجور والظلم والتعدي على أصحاب الحق الشرعي بدون وجه حق شرعي أو عقلي أو غيره^(٢).

ثانياً: مفهوم القاسطين في القرآن الكريم

أما في القرآن الكريم فقد وردت المفردة - موضوع البحث - بالمعنيين اللغويين كليهما (العدل، الجور) في خمسة وعشرين موضعاً وبصيغٍ متعددة منها (القسط، المقسطين، تقسطوا، القاسطون وأقسطوا)^(٣).

وقد جاء أغلب ورودها بحسب المعنى الأول (العدل) في حين وردت مرتين بالمعنى الثاني (الجور)، وذلك في سورة الجن إذ يقول تعالى: (وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)^(٤).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٨٥ / ٥.

(٢) الحسين أحمد السيد، الإمام علي عليه السلام وحروب التأويل، ٣٤٠ / ١.

(٣) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٤) الجن: ١٤ - ١٥.

وكما هو واضحٌ من النص القرآني فقد جاء القاسطون في مقابل المسلمين، ولما كان مأوى المسلمين الجنة،
فالقاسطون لجهنمَ حطباً.

ومما لا شك فيه فإنَّ القاسطين من هذه الأمة هم كل من حادَّ عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأيد ونصرَ
مناوئيه بشكلٍ أو بآخر.

الفرع الثاني: أسباب المعركة

يرتبط موقف الإمام علي عليه السلام من معاوية بن أبي سفيان وتقييمه له بموقفه وتقييمه للبيت الأموي أو للحزب
الأموي عامة، والذي كان يُمثل رأس العداء مع الإسلام ورسوله ﷺ ابان بداية الدعوة الإسلامية. إذ لم
يدخل أعضاء هذا البيت في الدعوة الإسلامية إلا بعد أن أصبح الإسلام والمسلمون قوة القاهرة بعد فتح مكة.
ولعل من أبرز الدلائل على ذلك الموقف والتقييم جواب الإمام علي عليه السلام لأبي سفيان حينما أشار الأخير على
الإمام علي عليه السلام بالتصدي للخلافة بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، إذ جاء الى باب النبي ﷺ، وكان الإمام علي عليه السلام
والعباس مُنشغلين في أمره فأنشد شعراً^(١)، ثم خاطب الإمام علياً عليه السلام بالقول: (ما بال هذا الأمر في أقل حيٍّ من
قريش؟ والله لئن شئتَ لأملأها عليه خيلاً ورجالاً. فرد عليه الإمام عليه السلام: (يا أبا سفيان، طالما عادتِ الإسلام
وأهله فلم تضره بذاك شيئاً)^(٢). وقد وردت المحاوراة بينهما بألفاظ أخرى لدى المفيد واليعقوبي^(٣).

وهذا التقييم السلبي من لدن الإمام عليه السلام لأبي سفيان يمتد ليشمل ولدُه معاوية الذي جاء تقييمه غير مرّة
على لسان الإمام عليه السلام إذ كان يرى فيه ملكاً متجبراً على الشام لا يزال يخطّط ويحرص على توسيع ملكه في حال
عدم التصدي له، وهذا ما يكشفه قوله عليه السلام لجيشه: (سيروا الى القاسطين سيروا الى قومٍ يقاتلونكم كيما
يكونوا جبارين يتخذهم الناسُ أرباباً، ويتخذون عبادَ الله خولاً، وما لهم دولاً)^(٤).

وأكد الإمام عليه السلام المعنى ذاته في خطبته التي أعلن فيها العزم على المسير الى الشام: (...أيها الناس: سيروا الى
أعداء السُّنن والقرآن، سيروا الى قتلة المهاجرين والأنصار، سيروا الى الجُفأة الطغام الذين كان إسلامهم خوفاً
وكرهاً، سيروا الى المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن المسلمين بأسهم)^(٥).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٠ / ٢.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ١٢٨ / ٣.

(٣) ينظر: المفيد، الارشاد في حجج الله على العباد، ١٩٠ / ١١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١ / ٢.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣٠٢ / ٢.

(٥) أبو حنيفة الدينوري، الاخبار الطوال، بيروت، ٢٠١١، ص ١٦٤.

ولعل النص الأخير يكشف عن رؤيا الإمام عليه السلام لمعاوية - شخصاً ومنهجاً وسياسة - بوصفه مصدر الخطر الأساس على الدين الإسلامي وعلى المجتمع الإسلامي، فقد ميزه عن بقية أعدائه بقوله فيه: (.... فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه)^(١).

بل لقد زاد الإمام عليه السلام بالتصريح أنّ السكوت على معاوية أو إقراره نظير للكفر بالدين وبما جاء به رسول الله ﷺ، إذ يقول: (.... ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه، فلم أر لي إلا القتال أو الكفر بما جاء به محمد ﷺ)^(٢).

أما ما يمكن أن يقال في تحديد السبب لتمرّد معاوية على الإمام علي عليه السلام أنّه آوى قتلة عثمان، السبب الذي يجعل الإمام عليه السلام - بحسب وجهة نظره - داخل دائرة المشاركة في ذلك الاغتيال، وهكذا اتخذ معاوية من عثمان (ورقة رابحة لأغراء السذج والبسطاء الذين تلوّثهم الدعاية حيثما شاءت)^(٣).

لقد بلور معاوية هذا الزعم من الجانب الإعلامي ليتخذ منه سبباً ظاهرياً بهدف تسويق تمرده على حكومة الإمام عليه السلام المتصفة بالشرعية الاستخلافية، والمتوفرة على اختيار الناس ومبايعتهم^(٤)، وهو الأمر الذي كان يعاني منه معاوية حرجاً شديداً فبحث عن معالجة هذا الحرج باتخاذ قميص عثمان سبباً للتمرّد والعصيان. وقد صرح الإمام علي عليه السلام غير مرة بأجوبة متعددة على ذلك الادعاء ومنها قوله عليه السلام: (ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدي أبرأ الناس من دم عثمان ولتعلمن أنني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى، فتجنّ ما بدا لك والسلام)^(٥).

ومنه كذلك قوله عليه السلام: (ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان وما كنت لأعتذر من أنني كنت أنقم عليه أحداً، فإن كان الذنب إليه ارشادي وهدايتي له، فرب ملوم لا ذنب له، وقد يستفيد الظنة المنتصح، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت)^(٦).

بيد أنّ ثمة ما يكشف زيف هذا السبب الظاهري والجناية المختلقة التي تذرّع بها معاوية لتجنب مأزق

(١) جمع الشريف الرضي، نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، الخطبة ٦٠، ص ١١٣.

(٢) م، ن، الخطبة ٤٣، ص ١٠٣.

(٣) باقر شريف القرشي، أضواء على السياسة العادلة والظالمة، ص ٨٦.

(٤) وهو ما كان يحتاج به الإمام عليه السلام على معاوية في سياق نقض أي حجة يمكن لمعاوية أن يتخذها مبرراً لتمرده على سلطة الإمام. ينظر: نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، جمع الشريف الرضي، الرسالة ٦، ص ٣٩٢-٣٩٣.

(٥) جمع الشريف الرضي، نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، الرسالة ٦، ص ٣٩٢-٣٩٣.

(٦) م، ن، الرسالة ٢٨، ص ٤١٤.

شرعية تمرده على حكم الإمام علي عليه السلام، تلك هي الوثيقة التي حفظها التاريخ والتي تمثل المحاور التي جرت بين معاوية وعمر بن العاص، إذ لم يكن الأخير مع خيار استخدام ورقة دم عثمان، فقد قال لمعاوية: (... أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استعان بيزيد بن أسد البجلي^(١) فسار إليه، وأما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين^(٢).

وهذا - بطبيعة الحال - ما لم يوافق عليه معاوية لأنه لم يجد وسيلة يسلك بها سوى المطالبة بدم عثمان. وفي ضوء ذلك، لم يتبق سوى السبب الحقيقي الذي كان يقف وراء تمرّد معاوية، وهو علمه المؤكّد بأنّ الإمام علي عليه السلام سوف لن يقره على ولاية الشام، فقد أرسل رسالة إلى الإمام عليه السلام يطلب فيها منه أن يتركه والياً على الشام ويقره فيها، وهو ما أعلنه الإمام عليه السلام في جوابه عليها مضمناً رفضه القاطع، إذ يقول عليه السلام: (وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك فأما سؤالك المتاركة والإقرار لك على الشام فلو كنت فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمس، وأما قولك: إن عمر ولاكه فقد عزل من كان ولاه صاحبه، وعزل عثمان من كان عمر ولاه^(٣)).

أما من جهة الإمام عليه السلام فإنّ السبب الرئيس لخوض الحرب ضد معاوية يتمثل في أنّ مبادئ الملك الديوي التي كانت تمثل جوهر شخصية معاوية وسياسته لا يمكن أبداً أن تلتقي في نقطة معينة مع أحوال الإمامة الدينية التي أقام الإمام علي عليه السلام حكومته عليها ووفقاً لمقرراتها^(٤).

الفرع الثالث: نتائج المعركة

أسفرت نتائج القتال في صفين عن هزيمة مدوّية لمعسكر معاوية بن أبي سفيان وجيشه إذ (لم يبق من جيش الشام سوى الفلول القليلة)^(٥)، إلا أن معاوية وبمشورة من عمرو بن العاص^(٦) قام بحركة التفافية لتطويق الزحف والتقدم المتواصل لجيش الإمام علي عليه السلام باتجاه ما تبقى من جيشه ومقر قيادته، تمثل ذلك برفع المصاحف على رؤوس الرماح من أجل إيقاف القتال ومحاولة الركون إلى الهدنة، وهو الأمر الذي قاد فيما بعد

(١) قائد يمني، من الشجعان وذوي الرأي، لما حوَّصر عثمان في المدينة وجهه معاوية في أربعة آلاف، فدخلها بعد مقتل عثمان، حضر مع عمرو بن العاص وقعة المسناة، ومات سنة ٥٥ هـ. ينظر: الاعلام، الزركلي، ١٧٩/٨.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٨٥/٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، ٣٠٦-٣٠٧.

(٤) ينظر: جمع الشريف الرضي، نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، الخطبة ٤٣، ص ١٠٢-١٠٣ والخطبة ٥٣، ص ١٠٩.

(٥) الفزويني، الإمام علي رجل المعارضة والدولة، ص ٣٣٤.

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ٤٨/٥.

الى التحكيم الذي أُجبرَ عليه الإمام عليه السلام إجباراً، فقد ارتفع صوتُ عالٍ من بعض القادة العسكريين في صفوف جيش الإمام عليه السلام فوجهوا ضغوطاً مباشرة عليه للموافقة على التحكيم، ولم يستبعد بعض الباحثين أن من بين أولئك المطالبين بقبول التحكيم مَنْ كان يُشكل طابوراً خامساً في جيش الإمام عليه السلام يعمل لصالح معاوية بن أبي سفيان^(١).

وقد انتهت حرب صفين بما آل إليه التحكيم، إلا أن الإمام علياً عليه السلام وبعد أن نقض معاوية مقتضى ما تم عليه التحكيم، كان مُصرّاً أشد الإصرار على مواصلة القتال والتجهز الدائم لمباشرته ضد معسكر معاوية حتى آخر يوم من حياته الشريفة.

هذا وقد شهد ميدان الحرب في صفين بوناً شاسعاً بين الفريقين المتحاربين فيما يخص جانب الالتزام بأخلاق الحرب وآدابها، ولعل أوضح مثال على ذلك قضية الماء.

فقد ذكر المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان قد بلغ ميدان القتال قبل وصول جيش الإمام عليه السلام إليه، وقد تمكّن من شريعة الماء التي لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد، ووكل أبا الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً مقررّاً بذلك أن يموت الإمام عليه السلام وجيشه عطشاً قبل بدء القتال، وبالرغم من اعتراض عمرو بن العاص على ذلك، ونصحه معاوية بفسح الماء لكلا الجيشين نجد جواب معاوية بالقول: (لا والله أو يموتوا عطشاً)^(٢)، الأمر الذي اضطر معه الإمام عليه السلام وجيشه لمقاتلة القوم وكشفهم عن شريعة الماء، لكنه عليه السلام ما أن تمكن منها حتى أباحها للجميع^(٣).

المطلب الثالث: الحرب مع المارقين (حرب النهروان)

نحاول بادئ ذي بدء أن نقفَ على مفهوم المارقين في اللغة، ثم نبحث في حضورها في المنظور القرآني، ومن ثم نوجز الحديث في أهم أسباب وتداعيات حرب الإمام علي عليه السلام مع المارقين في معركة النهروان، وأهم نتائج تلك الحرب. وعليه سوف تتم دراسة المطلب على النحو الآتي:

الفرع الأول: مفهوم المارقين في اللغة والمنظور القرآني

أولاً: المارقون في اللغة

جاء في معجم مقاييس اللغة، أن الميم والراء والقاف: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خروج شيء من شيء،

(١) ينظر: القزويني، الإمام علي عليه السلام رجل المعارضة والدولة، ص ٣٣٤.

(٢) ينظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢ / ٢٨١.

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ٤ / ٣٨٦، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢ / ٢٨٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣ / ١٤١.

والمروق: الخروج من الشيء، ومروق السهم من الرعية مروقاً: نفذ منها واخترقها، أي: خرج من الجانب الآخر في سرعة.

والمارق من الدين: الخارج منه، ومنه سُميَ الخوارج بالمارقة لأنها نفذت من الدين، دخلت من جهة وخرجت من الجهة الأخرى^(١).

ثانياً: المارقون في المنظور القرآني

لم ترد مفردة المارقين كجذر لغوي في القرآن الكريم، بيد أنها وردت في نصوص كثيرة في السنة المطهرة، ومن أوضح تلك الأحاديث دلالة ما رواه الطبرسي في الاحتجاج في حديث طويل عن أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ أنها قالت: (.... اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب، سيد المسلمين، وامام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين.... قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب نهروان)^(٢).

وعن الإمام علي عليه السلام حاكياً عن رسول الله ﷺ قوله: (يا علي: أنت ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة)^(٣). ومما لا شك فيه أن الإمام علياً عليه السلام لم يكن ليترك أمراً أمره به رسول الله ﷺ.

من هنا يبدو أن النبي ﷺ هو الذي وصفهم بالمروق من الدين، والخروج منه طوعاً، وأن الإمام عليه السلام إنما جاهدهم وقاتلهم امتثالاً لأمره ﷺ.

الفرع الثاني: أسباب المعركة وتداعياتها

يُعد ظهور الخوارج بوصفهم حركة مُحاربة للإمام علي عليه السلام، وتمرّدة على حكمه من أبرز تداعيات الحرب في صفين، والتي سبق الحديث عنها، فقد كان قادة الخوارج الرئيسيون، وقسم كبير من صفوفهم في عداد جيش الإمام عليه السلام في معركة صفين، ويعود تاريخ انشقاقهم الى التحكيم الذي آلت إليه الحرب مع معاوية وجيش الشام، فقد رفض الخوارج ما جرى من أمر التحكيم تحت ذريعة أن الحكم لله، ومن ثم فلا يجوز - عندهم - الإقرار بحكم غيره مُستنديين في ذلك الى قوله تعالى: ﴿.....إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ.....﴾^(٤).

وعليه فقد عقب الخوارج على التحكيم بقولهم (كفر الحكمان، لا حكم إلا لله)^(٥).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣١٣/٥.

(٢) أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩م، ٢٣٢/١.

(٣) أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، ٢٣٣/١.

(٤) يوسف: ٤٠، الانعام: ٥٧.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٩١/٢.

ويُعدّ موقف الخوارج من التحكيم، ومن ثمّ الشعار الذي رفعوه للتعبير عن رفضهم له من أغرب المواقف وأعجبها، فما يتجلى من إصرارهم على ضرورة التحكيم وإنهاء القتال قبل جريان التحكيم، ورفضهم له فيما بعد وتكفيرهم للإمام علي عليه السلام^(١) بسبب إمضائه للتحكيم مضطراًّ بسببهم هو النقض الرئيس الذي يتوجه الى احتجاجهم وتعللهم، وهو الأمر الذي يسلب من حجّتهم أي مضمون للحق والصواب، ومن ثم يفرغها من أي محتوى عقائدي سليم من الناحية العقائدية الإسلامية، وهو ما أكّده الإمام علي عليه السلام^(٢). وفي ضوء ذلك فقد تعدّدت ردود الإمام علي عليه السلام على الخوارج، وتنوّعت في الدلالة، وقد كانت تصبّ في اتجاه الرد على الحجج العقائدية التي تحججوا بها، وكشف مغالطات مضامينها^(٣).

وقد أراد الإمام علي عليه السلام من تلك النصوص أن ينوه الى أمرين:

الأول: إنّ رفع المصاحف في صفين من قبل معسكر معاوية لم يكن إلا مكرّاً وخديعة.

الثاني: إنّ الخوارج هم من دَعَوْا الإمام علي عليه السلام الى التنفيس عن مُعسكر معاوية حين رفعوا المصاحف، وإنّهُ عليه السلام قد حذّرهم من هذه الخدعة ودعاهم الى مواصلة القتال وفي إطار سلسلة احتجاج الإمام علي عليه السلام مع الخوارج فقد ابتعث عبد الله بن عباس لهم، والذي غلبت حجّته حجّتهم بدرجة أنّهم وصفوه بأنّه (طلق ذلق غواص على موضع الحجة)^(٤).

إلا أنّ إصرارهم على حرب الإمام علي عليه السلام قد بلغ مبلغه، إذ قالوا لابن عباس: (.... هيهات يا ابن عباس نحن لا نتولى عليك بعد هذا اليوم أبداً)^(٥).

وفي مفارقة فاضحة من المفارقات التي تُسجل على المضمون العقائدي والفكري الذي تبناه الخوارج في عدم الانقياد الى قائد يقودهم فقد أمّروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي^(٦) وبايعوه قائداً عليهم حتى نزلوا

(١) جمع الشريف الرضي، نهج البلاغة، الإمام علي، الخطبة ١٢٧، ص ٢١٥.

(٢) جمع الشريف الرضي، نهج البلاغة، الإمام علي، الخطبة ٣٦، ص ٩٧-٩٦.

(٣) ينظر الخطبة ١٢١، في المصدر السابق، ص ٢٠٩.

(٤) ابو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي، الكامل في اللغة والأدب، تح: د. يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص ٦٤٩.

(٥) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ٢٥١/٤.

(٦) هو عبد الله بن وهب الراسبي، من بني راسب قبيلة معروفة، وقد كان أمير الخوارج بالنهروان لما قاتلهم علي (رضي الله عنه) وقُتل في المعركة، ولا أعلم له رواية. ينظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تح: دائرة المعارف النظامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٩٧١م، رقم ١١٩٧، ٢٨٤/٣.

جسر النهر وان ثم كاتب عبدالله بن وهب الخوارج في البصرة على اللحاق بهم فأجابوه إنهم على اللحاق به^(١). من هذا يتضح أن الخوارج هم الذين ابتدروا لمقاتلة الإمام عليه السلام، ولم يتدبرهم هو. فهم قد اختاروا العسكرة في النهر وان، وهي المنطقة التي وقعت فيها المعركة بينهم وبين الإمام عليه السلام. كل ذلك جرى في وقت كان فيه الإمام علي عليه السلام يُعَدُّ العدة ويُجهِّز الجيش من أجل معاودة القتال ضد معسكر معاوية والقاسطين.

وبالرغم مما كان من شأن الخوارج وإعلانهم التمرد، فقد دعاهم الإمام عليه السلام إلى الانضمام إلى عسكره لحرب القاسطين، لكنهم ردّوا عليه: (إنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين)^(٢).

وبالرغم من عدم إجابة الخوارج للإمام عليه السلام، وجوابهم السلبي، وإصرارهم على تكفيره فإنه أرسل إليهم كتاباً بعدم التعرض لهم ما لم يُحدثوا حدثاً، وفساداً في الأرض: (... أن سيروا إلى حيث شئتم، ولا تُفسدوا في الأرض، فإنني غير هائجكم ما لم تُحدثوا حدثاً)^(٣).

إلا أن الخوارج، وفي تطور غير مسبوق، قاموا بأعمال إجرامية إذ قتلوا العديد من الأشخاص، وكان من بينهم عبدالله بن خباب وامراته ونساءً آخر، فأرسل إليهم الإمام علي عليه السلام الحارث بن مرة العبدي لينظر فيما بلغه عنهم ويكتب إليه، فلما وصل الحارث إلى النهر ليسألهم عما فعلوه قاموا بقتله هو الآخر^(٤).

وهكذا، وبعد هذه الأعمال الإجرامية التي انتهكت السلم الاجتماعي، واعتدت على الأنفس والأرواح وتجاوزت حدود الشرع، اضطر الإمام علي عليه السلام إلى قتال الخوارج في ميدانهم وهو النهر وان.

الفرع الثالث: نتائج المعركة

لقد تجلّت نتيجة الحرب بانتصار كاسح لمعسكر الإمام علي عليه السلام على معسكر الخوارج، وقد وصف ذلك الانتصار ابن قتيبة نقلاً عن الثعلبي قوله: (لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت المطر بقرونها، ثم عطف الخيل عليهم من الميمنة والميسرة، ونهض علي في القلب بالسيوف والرماح، فلا والله

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ٤٩/٥.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري: ٥١/٥.

(٣) البلاذري، انساب الاشراف، ١٤١/٣.

(٤) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ٥٣/٥ وما بعدها.

ما لبثوا فواقاً، حتى صرّعهم الله كأنّما قيل لهم: موتوا فماتوا^(١).

وقد قيل للإمام علي عليه السلام لما عبر الخوارج جسر النهروان عازمين على قتاله: إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان فأجاب عليه السلام: (مصارعهم دون النطفة، والله لا يُفْلِتُ منهم عشرةٌ ولا يهلكُ منكم عشرة)^(٢)، وبتعبير بعض المصادر (قُتِلَت الخوارج كلها ربضة واحدة)^(٣).

وفي محاولة تحليل التأثير الذي عكسته حركة الخوارج في تاريخ حكومة الإمام علي عليه السلام، يرى الباحث أنّ دور ذلك المعسكر وتأثيره على المعسكر العلوي القتالي بصورة خاصة، وعلى المجتمع عامة كان دوراً سلبياً بالغ الخطورة، إذ مارس الخوارج منهجاً ارجافياً من الناحية القتالية، في الوقت الذي أشاعوا منهجاً تشكيكياً من الناحية الاجتماعية، معتمدين في ذلك أسلوب الشبهة العقائدية والمغالطة الفكرية هذا وقد قارب بعض الباحثين خطورة الخوارج من الناحية الموضوعية على سياسة الإمام علي عليه السلام بالقول: (لم تكن خطورة الخوارج بسيطة من الناحية الموضوعية، ذلك لأنّهم عرقلوا جهد علي بن أبي طالب في التوجه الى حرب معاوية ففتحو له جبهة ثانية)^(٤).

وبهذا يتضح أنّ نشوء حركة الخوارج، ثم تطورها التكفيري وغير السلمي قد أضعف جبهة الإمام علي عليه السلام الذي كان يستجمع كل الجهود الاجتماعية والامكانات الحكومية من أجل مواجهة معاوية في الشام والإصرار على قتاله حتى النهاية، وهو ما مثل استنزافاً مادياً ومعنوياً لجبهة الإمام عليه السلام.

المطلب الرابع: الأحكام الفقهية السياسية في حروب الإمام علي عليه السلام

أفرزت الحروب الثلاثة التي خاضها الإمام علي عليه السلام مع البغاة (الناكثين والقاسطين والمارقين)، والتي دارت رحاها ابان قيادته للدولة الإسلامية من عام ٣٦هـ وحتى عام ٤١هـ أحكاماً فقهية سياسية جمّة، صارت فيما بعد أساساً ومنهجاً لعلماء المسلمين وفقهائهم.

ولئن كان الوجه السلمي في تلك الحروب يتمثل بالعديد من الضحايا في الأرواح والممتلكات، فإنّ جانبها الإيجابي - إذا صحّ التعبير - يتمثل ببيان الأحكام الشرعية الإسلامية، التي لولا بيان الإمام عليه السلام لها لما أمكن لعلماء المسلمين أن يجدوا سنداً شرعياً لمثل تلك الحروب كون طرفا النزاع كلاهما مُسْلِمَيْن.

(١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ١/ ١٦٩.

(٢) جمع الشريف الرضي، نهج البلاغة، الامام علي، الخطبة ٥٨، ص ١١٢.

(٣) احمد بن داود الدينوري، الاخبار الطوال، وضع حواشيه عصام محمد الحاج علي، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٢١٠.

(٤) عزيز السيد جاسم، علي سلطة الحق، تح: صادق جعفر الروازق، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٢١٠.

ورد في تهذيب الأحكام عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: (كان في قتال علي عليه السلام على أهل القبلة بركة، ولو لم يُقاتلهم علي عليه السلام لم يدر أحدٌ بعده كيف يسير فيهم)^(١).
وفيما يأتي يحاول الباحث تلخيص أهم تلك الأحكام الفقهية:

الفرع الأول: مفهوم البُغاة وأحكامهم

قبل التعرف على الأحكام الفقهية بحق البغاة ينبغي التعرف على مفهوم البغاة في اللغة وفي اصطلاح الفقهاء، ومن ثم الإشارة إلى الأحكام الخاصة بهم وعلى النحو الآتي:

أولاً: مفهوم البغاة في اللغة والاصطلاح

أما في اللغة فالبغي: يعني الظلم والجورُ والجناية والعصيان، وهو كذلك كلُّ مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حدُّ الشيء^(٢).

وأما في اصطلاح الفقهاء، فقد وردت للبغي والبغاة تعاريف كثيرة ومنها:

عند الشيعة الإمامية: (مَنْ خرج على المعصوم من الأئمة عليهم السلام فهو باغٍ ويجب قتاله حتى يفيء)^(٣).

أو: (هم المسلمون البادئون بالقتال مع المسلمين ظلماً، والقدر المتيقن منهم هم الخارجون عن الإمام المعصوم عليه السلام)^(٤).

أما الحنفية فقد عرفوا البغي بأنه: (الخروج عن طاعة إمام الحق بغير الحق)^(٥)، وعرفوا البغاة بأنهم: (كلُّ فئة لهم منعة، يتغلبون ويجمعون ويقاتلون أهل العدل بتأويل، ويقولون الحق معنا ويدعون الولاية)^(٦).

وعرف ابن عرفة المالكي البغي بأنه: (هو الامتناع من طاعة مَنْ ثُبِتَ إمامته في غير معصية ولا تأولاً)^(٧)، والبغاة هم: (الذين يُقاتلون على التأويل مثل الطوائف الضالة كالخوارج وغيرهم، والذين يخرجون على الإمام

(١) الطوسي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، ١٤٥/٦.

(٢) ينظر: سعيد الخوري اللبناني، اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، دار الأسوة للطباعة والنشر - إيران، ط ٢، ١٣٨٥ هـ، ١/١٨٧.

(٣) ينظر: الشهيد الأول، اللمعة الدمشقية في فقه الامامية، ص ٨٣، شرائع الاسلام، المحقق الحلي، ص ٢٥٤.

(٤) محمد الصدر، فقه الموضوعات الحديثة، دار الأضواء - النجف الأشرف، ط ١، ٢٠٠٨ م، ص ٣٣٨.

(٥) محمد أمين بن عمر عابدين، حاشية ابن عابدين، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣ م، ٣/٤٢٦.

(٦) اسعد محمد سعيد الصاغرجي، الفقه الحنفي وأدلته، دار الكلم الطيب - دمشق، ط ٥، ٢٠٠٨ م، ٢/٣٧٥.

(٧) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب، مواهب الجليل، دار الفكر، ١٩٩٢ م، ط ٣، ٦/٣٢٣.

أو يمتنعون من الدخول في طاعته أو يمتنعون حقاً وجبَ عليهم كالزكاة وشبهها^(١).
وأما الشافعية فعرفوا البغاة بأنهم: (المسلمون المخالفون للإمام بخروج عليه، وترك الانقياد له أو منع حق توجبَ عليهم، بشرط شوكة لهم وتأويل مطاع فيهم)^(٢).
وعرف الحنابلة البغاة بأنهم: (قومٌ من أهل الحق بايعوا الإمام وراموا خلعه أو مخالفته بتأويل سائغ بصواب أو خطأ، ولهم منعة وشوكة، بحيث يحتاج في كفهم الى جمع جيش)^(٣).

ثانياً: أحكام البغاة

يُفاد من السيرة العملية للإمام عليٍّ (عليه السلام) مع البغاة، وما روي عنه بشأنهم مشروعية قتال البغاة، بل وجوب ذلك. فقد عرفنا من خلال البحث أنه (عليه السلام) قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وألحق بهم الهزيمة المنكرة، وقتل قوادهم ومثيري الفتنة فيهم.

وأما ما روي عنه (عليه السلام)، والذي يدل على وجوب قتال البغاة، فيندرج في ذلك عدة نصوص، منها قوله: (القتال قتالان وقاتل لأهل الزيغ لا يُنفر عنهم حتى يفيئوا الى أمر الله أو يُقتلوا)^(٤).

وفي معرض تأكيد مشروعية قتال أهل البغي، فقد خطب (عليه السلام) الناس بعدما فرغ من أمر طلحة والزبير وعائشة قائلاً: (أيها الناس: والله ما قتلت هؤلاء بالأمر الا بآية تركتها في كتاب الله، إن الله يقول: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٥)، أما والله لقد عهد إلي رسول الله ﷺ، وقال لي، يا علي: لتقاتلن الفئة الباغية، والفئة الناكثة، والفئة المارقة)^(٦).

وقد فصل (عليه السلام) آلية القتال مع البغاة بقوله: (يُقاتل أهل البغي ويُقتلون بكل ما يُقتل به المشركون، ويُستعان بكل ما أمكن أن يُستعان به عليهم من أهل القبلة، ويُؤسرون كما يؤسر المشركون اذا قُدرَ عليهم)^(٧).
بل لقد بين (عليه السلام) أن التخاذل عن قتال البغاة يعني الكفر، فقال في هذا المعنى: (والله ما وجدتُ إلا قتالهم أو

(١) ابو القاسم محمد بن احمد الكلبي الكلبي الغرناطي، القوانين الفقهية، ص ٣٥٥.

(٢) شمس الدين الرملي، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج، دار الفكر - بيروت، ١٩٨٤م، ٣٨٢/٧.

(٣) منصور بن يونس البهوتي، كشف القناع الى متن الاقتناع، تح: ابراهيم أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، ١٣٩/٥.

(٤) الطوسي، تهذيب الأحكام، باب قتال أهل البغي من أهل الصلاة، الحديث ٢٤٧، ص ١٤٥.

(٥) التوبة: ١٢.

(٦) العياشي، تفسير العياشي، ٧٩/٢.

(٧) محمدي الرشدي، ميزان الحكمة، ٢٨١/١.

الكفر بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ^(١).

ولعل هذا النص من أوضح النصوص القاطعة على وجوب قتال البغاة، ولكن، وبالرغم من وضوح النصوص العلوية الدالة على وجوب قتال البغاة، إلا أنه ﷺ بين أن قتالهم وقتلهم لا يعني كفرهم بأصول العقيدة الإسلامية، وإنما كفر بالأحكام والنعم، فقد سئل ﷺ عن الذين قاتلهم من أهل القبلة أكافرون هم؟ فقال: (كفروا بالأحكام وكفروا بالنعم كفرًا ليس ككفر الذين دفعوا النبوة، ولم يقرؤوا بالإسلام، ولو كانوا كذلك ما حلت لنا مناكحتهم ولا ذبائحتهم ولا مواريتهم)^(٢). وهذا النص يميز بين الكفار بأصل العقيدة والنبوة، وبين أولئك البغاة الذين آمنوا بالعقيدة والنبوة وكفروا بالأحكام والنعم.

هذا وقد استنبط الفقهاء من خلال وقائع الحروب التي خاضها الإمام علي ﷺ مع البغاة عليه مجموعة من الأحكام الفقهية بهذا الخصوص، يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أولاً: لا تُعلن الحرب عليهم إلا بعد دعوتهم إلى الرجوع للطاعة، وكشف ما يدعونه من شبهة، ومعرفة أسباب خروجهم، فإن كانت هنالك مظالم، وجب على الحاكم رفعها عنهم، لأن ذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿.... فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا...﴾^(٣) فإن أصروا على الخروج والبغي قوتلوا حتى يرجعوا إلى الحق^(٤).

ثانياً: إذا قوتلوا فانهزموا، لا يُتبع منهم منهزم، ولا يُجهز على جريح، إلا أن يُخاف رجوعهم أو تجمعهم من جديد أو كانت لهم فئة يرجعون إليها، فقد أجاز الفقهاء عندئذ اتباع الفار منهم والإجهاز على جريحهم، وقتل أسيرهم لأن الواجب أن يُقاتلوا حتى يعودوا إلى الحق^(٥).

ثالثاً: إذا تمكّن الحاكم الشرعي منهم لا يقتلهم ولا يُقيم عليهم حدّ الخرابة، ولا يُقتل منهم أسير، بل يُؤدب ويُسجن حتى يتوب^(٦).

رابعاً: لا تُسبى لهم ذرية ولا يُغنم لهم مال، لأنهم مسلمون، والإسلام عاصم، وإنما تُحبس عنهم أموالهم لما

(١) الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، الحديث ١٢٤٣٨، ١١/٦٥-٦٦.

(٢) الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، الحديث ١٢٤٤٠، ص ٦٦.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) ثبت تاريخياً أن الإمام علياً ﷺ أرسل إلى الخوارج من أهل حروراء ابن عباس لمناظرتهم، وكشف شبهاتهم، مثل ادعائهم أن الإمام علياً ﷺ حكم الرجال في دين الله، وأنه قاتل أصحاب الجمل ولم يسب ولم يغنم، كما أنه تنازل عن لقب أمير المؤمنين في وثيقة مع أهل الشام، وقد رد ابن عباس على هذه الشبهات وكشف وجه الحق فيها، فرجع منهم ألفان، وبقي سائرهم فقوتلوا، ينظر: تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٩٢/٢.

(٥) ينظر: ابن جزري، القوانين الفقهية، ص ٣٥٥، الفقه الحنفي وأدلته، اسعد الصاغري، ٣٧٨/٢، المعتمد في فقه الامام أحمد، ٤٤٣/٢، اللمعة الدمشقية، الشهيد الأول، ص ٨٣، المذهب للشيرازي، ١٩٤/٢.

(٦) ابن جزري، القوانين الفقهية، ص ٣٥٥.

فيه مصلحة المسلمين، فإذا تابوا رُدَّتْ إليهم أموالهم^(١).

خامساً: يسقط عنهم ضمان ما أتلّفوه أثناء الخروج والمحاربة من نفوس وأموال بشرط أن يكون خروجهم بتأويل وإلا كان حكمهم حكم قطاع الطرق أو المحاربين^(٢).

سادساً: وذهب الفقهاء الى تغسيل المقتول من أهل البغي والصلاة عليه، لكن اختلف في الخوارج، فمن العلماء من يكفرهم أو يعدّهم مرتدين لذلك أفتى بعدم الصلاة عليهم^(٣).

الفرع الثاني: في أصول الحرب وآدابها

وأما على مستوى الالتزام بأصول وآداب الحرب وأخلاق المتحاربين بحسب وصايا وأوامر الشريعة الإسلامية، وما سنّه الرسول الأكرم محمد ﷺ، يبرز الإمام علي عليه السلام بوصفه قمة سامقة في ذلك الالتزام والخلق الرفيع الذي لا يتهيب إلا لمن أوتي فضلاً من الله عظيم. فقد كان عليه السلام مثلاً يُقتدى، ومناراً يُتخذى في تعامله وسلوكه حتى مع ألدّ الخصام، وأخسّ الأعداء وذلك ما يمكن رصده من خلال تتبع سيرته العملية في حروبه مع الباغين عليه.

وقد عرض البحث في موضع سابق الى قضايا عدّة في هذا المعنى، ومنها دفعه للحرب وتجنب القتال - ما استطاع الى ذلك سبيلاً - بالرغم من قدرته وعظم قوته وإيمانه بالله تعالى ووثوقه من النصر قاصداً بذلك حقن الدماء والميل الى الصلح.

ومنها بذل الجهد في الاعذار وإلقاء الحجة، بل الحجج قبل الشروع بالقتال، ومنها كراهته البدء بالقتال حتى يبدأ العدو، ومنها كذلك تأجيل النزال الى ما بعد الزوال بقصد التقليل من القتلى، ناهيك عن ترفعه عن التعامل مع العدو بمثل ما يبدر منه من سلوك مشين لا يمت الى الخلق الإنساني بصلّة، ومثاله حبس معاوية الماء عن معسكر الإمام علي عليه السلام في واقعة الجمل وإباحته عليه السلام له - الماء - بعد التمكن منه، وما الى ذلك مما يطول فيه المقام.

ومن تلكم السيرة العطرة أفتى الفقهاء بجملة أحكام تصب في إطار الالتزام بأصول وآداب الحرب محاكاةً مع الشريعة الإسلامية الغراء، ويمكن تلخيص أهم ذلك:

(١) ينظر: اسعد الصاغر جي، الفقه الحنفي وأدلته، ٢/ ٢٧٩، ابن البناء، كتاب المقنع، ٣/ ١١٠٦، التاج والاكيل، المواق، ٦/ ٣٢٢.

(٢) ابن جزري، القوانين الفقهية، ص ٣٥٥، الفقه الحنفي وأدلته، الصاغر جي، ٢/ ٣٧٩، المهذب ابراهيم بن علي الشيرازي، ٢/ ١٩٩، التاج والاكيل، محمد بن يوسف المواق، ٢/ ٣٢٢.

(٣) للتوسع في أقوال وآراء المذاهب الاسلامية في تغسيل المقتول من أهل البغي والصلاة عليه، ينظر: علي حسن خازم، البغاة تعريفهم وأحكامهم، ص ٥٢.

أولاً: حرمة القتال قبل إلقاء الحجّة والدعاء الى الإسلام^(١).

ثانياً: عدم جواز البدء بالقتال حتى بعد إلقاء الحجّة، حتى يكون الأعداء هم الذين يبدؤون^(٢).

ثالثاً: عدم جواز قتل المجانين والصبيان والنساء إلا في حال اقتضاء الضرورة^(٣).

رابعاً: لا يجوز حرق الزرع، ولا قطع شجرة الثمر، ولا قتل البهائم، ولا خراب المنازل، ولا التهتك بالقتل^(٤).

خامساً: لا يجوز التمثيل ولا الغدر ولا الغلول^(٥).

سادساً: وجوب الوفاء بالعهد، وإن أدّى ذلك الى تضرر الآحاد من المسلمين. وقد ذكر صاحب الجواهر: أن الوفاء بالعهد محل اجماع الفقهاء^(٦).

سابعاً: يُكره تبسّيت العدو ليلاً، وإنّما يُلاقون بالنهار، ويُستحب ألا يُؤخر في القتال إلا بعد زوال الشمس، إلّا في حال اقتضاء المصلحة التقديم^(٧).

وبعد كل ما تقدم بيانه من الأثر البالغ لما شرعه الإمام علي عليه السلام من الأحكام السياسية الشرعية خاصة، والدور الفعال والجهد المميز في بناء الدولة الإسلامية بكل جزئيات شؤون الحكم عامة.

فلا غرو بعد ذلك أن يُتخذ من شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - من قبل المجتمع الدولي، على لسان منظمة الأمم المتحدة - شخصية متميزة، ومثلاً أعلى في إشاعة العدالة والرأي الآخر، واحترام حقوق الناس سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، وتطوير المعرفة والعلوم، وتأسيس الدولة على أساس التسامح والخير والتعددية وعدم خنق الحريات العامة. إذ تضمّن التقرير الصادر من المنظمة المذكورة باللغة الانكليزية مائة وستين صفحة في العام ٢٠٠٢م، مقتطفات من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام الموجودة في نهج البلاغة.

لكن ما يؤسف له أن هذه المنظمة هي التي تولّت دعوة الدول العربية الى الأخذ بهذه الوصايا في برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية بوصفها لا تزال بعيدة عن عالم الديمقراطية، ومنع تمثيل

(١) ينظر: الطوسي، النهاية، ٢٩٢، الكافي في الفقه، ابو الصلاح الحلبي، ٢٥٦.

(٢) م، ن، ٢٥٦.

(٣) ينظر: الطوسي، النهاية، ٢٩٢، غاية المرام، الشهيد الأول، ٤٨٢/١، جواهر الكلام، محمد حسن النجفي، ٧٣/٢١.

(٤) ينظر: الطوسي، النهاية، ٢٩٩، الكافي في الفقه، ابو الصلاح الحلبي، ٢٥٦.

(٥) ينظر: العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ٧٩/٩.

(٦) ينظر: محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ٩٧/٢١.

(٧) ينظر: الطوسي، النهاية، ٢٩٨.

السكان، وعدم مشاركة المرأة في شؤون الحكم، وكونها بعيدة عن التطور وأساليب المعرفة^(١).

المصادر والمراجع

خير ما نبتدى به القرآن الكريم.

١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
٢. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م.
٣. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م.
٤. أبو الصلاح الحلبي، الكافي في الفقه، تح: رضا استادي، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، ١٤٠٣ هـ.
٥. أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، القوانين الفقهية، تح: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٦. أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، ط ١، مطبعة بيروت، ٢٠٠٥ م.
٧. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨ م.
٨. أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩ م.
٩. أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٠ م.
١٠. أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، وضع حواشيه عصام محمد الحاج علي، بيروت، ٢٠٠١ م.
١١. أسعد محمد سعيد الصاغرجي، الفقه الحنفي وأدلته، دار الكلم الطيب، ط ٥، دمشق، ٢٠٠٨ م.
١٢. باقر شريف القرشي، أضواء على السياسة العادلة والظالمة، تح: مهدي باقر القرشي، مطبعة

(١) ينظر: الإمام علي عليه السلام، رائد العدالة الاجتماعية والسياسية، ص ١١.

- ماهر- النجف، ٢٠١١م.
١٣. حمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تح: هاشم المحلاقي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
١٤. د. محسن باقر القزويني، علي بن أبي طالب (عليه السلام) رجل المعارضة والدولة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
١٥. سعيد الخوري اللبناني، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، دار الأسوة للطباعة والنشر - إيران، ط ٢، ١٣٨٥هـ.
١٦. سهيل زكار ورياض زركلي (ت: ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تح: دار الفكر، ١٤١٧هـ.
١٧. شرح محمد الحسيني الشيرازي، نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، ط ٣، دار العلوم، ٢٠١٠م.
١٨. شمس الدين الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر - بيروت، ١٩٨٤م.
١٩. الشهيد الثاني زين الدين البجعي العاملي (ت: ٩٦٦هـ)، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تح: محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، ط ١، ١٣٨٦هـ.
٢٠. صالح الورداني، السيف والسياسة في الاسلام، الصراع بين الاسلام النبوي والاسلام الاموي، القاهرة، ١٩٦٦م.
٢١. عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
٢٢. عزيز السيد جاسم، علي سلطة الحق، تحقيق وتعليق: صادق جعفر الروازق، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م.
٢٣. العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لأحياء التراث، قم، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٢٤. قاسم خضير عباس، الإمام علي (عليه السلام) رائد العدالة الاجتماعية والسياسية، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٢٥. محمد امين الشهير ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار، دراسة وتحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار عالم اكتب للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة خاصة، ٢٠٠٣م.
٢٦. محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مهدي

نجف، قم، ١٣٨٩هـ.

٢٧. محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب، مواهب الجليل، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٨. محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، تح: عباس القوجاني، دار الكتب الإسلامية، ط٣،

١٣٢٦هـ.

٢٩. محمد صادق الروحاني، فقه الصادق، دار الكتب، ط٣، قم. ١. محمد الصدر، فقه الموضوعات

الحديثة، دار الاضواء، النجف الأشرف، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٠. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ضبطها ورتبها: محمد سعيد

الفحام، ط٥، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٣١. منصور بن يونس البهوتي، كشف القناع الى متن الاقناع، تح: ابراهيم أحمد عبد الحميد، دار

عالم الكتب، ٢٠٠٣م.

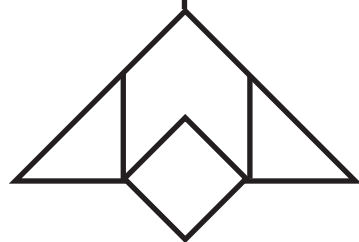
٣٢. الميرزا حسين النوري، مستدرک الوسائل، (ت: ١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لأحياء

التراث، ١٩٨٨م.

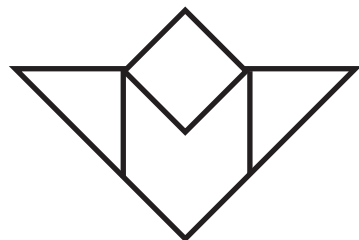
٣٣. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم، ١٣٧٥هـ.

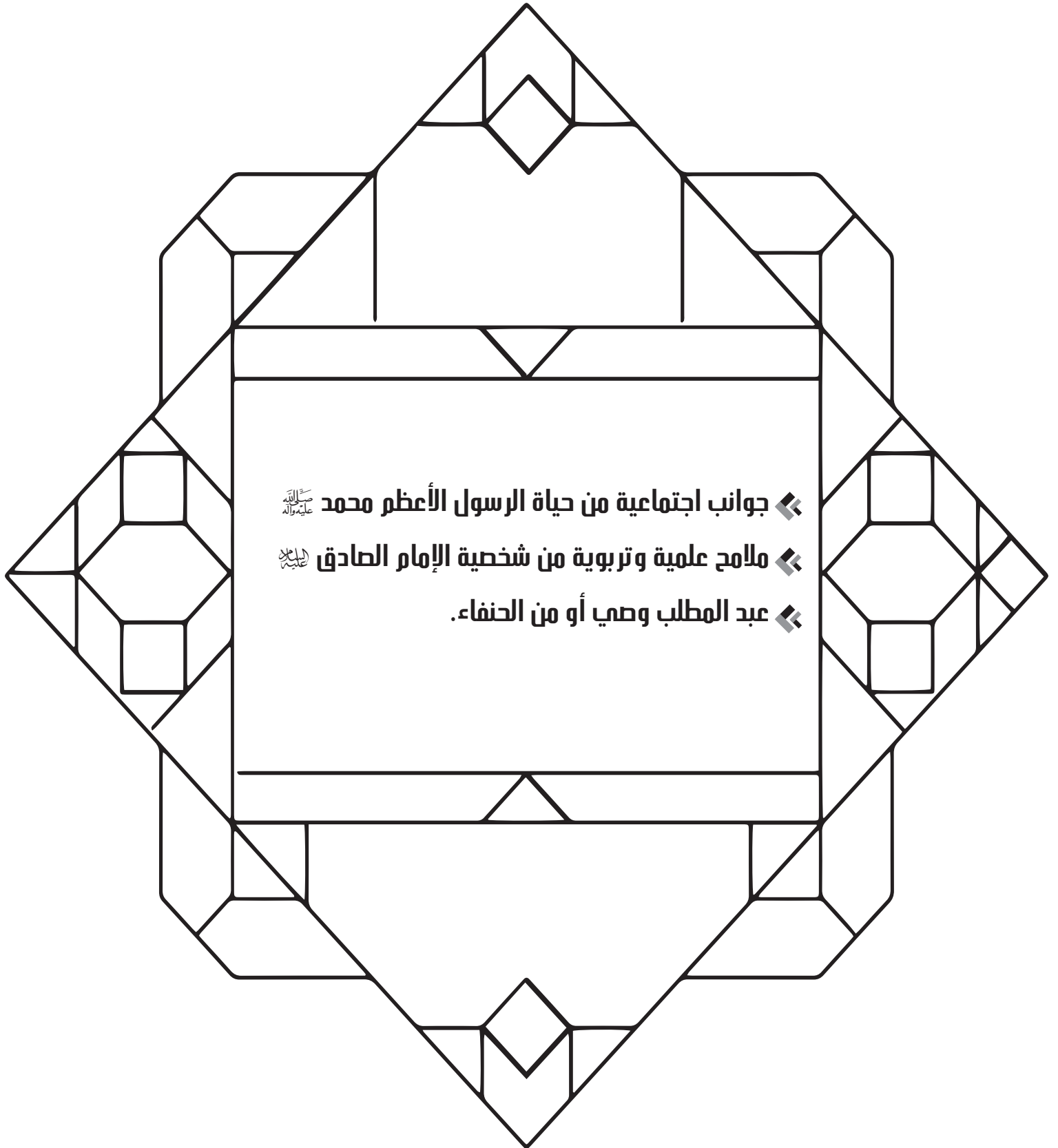
٣٤. علي حسن خازم، البغاة، تعريفهم وأحكامهم، مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق، العددان: ٢١

- ٢٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.



شهر ربيع الأول

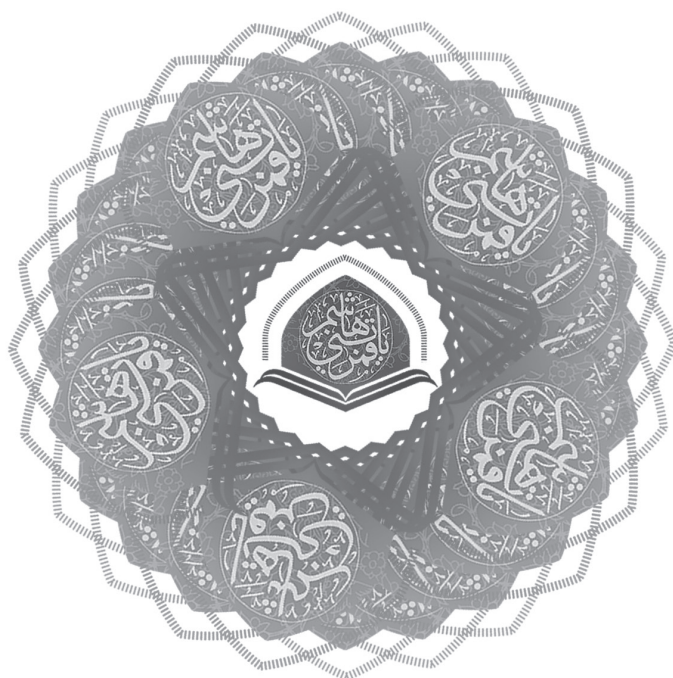




﴿ جوانب اجتماعية من حياة الرسول الأعظم محمد ﷺ

﴿ ملامح علمية وتربوية من شخصية الإمام الصادق (عليه السلام)

﴿ عبد المطلب وصي أو من الحنفاء.



جوانب اجتماعية من حياة الرسول الأعظم محمد ﷺ

الشيخ أحمد كاظم

كان النبي ﷺ مثلاً في حسن الأخلاق والتعامل والعشرة مع مجتمعه، فقد كان ينصحهم ويوجههم، ويكرمهم ويشارك في نشاطاتهم، ويتغاضى عن هفواتهم وزلاتهم، ويشاركهم همومهم ومشاكلهم وفي هذا البحث سوف نذكر بعض نشاطات وأعمال الرسول محمد ﷺ وعلاقته بالمجتمع:

الاستسقاء برسول الله ﷺ

بعد بعثة النبي ﷺ بسنوات وفي المدينة المنورة، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: والله يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بغير يئط، ولا غنم يغط، ثم أنشأ يقول:

أَتَيْنَاكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
لِتَرْحَمَنَا مِمَّا لَقِينَا مِنَ الْأَزَلِ
أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ يَدْمَى لَبَانُهَا
وَقَدْ ذَهَلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الْوَيْلِ
وَأَلْقَى تَكْنِيهِ الشُّجَاعُ اسْتِكَانَةً
مِنَ الْجُوعِ صُمْتًا لَا يُمَرُّ وَلَا يُحْيِي
وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا
سِوَى الْعِلَهَزِ الْعَامِيِّ وَالْعَبْهَرِ الْفَسَلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا
وَأَيْنَ يَقَرُّ النَّاسُ إِلَّا إِلَى الرُّسُلِ
فَإِنْ تَدْعُ بِالسُّقْيَا وَبِالْعَفْوِ تُرْسِلِ الْ
سَّمَاءَ لَنَا وَالْأَمْرُ يَبْقَى عَلَى الْأَصْلِ

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ يَشْكُو قِلَّةَ الْمَطَرِ وَقَحْطًا شَدِيدًا». ثم قام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما حمد ربه أن قال:

«الحمد لله الذي علا في السماء فكان عاليًا، وفي الأرض قريباً دانيًا، أقرب إلينا من حبل الوريد - ورفع يديه إلى السماء وقال: - اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً مريعاً، غداً طبقاً، عاجلاً غير راثث، نافعاً غير ضائر، تملأ به الضرع، وتنبث به الزرع، وتحيي به الأرض بعد موتها».

فما رد ﷺ يديه إلى نحره حتى أهدق السحاب بالمدينة كالإكليل، والتقت السماء بأردافها، وجاء أهل البطاح يضحون: يا رسول الله، الغرق الغرق.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فانجاب السحاب عن السماء، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله».

فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «كأنك أردت يا رسول الله قوله:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بوجهه	ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ تُبْزَى مُحَمَّدًا	وَلَمَّا نَطَاعُنْ دُونَهُ وَنُناضِلِ
وَنُسَلِّمَهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ	وَنَذْهُلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ

فقال رسول الله ﷺ: "أجل" (١).

الحجر الأسود

خافت قريش على الكعبة من الهدم، وذلك لما حصل فيها من التشققات على أثر السيل، فقاموا بتجديد بنائها من أطهر أموالهم، فلما بلغوا موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيما بينهم، فمن هو الذي يضع الحجر الأسود في مكانه، وينال شرف ذلك؟ لأنهم كانوا يعرفون شرف الحجر الأسود، وأنه نزل من الجنة (٢). فكل قبيلة أرادت ذلك لنفسها، حتى كادت أن تكون فتنة عظيمة، ثم رضوا بحكم رسول الله ﷺ وكان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنة ولم يبعث للنبوّة بعد، فحكم ﷺ بأن يوضع الحجر في ثوب ويحمل كل القبائل أطرافه، ثم أخذه من الثوب ووضعته في مكانه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ قريشاً في الجاهلية هدموا البيت، فلما أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه، وألقي في روعهم الرعب حتى قال قائل منهم: ليأتي كل رجل منكم بأطيب ماله، ولا تأتوا بهال اكتسبتموه من قطعة رحم أو حرام. ففعلوا فخلي بينهم وبين بنائه فبنوه حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه؟ حتى كاد أن يكون بينهم شر، فحكموا أول من يدخل من باب المسجد، فدخل رسول الله ﷺ، فلما أتاها أمر بثوب فبسط ثم وضع الحجر في وسطه ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثم تناوله ﷺ فوضعه في موضعه فخصه الله به (٣)». وفي الحديث: «أنزل الله الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من اللبن وأضوأ من الشمس، وإنما اسودَّ لأنَّ المشركين تمسَّحوا به فمن نجس المشركين اسودَّ الحجر (٤)».

(١) الأمالي للمفيد: ص ٣٠١-٣٠٥.

(٢) غوالي اللآلي: ج ١ ص ١٧٤ ..

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢١٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٩٥.

هجرة الحبشة

عندما اشتد أذى قريش للمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة.
ذكر القمي في تفسيره: وأما قوله: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) ^(١)، فإنه كان سبب نزولها أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه الذين آمنوا به بمكة قبل الهجرة، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب عليه السلام أن يخرج معهم. فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر.
فلما بلغ قريش خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليردوهم إليهم، وكان عمرو وعمارة متعاضدين.

فقالت قريش: كيف نبعث رجلين متعاضدين؟
فبرئت بنو مخزوم من جناية عمارة، وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص!
فخرج عمارة وكان حسن الوجه شاباً مترفاً فأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر.

فقال عمارة لعمر بن العاص: قل لأهلك تقبلني.
فقال عمرو: أيجوز هذا، سبحانه الله!
فسكت عمارة، فلما انتشا عمرو وكان على صدر السفينة دفعه عمارة وألقاه في البحر، فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه..
فوردوا على النجاشي وقد كانوا حملوا إليه هدايا، فقبلها منهم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن قوماً منا خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا إليك فردّهم إلينا.
فبعث النجاشي إلى جعفر، فجاءوا به.
فقال: يا جعفر، ما يقول هؤلاء؟
فقال جعفر: أيها الملك، وما يقولون؟
قال يسألون: أن أردّكم إليهم.
قال: أيها الملك، سلهم أعييد نحن لهم؟
فقال عمرو: لا بل أحرار كرام.

(١) سورة المائدة: ٨٢.

قال: فسلهم أ لهم علينا ديون يطالبوننا بها؟

قال: لا ما لنا عليكم ديون.

قال: فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟

قال عمرو: لا.

قال: فما تريدون منا، أذيتموننا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، خالفونا في ديننا، وسبوا آلهتنا، وأفسدوا شبابنا، وفرقوا جماعتنا، فردهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر: نعم أيها الملك، خالفناهم بأنه بعث الله فينا نبياً أمر بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حقها والزنا والربا والميتة والدم، وأمرنا بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام.

ثم قال النجاشي: يا جعفر، هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئاً؟

قال: نعم.

فقرأ عليه سورة مريم \$ فلما بلغ إلى قوله: (وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا)^(١).

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً، وقال: هذا والله هو الحق.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن هذا مخالفنا فردّه إلينا.

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثم قال: اسكت، والله يا هذا لئن ذكرت بسوء لأفقدنك نفسك.

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه وهو يقول: إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإنا لا نتعرض له.

وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتى جميلاً فأحبهته، فلما

رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمار: لو راسلت جارية الملك. فراسلها فأجابهته.

فقال عمرو: قل لها تبعث إليك من طيب الملك شيئاً.

فقال لها، فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب، وكان الذي فعل به عمارة في قلبه حين ألقاه في البحر،

(١) سورة مريم: ٢٥-٢٦.

فأدخل الطيب على النجاشي.

فقال: أيها الملك، إن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا، وما يكرمنا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه أن لا نغشه ولا نريبه، وإن صاحبي هذا الذي معي قد أرسل إلى حرمتك وخدعها وبعثت إليه من طيبك. ثم وضع الطيب بين يديه، فغضب النجاشي وهمّ بقتل عمارة، ثم قال: لا يجوز قتله؛ فإنهم دخلوا بلادني فأمان لهم.

فدعا النجاشي السحرة، فقال لهم: اعملوا به شيئاً أشد عليه من القتل... ورجع عمرو إلى قريش فأخبرهم أن جعفر في أرض الحبشة في أكرم كرامة. فلم يزل - جعفر - بها حتى هادن رسول الله ﷺ قريشاً وصالحهم وفتح خير فوافي بجميع من معه، ووُلد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس: عبد الله بن جعفر، ووُلد للنجاشي ابن فساه محمداً. وبعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ ببارية القبطية أم إبراهيم، وبعث إليه بثياب وطيب وفرس، وبعث ثلاثين رجلاً من القسيسين، فقال لهم: انظروا إلى كلامه، وإلى مقعده، ومشربه ومصلاه! فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ) إلى قوله: (فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)^(١)، فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي، فأخبروه خبر رسول الله ﷺ وقرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النجاشي وبكى القسيسون وأسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة إسلامه وخافهم على نفسه، وخرج من بلاد الحبشة إلى النبي ﷺ فلما عبر البحر توفي، فأنزل الله على رسوله ﷺ: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ) - إلى قوله - (وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ)^(٢) (٣).

مع العصاة والمذنبين

كان رسول الله ﷺ رؤوفاً بالجميع، حتى بالعصاة والمذنبين. عن أبان، عن أبي العباس، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: "أتى النبي ﷺ رجل. فقال: إني زنت فطهرني. فصرف النبي ﷺ وجهه عنه، فأثاه من جانبه الآخر ثم قال مثل ما قال، فصرف وجهه عنه ثم جاء الثالثة. فقال له: يا رسول الله، إني زنت وعذاب الدنيا أهون لي من عذاب الآخرة. فقال رسول الله ﷺ: أبصاحبكم بأس

(١) سورة المائدة: ١١٠.

(٢) سورة المائدة: ٨٢-٨٥.

(٣) راجع تفسير القمي: ج ١ / ص ١٧٦-١٧٩.

- يعني جنة - ؟ فقالوا: لا. فأقر على نفسه الرابعة فأمر به رسول الله ﷺ أن يرحم، فحفروا له حفيرة فلما وجد مس الحجارة خرج يشتد، فلقه الزبير فرماه بساق بعير فسقط فعقله به، فأدركه الناس فقتلوه فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك. فقال: هلا تركتموه - ثم قال - لو استترت تاب كان خيراً له^(١).

ولما غزا النبي ﷺ يوم حنين قصد إليه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة عن يمينه فوجد عباساً، فأتى عن يساره فوجد أبا سفيان بن الحارث، فأتى من خلفه فوقعت بينهما شواظ من نار فرجع القهقري، فرجع النبي ﷺ إليه وقال: «يا شيب، يا شيب ادن مني، اللهم أذهب عنه الشيطان». قال: فنظرت إليه وهو أحب إليّ من سمعي وبصري. فقال ﷺ: «يا شيب، قاتل الكفار». فلما انقضى القتال دخل عليه فقال ﷺ: «الذي أراد الله بك خير مما أردته لنفسك»، وحدّثه بجميع ما زوى في نفسه فأسلم^(٢).

وروي: أن سارة مولاة أبي عمرو بن ضيفي بن هشام أتت النبي ﷺ من مكة مسترفة، فأمر ﷺ بني عبد المطلب بأسدانها، فأعطاهما حاطب بن أبي بلتعة عشرة دنانير على أن تحمل كتاباً بخبر وفود النبي ﷺ إلى مكة، وكان ﷺ أسر ذلك ليدخل عليهم بغتة^(٣)، فأخذت الكتاب وأخفته في شعرها وذهبت، فأتى جبرئيل وقص القصة على رسول الله ﷺ..

فأنفذ ﷺ علياً والزبير ومقداد وعماراً وعمر وطلحة وأبا مرثد خلفها فأدركوها بروضة خاخ يطالبوها بالكتاب، فأنكرت وما وجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع.

فقال علي عليه السلام: «والله ما كذبنا ولا كذبنا»، وسل سيفه وقال: «أخرجي الكتاب وإلا والله لأضربن عنقك». فأخرجته من عقيصتها فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب وجاء إلى النبي ﷺ، فدعا ﷺ بحاطب بن أبي بلتعة وقال له: «ما حملك على ما فعلت؟».

قال: كنت رجلاً عزيزاً في أهل مكة - أي غريباً - ساكناً بجوارهم فأحببت أن أتخذ عندهم بكتابي إليهم مودة ليدفعوا عن أهلي بذلك، فنزل قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ)^{(٤) (٥)}. ثم تركه رسول الله ﷺ.

(١) الكافي: ج ٧ / ص ١٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨ / ص ٦١.

(٣) وذلك اجتناباً لوقوع حرب وسقوط ضحايا.

(٤) سورة الممتحنة: ١.

(٥) المناقب: ج ٢ / ص ١٤٣-١٤٤.

وروي: أن امرأة يهودية أتته بشاة مسمومة ومع النبي ﷺ بشر بن البراء بن عازب، فتناول النبي ﷺ الذراع وتناول بشر الكراع، فأما النبي ﷺ فلاكها ولفظها وقال: «إنها مسمومة»، وأما بشر فلاك المضغة وابتلعها فمات، فأرسل ﷺ إليها فأقرت وقال ﷺ: "ما حملك على ما فعلت؟".
قالت: قتلت زوجي وأشرف قومي فقلت: إن كان ملكاً قتلته، وإن كان نبياً فسيطلعه الله تبارك وتعالى على ذلك^(١).

وعفى عنها رسول الله ﷺ.

وروي: أن سارة مولاة بني هاشم وكانت مغنية نواحة بمكة، وكانت قد قدمت على رسول الله ﷺ المدينة تطلب أن يصلها، وشكت إليه الحاجة وذلك بعد بدر وأحد. فقال ﷺ لها: «أما كان لك في غنائك ونياحك ما يغنيك؟!».
قالت: يا محمد، إن قريشاً منذ قُتل من قتل منهم ببدر تركوا استماع الغناء.

فوصلها رسول الله ﷺ وأوقر لها بغيراً طعاماً، فرجعت إلى قريش وهي على دينها^(٢).

الحث على الزواج

كان رسول الله ﷺ يؤكد كثيراً على الزواج، وأنه ضرورة اجتماعية دينية خاصة للشباب.
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الحاجة، فقال: تزوج. فتزوج فوسع عليه^(٣)». وكان المسلمون يسهلون أمر الزواج، ولم تكن هذه التعقيدات الموجودة اليوم.
وعن عكاف بن وداعة الهلالي، قال: أتيت إلى رسول الله ﷺ فقال لي: "يا عكاف، ألك زوجة؟". قلت: لا.
قال ﷺ: "ألك جارية؟". قلت: لا.

قال ﷺ: "وأنت صحيح موسر؟". قلت: نعم والحمد لله.

قال ﷺ: "فإنك إذاً من إخوان الشياطين، إما أن تكون من رهبان النصارى، وإما أن تصنع كما يصنع المسلمون وإن من سنتنا النكاح، شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم - إلى أن قال: - ويحك يا عكاف تزوج.. تزوج فإنك من الخاطئين". قلت: يا رسول الله، زوجني قبل أن أقوم. فقال ﷺ: "زوجتك كريمة بنت

(١) راجع قرب الإسناد: ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ / ص ١٦.

(٣) الكافي: ج ٥ / ص ٣٣٠.

كلثوم الحميري" (١).

وقال رسول الله ﷺ: "أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب؛ ليعلموا أن أشرف الشرف الإسلام" (٢).

وعن علي عليه السلام، قال: "إن جماعة من الصحابة كانوا حرموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل، فأخبرت أم سلمة رسول الله ﷺ فخرج إلى أصحابه. فقال: أترغبون عن النساء! إني آتي النساء وأكل بالنهار وأنا بالليل، فمن رغب عن ستي فليس مني، وأنزل الله: (لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) (٣).

مع الشباب

كان رسول الله ﷺ كثير الاهتمام بالشباب، فعندما يرى شاباً يكرمه ويحترمه ويقبل إليه، فيسأله عن اسمه وعن عمله، وهل أنه متزوج أم لا؟، ثم يقدم له نصيحة.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أتى رسول الله ﷺ شاب من الأنصار فشكا إليه الحاجة، فقال له: تزوج. فقال الشاب: إني لأستحي أن أعود إلى رسول الله ﷺ. فلحقه رجل من الأنصار، فقال: إن لي بنتاً وسيمة. فزوجها إياه، قال: فوسع الله عليه فأتى الشاب النبي ﷺ فأخبره. فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الشباب عليكم بالباه (٤)». أي بالزواج.

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباه فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليدمن الصوم فإن له وجاء» (٥).

في تناول الفقراء

كان رسول الله ﷺ في تناول الفقراء، ومع جميع طبقات شعبه دائماً، حتى عندما شكل الحكومة الإسلامية في المدينة وكان قائداً عاماً لها.

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ٢٠٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٠ / ص ٢١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٠ / ص ٤٤.

(٥) مكارم الأخلاق: ص ١٩٧.

عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي أهل الصفة وكانوا ضيفان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا هاجروا من أهاليهم وأموالهم إلى المدينة، فأسكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صُفَّة المسجد وهم أربعمئة رجل، يسلم صلى الله عليه وسلم عليهم بالغداة والعشي، فأتاهم ذات يوم فمنهم من يخصف نعله ومنهم من يرقع ثوبه ومنهم من يتفلى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرزقهم مداً مداً من تمر في كل يوم. فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله، التمر الذي ترزقنا قد أحرق بطوننا!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إني لو استطعت أن أطعمكم الدنيا لأطعمتكم، ولكن من عاش منكم بعدي فسيغدى عليه بالجفان ويراح عليه بالجفان، ويغدو أحدهم في قميصه ويروح في أخرى، وتجدون بيوتكم كما تجد الكعبة".

فقام رجل فقال: يا رسول الله، إنا إلى ذلك الزمان بالأشواق فمتى هو؟
قال صلى الله عليه وسلم: "زمانكم هذا خير من ذلك الزمان، إنكم إن ملأتم بطونكم من الحلال توشكون أن تملئوها من الحرام"^(١).

وعن جابر بن عبد الله، قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين غزوة بنفسه، شاهدت منها تسعة عشر وغبت عن اثنتين، فبينا أنا معه في بعض غزواته إذ أعيا ناضحي تحتي بالليل فبرك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخرنا في أخريات الناس، فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم، فأنتهى إليّ وأنا أقول: يا لهف أماء وما زال لنا ناضح سوء.

فقال صلى الله عليه وسلم: "من هذا؟".

فقلت: أنا جابر بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال صلى الله عليه وسلم: "ما شأنك؟".

قلت: أعيا ناضحي.

فقال صلى الله عليه وسلم: "أمعك عصا؟".

فقلت: نعم.

فضربه^(٢) ثم بعثه ثم أناخه ووطئ على ذراعه وقال: "اركب".

فركبت فسايرته فجعل جهلي يسبقه، فاستغفر لي تلك الليلة خمسا وعشرين مرة. فقال لي: "ما ترك عبد الله

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢ / ص ٥٦.

(٢) أي أشار إليه بالضرب، أو ضربه ضرباً خفيفاً لا يؤذي الحيوان.

من الولد؟"، يعني أباه.

قلت: سبع نسوة.

قال ﷺ: "أبوك عليه دين؟".

قلت: نعم.

قال ﷺ: "إذا قدمت المدينة فقاطعهم، فإن أبوا فإذا حضر جذاذ نخلكم فأذني".

وقال ﷺ: "هل تزوجت؟".

قلت: نعم.

قال ﷺ: "بمن؟".

قلت: بفلانة بنت فلان، بأيم كانت بالمدينة.

قال ﷺ: "فهلا فتاة تلاعبها وتلاعبك؟".

قلت: يا رسول الله، كنّ عندي نسوة خرق - يعني أخواته - فكرهت أن آتيهن بامرأة خرقاء، فقلت: هذه أجمع لأمرى.

قال ﷺ: "أصبت ورشدت".

فقال ﷺ: "بكم اشتريت جملك؟".

فقلت: بخمس أواق من ذهب.

قال ﷺ: "قد أخذناه".

فلما قدم المدينة أتيته بالجمل، فقال ﷺ: "يا بلال، أعطه خمس أواق من ذهب يستعين به في دين عبد الله، وزده ثلاثاً واردد عليه جملة.

قال ﷺ: "هل قاطعت غرماء عبد الله؟".

قلت: لا يا رسول الله.

قال ﷺ: "أترك وفاء؟".

قلت: لا. قال ﷺ: "لا عليك، إذا حضر جذاذ نخلكم فأذني".

فأذنته فجاء فدعا لنا، فجذذنا واستوفي كل غريم ما كان يطلب تمرأ وفاء وبقي لنا ما كنا نجد وأكثر.

فقال رسول الله ﷺ: "ارفعوا ولا تكيلوا"، فرفعناه وأكلنا منه زماناً^(١).

وعن عنبة بن مصعب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: "أُتي النبي ﷺ بشيء فقسّمه فلم يسع أهل الصفة جميعاً، فخص به أناساً منهم، فخاف رسول الله ﷺ أن يكون قد دخل قلوب الآخرين شيء، فخرج إليهم فقال: معذرة إلى الله عز وجل وإليكم يا أهل الصفة، إنا أوتينا بشيء فأردنا أن نقسمه بينكم فلم يسعكم، فخصصت به أناساً منكم خشينا جزهم وهلهم"^(٢).

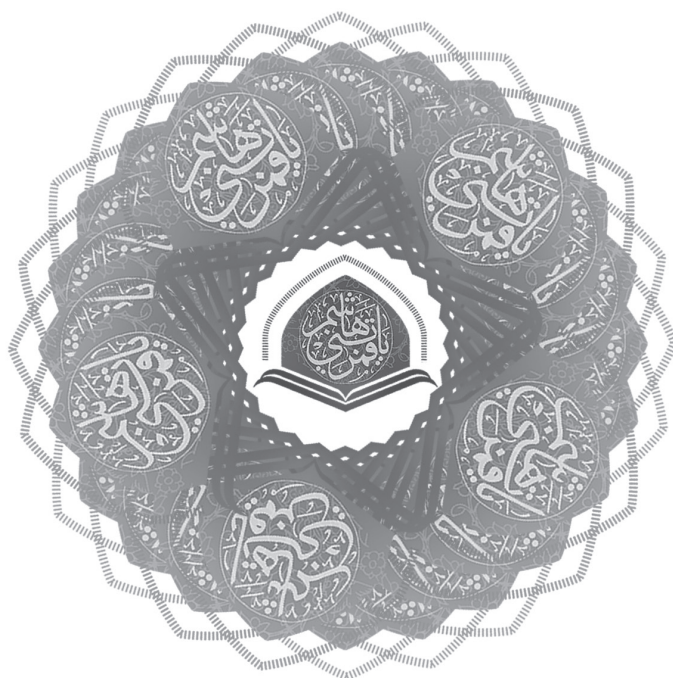
إنّ التأسّي برسول الله ﷺ في جميع جوانب الحياة من الأمور القرآنية والمطلوبة حيث جعله الله أسوة وقدوة لجميع الناس إلى يوم القيامة، ووصف الله سبحانه هذه الأسوة بأنها حسنة وعلى الخصوص في الجانب الاجتماعي من الحياة.

واتّباع الرسول ﷺ في الجانب الاجتماعي كذلك أمر مطلوب، حيث عدّه الله سبحانه أسوة حسنة واختصّه بمكارم الأخلاق، ففي الرواية عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: "إنّ الله خصّ رسوله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عزّ وجلّ وارغبوا إليه في الزيادة منها، فذكرها عشرة..."^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ / ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٢) الكافي: ج ٣ / ص ٥٥٠.

(٣) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، ص ١٩.



ملاح علمية وتربوية من شخصية الإمام الصادق عليه السلام

أ.د. نجم عبد الله غالي الموسوي

يعدُّ الإمام الصادق عليه السلام من أبرز علماء عصره بل هو الفريد الذي تميز بعطاءه الكثير في مجالات العلم والحياة المختلفة، فهو مدرسة علمية وجامعة فكرية ومؤسسة تربوية خرجت الكثير من العلماء البارزين في مختلف العلوم، حتى قيل فيه إنه أعلم الناس وقيل أفقه الناس.

ولا بد من التأكيد على أن الأئمة الآخرين عليهم السلام ليس أقل علمًا بل إنَّ الأجواء الزمانية التي عاشها كل إمام معصوم عليه السلام هي التي تؤثر في مجريات الأحداث وفي طبيعة الظواهر العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يقدمها الإمام المعصوم عليه السلام، وقد استثمر الإمام الصادق عليه السلام الحقبة الزمنية التي عاشها أفضل استثمار كونها كانت حالة انتقالية وانشغال الدولة الأموية والعباسية بالحروب والاقتتال، فقد جاءت الظروف مناسبة لنشر العلم وتربية المجتمع وفسحت هذه الأجواء أمامه المجال لأن ينزل علمياً وتربوياً وإصلاحياً للمجتمع ويث فيه علومه المختلفة وعطاءه الكبير راجياً بيان الإسلام الحقيقي ونشر علوم الشريعة الإسلامية السمحاء وعلوم محمد وآله عليهم السلام الحقيقية النابعة من تعاليم السماء، فكثر نتاجه العلمي وازداد عدد المتعلمين تحت منبره وبين يديه.

ومن الواضح أنَّ عطاء الإمام الصادق عليه السلام لم يكن عطاءً دينياً وفقهياً فقط، بل أضف إلى هذا العطاء عطاءً علمياً مترامي الأطراف قدّمه الإمام الصادق عليه السلام في العلوم البارزة والسائدة في عصره فجاءت مدرسته علمية فكرية ثقافية تربوية كان هدفها صنع الإنسان وبناء كيانه وإيصاله إلى طرق الخير والهداية والصلاح.

ويجب أن نذكر أن منبر الإمام الصادق عليه السلام العلمي ومدرسته الفكرية كانت الأبرز والأفضل والأحسن والأدق من بين مثيلاتها الموجودة، وكانت حالة التلمذة على يديه أو الجلوس تحت منبره سمة عالية المصاف يتشرف بها الطلبة، وكانت بمثابة شهادة تخرج رصينة ذات معايير علمية دقيقة إذ يفتخر من يقول إنّه من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، حالها حالنا اليوم فالذي يتخرج من جامعة علمية رصينة يفتخر ويتباهى بذلك، وبذلك نجح الإمام الصادق عليه السلام في تخريج جيل من العلماء الأفذاذ وليس من الطلبة، فهناك الكثير من الشخصيات

المرموقة جدًا صقلها الإمام عليه السلام وملاً يديه منها ومن مدى إخلاصها في عملها الديني والعلمي، وفسح لها المجال أن تمارس عملها بكل ثقة واطمئنان .

أخذ الإمام الصادق عليه السلام على عاتقه الشريف بيان مدرسة أهل البيت وفلسفتها ومعالمها العلمية الرصينة وأظهر علوم أجداده الطاهرين ووضح الأسس الصحيحة للدين الإسلامي وأعطى الخط العريض والواضح الذي يجب أن يسير الآخرون عليه، للوصول إلى حالة العبودية الصادقة لله تعالى، ومن خلال جهوده المباركة برزت الهوية العلمية الحقيقية للتشيع عن طريق إظهار علومه ومكنوناته المختلفة وردّ الشبهات التي تثار حول التشيع بمناقشات علمية رصينة وبحوار فكري هادف وهادئ بعيداً عن السجال والجدال.

ومما يدل على نجاح تجربته الشريفة هو الأعداد الكبيرة من خريجي مدرسته والتي سجلها التاريخ والذي يقول أغلبهم: (حدثني مولاي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام)، فنسبة خريجي مدرسته ونسبة العلوم التي يحملونها وخدمتهم للدين والمجتمع دلّت على كون الإمام الصادق عليه السلام ذلك المربي الناجح والمعلم المتميز والمدرس القدير والأستاذ الفذ الذي أثر في المتعلمين بما يحوي من سعة علمٍ وتكامل أخلاقٍ وتواضعٍ مطلقٍ وطلاقة وجهٍ والعناية بالآخرين وحسن التعامل معهم، فالمعلم الناجح هو الذي يترك أثراً إيجابياً في نفوس المتعلمين، ويعرف كيف يتعامل معهم على وفق أسس تربوية وعلمية صحيحة.

فلم يكن يعرف عنه في مدرسته إلاّ الخير والعطاء فلم يتبع سياسة التهميش ولا الإقصاء ولا غبن حقوق الآخرين، بل كان يركز على بثّ العلم والمعرفة، فكان في صفوف طلبته حتى المخالفين معه في الاتجاهات الفكرية والعقدية، فكان هدفه وحدة الصف الإسلامي ومنح العلم وإعطاء المعرفة.

ومن السمات المهمة التي تميز بها الإمام الصادق عليه السلام أنّه كان واسع الصدر، يتعامل بما لديه من هذه الصفة مع الآخر بمختلف الاتجاهات الفكرية والعقدية، فكان حتى مع ألدّ وأشدّ خصومه الفكريين يتعامل برأفة ورقة وعقل وتروّ في مجالسه العلمية، ويتغلب عليهم علمياً ولا يظهر صفة التفوق على وجهه وكيانه بل يدحض كل حجج الآخرين بأسلوبٍ تربويٍّ وعلميٍّ وحواريٍّ رصينٍ وأدلة علمية مقنعة جداً.

وكان عليه السلام متفاعلاً مع المجتمع الذي يعيش فيه أخذاً وعطاءً، ويحس آلامهم وهمومهم وأوجاعهم ويتفاعل معهم في كلّ الظروف، فلم يعيش حالة الانعزال والابتعاد عن الآخرين مثلما يعيشها الخلفاء والأمراء، بل كان واحداً من الناس؛ يعيش بينهم، ويحلّ مشاكلهم، ويصلح ذات بينهم، ويتحسّس كل الأشياء التي تمر بهم، ويسهم في بناء المجتمع ونهضته، ويتعاون مع الآخرين، ويساعدهم، ويدعو إلى الإخوة الإيانية، وكان يدعو إلى المحبة والألفة والمودة، ويحذّر من التباغض والتنافر والعداوة بين الناس، حتى أنّه أصبح أسوة وقدوة في

حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، ويُقتدى به، فكان زعيماً في الدين والأخلاق والعلم والتقوى والتربية .
لقد أعطى الإمام الصادق عليه السلام جلّ اهتمامه وعنايته بإصلاح المجتمع وتقويم ما فسد منه في الاتجاهات
كافة نتيجة الظروف السياسية التي مر بها المجتمع الإسلامي وتعاقب الطغاة عليه، ودخول الأفكار المنحرفة
من بلاد غير المسلمين، فلجأ إلى منهج الصّلاح والتربية الحقيقية لإعادة النهوض بالواقع الاجتماعي من السقم
إلى العافية، وتوعية المجتمع بالمخاطر التي تُدبر حوله.

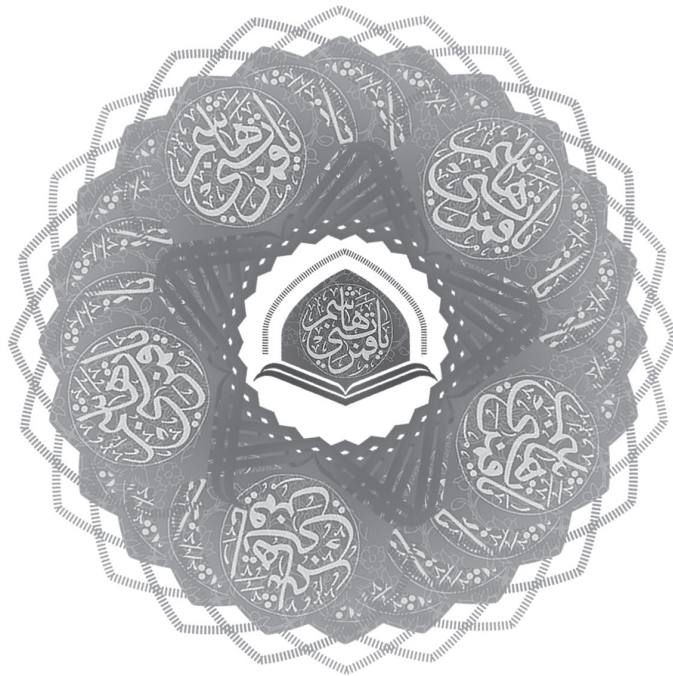
ونجد الإمام عليه السلام قد اعتمد على الرؤية الإسلامية في إصلاح المجتمع ومواجهة الانحطاط الفكري
والأخلاقي ومخاطبته بخطاب ديني وعقلي من أجل بناء المساحة الإيجابية في ذهنية المجتمع وتقليص الجانب
السليبي ومحاربته، حتى أنّ الإمام عليه السلام يعرض تصرف المجتمع على منهج الإسلام في مرات عديدة، ويُبيّن الخطأ
فيه، وينتقد من يخالف التعاليم الإسلامية الصحيحة، ويوضح أنّه ليس من شيعتنا من يتعد عن الرسالة
الإسلامية الخالدة وتعاليمها الفذة.

وأخيراً أذكر إحدى توجيهات الإمام الصادق عليه السلام التي تُعدُّ نبراساً للعمل والتعايش السلمي بين أفراد
المجتمع كافة.

عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ الشَّامِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَالْبَيْتُ غَاصُّ بِأَهْلِهِ، فِيهِ الْخُرَاسَانِيُّ، وَالشَّامِيُّ،
وَمِنْ أَهْلِ الْأَفَاقِ، فَلَمْ أَجِدْ مَوْضِعاً أَقْعُدُ فِيهِ.

فَجَلَسَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، وَكَانَ مُتَكِنًا، ثُمَّ قَالَ: "يَا شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ، اْعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ
عِنْدَ غَضَبِهِ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَهُ، وَمُخَالَقَةَ مَنْ خَالَقَهُ، وَمُرَافَقَةَ مَنْ رَافَقَهُ، وَمُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَهُ،
وَمُحَالَحَةَ مَنْ مَالَحَهُ، يَا شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ، اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (١)".

(١) الكافي: ٢ / ٦٣٧، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، الملقّب بثقة الإسلام، المتوفى سنة: ٣٢٩ هجرية، طبعة دار الكتب
الإسلامية، سنة: ١٣٦٥ هجرية / شمسية، طهران / إيران.



عبد المطلب عليه السلام وصي أو من الخنفاء

الشيخ فوزي آل سيف

هل كان عبد المطلب ^(١) وصياً من الأوصياء المستحفظين على الكتب أم أنه كان من الخنفاء ^(٢) على دين النبي إبراهيم عليه السلام كحال كثير من بني هاشم ذلك الوقت، متقدماً فيهم وذا معرفة أكثر؟
هما رأيان: - يذهب بعض الباحثين إلى أن عبد المطلب كان من حملة الكتب وعنده مواريث كتب الأنبياء السابقين وهو وصي من الأوصياء، ويستشهدون على هذا الرأي بوجوه:
الوجه العقائدي: وحاصله ما يعتقده الإمامية وشهدت به الروايات أن الأرض لا تخلو من حجة، فإذا أن يكون كذلك ولا يوجد أجدر وأولى من عبد المطلب بذلك، أو تنخرم القاعدة والفرض أنها تم البرهنة عليها في علم الكلام.

الوجه الروائي: وهو مديح الأئمة المعصومين له؛ فإنه يساعد على هذه الفكرة ففي رواية معتبرة في الكافي، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (يُعْتَبَرُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أُمَّةً وَحْدَهُ عَلَيْهِ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَ سِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ). ولا ريب أن كون الإنسان يوم القيامة (أمة) وحده يشير إلى منزلة عظيمة لدى الشخص وهي تفرد ذلك الشخص بميزة

(١) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، (١٢٧ - ٤٥ قبل الهجرة، ٥٠٠ - ٥٧٩ م) جد رسول الله لأبيه، وكبير قريش، ومن كبار مكة، ولد في يثرب، ثم انتقل في السابعة من عمره إلى مكة، وبقي فيها، ومن الأحداث المهمة التي وقعت في عصر سيادته على مكة هجوم أبرهة الحبشي عليها بالفيلة لهدم الكعبة. كفل رسول الله صلى الله عليه وآله في صغره، عندما توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب وأمه أمنة بنت وهب، توفي في مكة وكان حينها عمر رسول الله صلى الله عليه وآله ثنائي سنوات، ودفن في مقبرة الحجون بجوار قبر جده قصي بن كلاب.

اسمه وكنيته
اسم عبد المطلب "شيبه"، وكنيته "أبو الحارث"، وذكرت له عدة أسماء وألقاب: عامر، وسيد البطحاء، وساقى الحجيج، وساقى الغيث، وغيث الوري في العام الجذب، وأبو السادة العشرة (كان عنده عشرة أولاد)، وعبد المطلب، وحافر زمزم، وإبراهيم الثاني، والفياض.

نسبه
أبوه هاشم بن عبد مناف، وسلسلة أجداده تنتهي إلى نبي الله إبراهيم، وأمه سلمى بنت عمرو من بني النجار تزوج بها هاشم حين سافر إلى يثرب، وقد توفي أبوه في فلسطين وهو لا يزال في بطن أمه، وقد بقي في يثرب إلى سن السابعة من عمره، [٦] في السنة السابعة من عمره ذهب عمه المطلب إلى يثرب، وجلبه معه إلى مكة، ومن هنا سمي عبد المطلب.

(٢) الخنفاء: جمع حنيف، بمعنى مائل عن الضلال إلى الهدى وقد وصف القرآن إبراهيم بأنه حنيف وأمر النبي أن يعلن أنه حنيف وأعلن النبي أنه جاء بالحنيفية السمحاء، وقبل الإسلام كان هذا اللفظ يشير إلى من كان مستقيماً على ملة إبراهيم فاختنن وحج البيت الحرام واعتزل عبادة الأوثان واغتسل عن الجنابة وتحريم الخمر والانتهاج عن أكل ما ذبح للأوثان وعلى النصب، وكأنهم كانوا على الإسلام في صورته الأولية، أي المبادئ الإبراهيمية.. ولعله لهذا وصف إبراهيم بأنه كان (حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)

لا يمتلكها غيره كما ورد في حق النبي إبراهيم . وأنه أيضًا عليه سياء الأنبياء حيث قد يستفاد منه نوع من أنواع المشابهة بينه وبينهم مما يشير الى احتمال كونه وصيًا.. بل ذكر في كتاب الدرّ النظيم نقلا عن كتاب مدينة العلم قال الصادق عليه السلام: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة عليه سياء الأنبياء و هيبة الملوك، وقال: إنَّ عبد المطلب حجة وأبو طالب وصيه^(١).

ومن ذلك ما أشارت إليه الروايات بعنوان سنن عبد المطلب، وأنه سنّ في الجاهلية سننًا فلمّا جاء الإسلام، أقرّ تلك السنن وأمضاها.^(٢)

الوجه الأخلاقي: إنّ طريقة تعامل عبد المطلب ونمط أحاديثه وكلماته ولاسيما مع أبرهة في قضية الكعبة فإنَّه بينما خرج القرشيون الى مختلف الأماكن وصعد بعضهم الى الجبال بقي عبد المطلب وبعض ولده كأنَّه كان ينتظر شيئًا حتى قيل إنَّه أرسل بعض ولده لكي يخرج وراء الجبل ينظر هل جاء من جهة البحر شيءٌ أو لا، حتى إذا أذن الله بنزول العذاب على أبرهة وجيشه جاء ابنه مسرعًا وقال إنِّي أرى طيورًا صغيرة سودا! فقال عبد المطلب نزل العذاب بهم.

إنَّ مثل هذه المعلومات وكذا كلامه عندما قال أنا رب الإبل وللييت ربّ يحميّه وذهب بالدعاء الى جوار الكعبة عند الحطيم ورفع يده قائلاً:

لأهمَّ إنَّ المرء يمنع رحله فمَنْع رحالك

لا يغلبنَّ صليْبهم ومُحَالهم عَدُوًّا محالك

إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمرٌ ما بدا لك^(٣)

كذلك فإنَّ أصحاب هذا الرأي لهم أن يستفيدوا من تسمية عبد المطلب لحفيده نبيّنا محمدًا ﷺ يشير الى معرفته الواضحة بأنَّ هذا المولود سيكون النبي المبعوث وقد أخبر ابنه أبا طالب عن هذا الأمر فقال ولقد كان أبي عبد المطلب يقول (يبعث نبيٌّ من صليبي في مكة) وهذا يشير الى معرفته بنبوة النبي ﷺ ومثل هذه المعرفة لا

(١) القمي؛ الشيخ عباس: سفينة البحار ٨٧/٦

(٢) في الحُصَال للشيخ الصدوق ١/ ٣١٣ عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال في وصيته له: يا علي إن عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجزاها الله له في الإسلام، حرم نساء الآباء على الأبناء فأنزل الله عز وجل « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » ووجد كنزا فأخرج منه الخمس وتصدق به، فأنزل الله عز وجل: « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن الله خمسُه - الآية » ولما حفر زمزم سبأها سقاية الحاج، فأنزل الله « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر - الآية » وسن في القتل مائة من الإبل فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام، ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام. يا علي إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب..

(٣) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ ج ١٥ / ص / ٧٠ و (لاهم) يعني اللهم.

تتيسر لشخص ليس له اتصال بعالم الغيب!

هذا النمط من الأحاديث يشير في رأي هؤلاء إلى أنَّ عبد المطلب كان لديه شيء آخر غير موجود لدى سائر الناس وما ذلك إلا كونه وصيًا من الأوصياء.

عبد المطلب والحنيفية

والرأي الآخر يرى أنَّ كلَّ ما سبق لا يدل على كونه وصيًا من الأوصياء، نعم كان على دين جده النبي إبراهيم ومن الحنفاء ومن أفاضل المؤمنين برهم، ولا يوجد ما يثبت وصايته، بل يصرح الإمام علي (عليه السلام) أنَّه كان على دين إبراهيم. ففي الحديث المروي عن الإمام علي والذي ذكر فيه سنن إبراهيم^(١) قال (ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم (عليه السلام)).

عبد المطلب في فترة الشباب

تجاوز عبد المطلب في شبابه أقرانه بحكمته وبلاغته وحسن تدبيره حتى أصبح شخصية من الشخصيات الكبيرة في المجتمع المكي، وأصبح الناس يحتكمون إليه ويقبلون أحكامه، وكانت لديه ممارسات عبادية والتزامات أخلاقية فائقة لم تكن معهودة لدى القرشيين، وهي ليست بعيدة عما نعهده في الإسلام، وقد تمت الإشارة لبعضها بعنوان سنن عبد المطلب التي أقرها الإسلام فيما بعد.

يقول الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) حاكيا عن عبد المطلب «كان مَفْرَع قريش في النوائب، وملجأهم في الأمور، وأنَّه كان من حلماة قريش وحكائها، وممن حرَّم الخمر على نفسه، وهو أول من تحنث بغار حراء والتحنث: التعبد الليالي ذوات العدد. وكان إذا دخل شهر رمضان، صعد وأطعم المساكين، وكان صعوده للتخلي من الناس؛ ليتفكر في جلال الله وعظمته. وكان يعظم الظلم بمكة، ويكثر الطواف بالبيت.

وذكر أنَّه كان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيايات الأمور، وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه، وإنَّ وراء هذه الدار دارًا يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته»^(٢)

(١) الخصال ١ / ٣١٣

(٢) علي؛ دكتور جواد: المفصل في تاريخ العرب ٧ / ٧٤.

إيلاف اليمن عند عبد المطلب

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من صفاته مما جعله يتبوأ موقع القيادة الروحية في قريش، فإنه أكمل ما بدأه والده هاشم في قضية الإيلاف والاتفاقيات الدولية، فقد أكد الإيلاف الرومي الذي عقده والده وأكّده ووثقه، وقام بالمبادرة لعقد الإيلاف اليمني والتي جاءت الإشارة إليهما في سورة قريش، بأن رحلة الشتاء لليمن والصيف للشام. ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.

قال المؤرخون إنَّ عبد المطلب ذهب إلى اليمن للاجتماع إلى ملوك حمير وسبأ، وكان مهيب الطلعة نوراني الوجه، وبلغ الكلام والحجة. فاستطاع أن يعقد معهم ما تم عقده مع الروم فأصبحت مكة وقريش مؤمنة من الشمال والجنوب في طرقها وتجارها.

عبد المطلب محارباً لنفوذ الأغنياء

وبالطبع لم تكن تلك الخطوات تجري بسلاسة، فإنَّ بعض أصحاب القوة والمال والسلطة كانوا يريدون التصرف كما يشاؤون من دون أن يخضعوا لنظام اجتماعي يحدّد من مشترياتهم واعتداءاتهم. فلم يجد عبد المطلب بُدّاً من مقاومتهم ومحاربة نفوذهم في التعدي على النظام والأمن الاجتماعي، والمؤرخون هنا ينقلون أنَّ حرباً جدّ بني أمية، وكان في طبقة عبد المطلب بل قيل كان نديماً له وصديقاً له لكن ذلك لم يمنع عبد المطلب من مواجهته عندما أمر حرب غلمانه بقتل يهودي ثري في مكة والاستيلاء على أمواله، على أنَّه يهودي وغريب عن مكة، وبينما سكت سائر القرشيين، إذ المقتول ليس من عشائريهم ولا حليفاً لهم، وهم يخافون سطوة حرب إلا عبد المطلب فقد اعترضه ورأى ذلك ظلماً وأنَّ عليه أن يرّد المال لذوي المقتول، ويدفع ديتّه، فتنافرا وهدده عبد المطلب بإعلان الحرب عليه، وأخيراً رضخ حرب وأرجع أموال اليهودي، وأعطى ديتّه فحملها عبد المطلب إلى ابن عمّ ذلك اليهودي.

عبد المطلب وبئر زمزم

في تكملة للجانب الاقتصادي بعد تأمينه للاتفاقات السياسية مع اليمن والروم كانت هناك حاجة في قريش للماء.. ولاسيما في وقت مجيء الناس لزيارة بيت الله الحرام ووقت الحج (حيث كان منسك الحج باقياً عند الناس من بقايا الديانة الإبراهيمية).. فظل يفكر في أيّ مكان يمكن أن يكون بئر زمزم الذي نبع لجده إسماعيل؟ واستولى عليه هذا الفكر.. إلى أن رأى في المنام ثلاث مرات أنَّه يحفر في مكان قريب من الركن العراقي جهة الحجر الأسود، وبالفعل فقد حفر في هذا المكان، فرأى البئر قد طمر، على يد قبيلة جرهم، عندما

غزت مكة وأفست وعاثت فيها فسادًا. وكان من ذلك أن طمرت بئر زمزم.
فبدأ يحفره عبد المطلب بمعونة أبنائه الى أن استنبط الماء من جديد وكان ثجاجا كثير الماء، فاستراح الناس
به من تلك الآبار الوشلة والآسنة والمالحة.
وبعدما كانت له الرفادة وهي إطعام الحجيج، صار له سقاية الحجيج وسماه زمزم.

سن قوانين مدنية وأنظمة اجتماعية

بدأ عبد المطلب بعد ذلك بسنّ قوانين جديدة يمكن أن نسميها بـ (القوانين المدنية والأنظمة الاجتماعية) أو
تطبيق ما كان معروفاً منها بصورة نظرية، وإلزام المجتمع القرشي بالأخذ بها، وقد ذكرها المحدثون^(١) بعنوان
سنن عبد المطلب وهي خمس سنن.
بينما أشار المؤرخون^(٢) إلى سبعة عشر.. ولا أرى تنافيا بين الأمرين، فقد يكون بعضها من ابتكاره من دون
أن يسبق إليه، والباقي ربما كانت قبله ولكن لم تكن تطبق فسعى لتطبيقها في المجتمع.

١/ حرّم نساء الآباء على الأبناء:

وقد كان هذا موجوداً في الجاهلية، فإذا تزوج شخص زوجتين ومات عنها كان لابنه أن يتزوج زوجة أبيه
- غير أمه -! فنهى عبد المطلب عن ذلك ومنع منه وجاء الإسلام فيما بعد ليؤكد بقول الله تعالى (وَلَا تَنْكِحُوا
مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا).^(٣)

٢/ سنة الخمس في الكنز:

في الرواية أن عبد المطلب وجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به، وكأنه نوع من الضريبة الاجتماعية
حيث عدّ هذا الكنز الذي حصل له من غير جهد خاص فيه يشترك المجتمع معه فيأخذ الحاصل على الكنز
أربعة أخماس ويعطي للطبقات المحتاجة في المجتمع الخمس الخامس.
وينبغي أن يلحظ أن معنى فأنزل الله هو الإمضاء حين جاءت الرسالة لا أنه بمعنى (أنزل يعني أنه على أثر هذا
الأمر) وذلك لما هو مذكور في محله أن كثيراً من التنظيمات الاجتماعية في الإسلام هي إمضائية^(٤) وليست تأسيسية.

(١) مرت أنفا عن الشيخ الصدوق في كتاب الخصال.

(٢) نقل الشيخ السبحاني ذلك في كتابه مفاهيم القرآن ٥ / ٢٦٥ عن تاريخ يعقوبي.

(٣) النساء ٢٢

(٤) الإسلام لم يأت ليقول للناس بيعوا واشتروا واستأجروا فإن مثل هذه المعاملات كانت قبل أن يأتي الإسلام. وإنما يرى الدين هذه المعاملات فيقول
هذا كله صحيح فيحل البيع أو يقول هو محرم كالربا أو يقول هناك شروط ليصح كالمضاربة.

٣/ قانون في دية القتل: سنّ عبد المطلب في القتل مئة من الإبل كدية وقد أغرم - كما ذكرنا - حرباً على أثر قتل غلمانة لليهودي مئة من الإبل فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام ما يعادل مئة بغير يساوي دية الإنسان. وقد ذكر يعقوبي قوانين أخرى، سنّها أو ألزم بها عبد المطلب المجتمع العربي آنئذ مثل أن لا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحد عليه، والقرعة، وأن لا يطوف أحد بالبيت عريانا، وإضافة الضيف، وأن لا ينفقوا إذا حجّوا إلا من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات.

بل حتى فيما يرتبط بالكعبة والطواف بها حيث أنّه لم يكن لهم في الطواف رسم معين فسنّ فيهم عبد المطلب أنّه سبعة أشواط، فأجرى الله له ذلك.

عبد المطلب ومواجهة أبرهة الحبشي

كان أبرهة الحبشي القائد العسكري في اليمن عاملاً للملك النجاشي في الحبشة، وكلاهما مسيحيان قد ابتنى كنيسة كبرى وفخمة أسماها القليس، ويذكر المؤرخون في أوصاف بنائها وزينتها وتذهيبها وزخرفتها الشيء الكثير.. وكانت هذه الكنيسة وما حصل لها - في رأي هؤلاء المؤرخين - السبب في هجوم عسكري كبير على مكة ومحاوله هدم الكعبة:

- بعض المؤرخين ذكروا أنّها تعرّضت لتدنيس من قبل عرب حيث نجسوها في قبلتها كما قيل، فكان هذا منشأ لانتقام الأحباش المسيحيين من الكعبة التي يقدّسها العرب في ذلك الزمان.

- والبعض الآخر يرى أنّ الكنيسة تعرّضت لتدمير وحرق (كلي أو جزئي) متعمد أو غير متعمد من قبل العرب أيضاً، عندما أشعلوا ناراً بالقرب منها ولم يطفئوها حتى هبّت ريح ساقطت تلك النار للكنيسة فاضطربت وانهدمت، فكان ذلك هو السبب في تجهيز ذلك الجيش.

- بينما يرى د. جواد علي أنّ الأمر أبعد من ذلك وهو سياسي اقتصادي، وأن هذه الأمور لو كانت فإنّها هي ذريعة لقضية أكبر، وهي « خطة ترمي إلى ربط اليمن ببلاد الشام، لجعل العربية الغربية والعربية الجنوبية تحت حكم النصرانية، وبذلك يستفيد الروم والحش وهم نصارى، وإن اختلفوا مذهباً، ويحققون لهم بذلك نصراً سياسياً واقتصادياً كبيراً، فيتخلص الروم بذلك من الخضوع للأسعار العالية التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية النادرة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم؛ إذ سترد إليهم من سيلان والهند رأساً عن طريق بلاد العرب، فتنخفض الأسعار ويكون في إمكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية

حتى سيلان والهند وما وراءهما من بحار»^(١).

وأياً ما كان السبب فقد جهّز الجيش، وسار يقطع الصحراء حتى وصل إلى مكة، بعدما تنحّت عنه القبائل العربية التي كانت في طريقه إذ لا طاقة لها على مواجهته، وبالطبع كانت أخبار الجيش هذا تصل قبل وصوله، فلما وصلت مكة، صعد القرشيون إلى الجبال وبعضهم ذهب إلى مزارعه في الطائف، وكان هذا الجيش يسلب كلّ ما وجد في الطريق لتموين جنوده، فكان ممّا أخذَ عدد من الإبل لعبد المطلب كانت ترعى أطراف مكة.

وبعدما استقر أبرهة الحبشي في مكّة حيث لم يواجهه أحد، طلب عبد المطلب لقاءه، فلما قابله أعظمه أبرهة وملاً عبد المطلب عينيه، فأجلسه إلى جانبه وسأله الترجمان عن حاجته فأخبره: «.. فقال الترجمان: جاء في إبل له ساقوها، يسألك ردّها فقال ملك الحبشة لأصحابه: هذا رئيس قوم وزعيمهم جئت إلى بيته الذي يعبد له لأهدمه وهو يسألني إطلاق إبله!! أما لو سألتني الامساك عن هدمه لفعلت، ردوا عليه إبله، فقال عبد المطلب لترجمانه: ما قال لك الملك؟ فأخبره، فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل ولهذا البيت ربّ يمنع، فردّت إليه إبله وانصرف عبد المطلب نحو منزله..»^(٢)

إنّ هذه الثقة التي كانت لدى عبد المطلب بأنّ رب البيت سيحميه ويمنعه لا يمكن أن تفهم إلا بوجود علم غير اعتيادي بأنّ هذا الأمر سيحصل، وهذا ما ربما تشرحه تتمّة الرواية المعتبرة السابقة عن الإمام الصادق عليه السلام، من أنّ عبد المطلب قال «لبعض مواليه عند ذلك: أعلّ الجبل فانظر ترى شيئاً؟»، فقال: أرى سواداً من قبل البحر، فقال له: يصيبه بصرك أجمع؟ فقال له: لا ولأوشك أن يصيب، فلما أن قرب، قال: هو طير كثير ولا أعرفه يحمل كل طير في منقاره حصة مثل حصة الخذف^(٣) أو دون حصة الخذف فقال عبد المطلب: وربّ عبد المطلب ما تريد إلا القوم، حتى لما صاروا فوق رؤوسهم أجمع ألقت الحصة فوقع كلّ حصة على هامة رجل فخرجت من دبره فقتلته، فما انفلت منهم إلا رجل واحد يخبر الناس، فلما أن أخبرهم ألقت عليه حصة فقتلته»^(٤).

وانتهت هذه الحملة العسكرية كما تحدث عنها القرآن الكريم: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥))^(٥)

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦ / ٢٠٨

(٢) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي - ط الإسلامية ١ / ٤٤٨

(٣) حصة الخذف التي ترمى بها الجمار، تكون قدر الأنملة تقريباً.

(٤) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي - ط الإسلامية ١ / ٤٤٨

(٥) سورة/ الفيل / الآيات: ١- ٥.

عُمَر عبد المطلب ووفاته

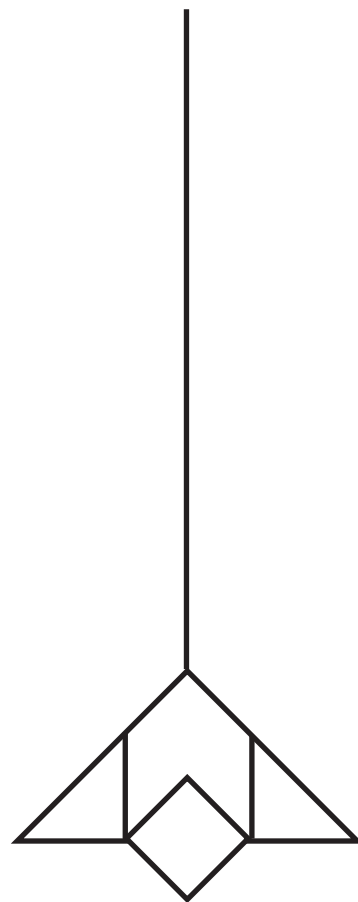
يُختلف المؤرخون في مقدار عُمَر عبد المطلب والسنين التي عاشها بين من قائل إنه عُمَر حتى بلغ ١٢٠ سنة، ومقلّ يقول إنه توفي وعمره ٨٨ سنة، ولكنهم لا يختلفون في حياة عبد المطلب لحفيده النبي محمد ﷺ وأنه كان يرى له المنزلة الاستثنائية، وأنه النبي الموعود، وأنه لو أدرك بعثته لآمن به ونصر رسالته.. فعن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله ﷺ وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذه، فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه، فقال له عبد المطلب: دع ابني فإن الملك قد أتاه. (١)

وفي وصيته لابنه أبي طالب أكد أمر الحفاظ على حفيده النبي محمد وأنه سيكون المبعوث، وأنه لو أدرك أيام بعثته لآمن به وآزره.

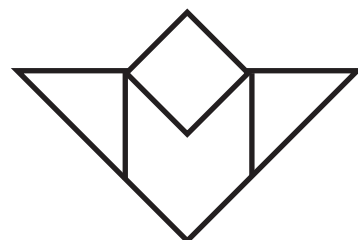
(١) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي - ط الإسلامية ١ / ٤٤٨.

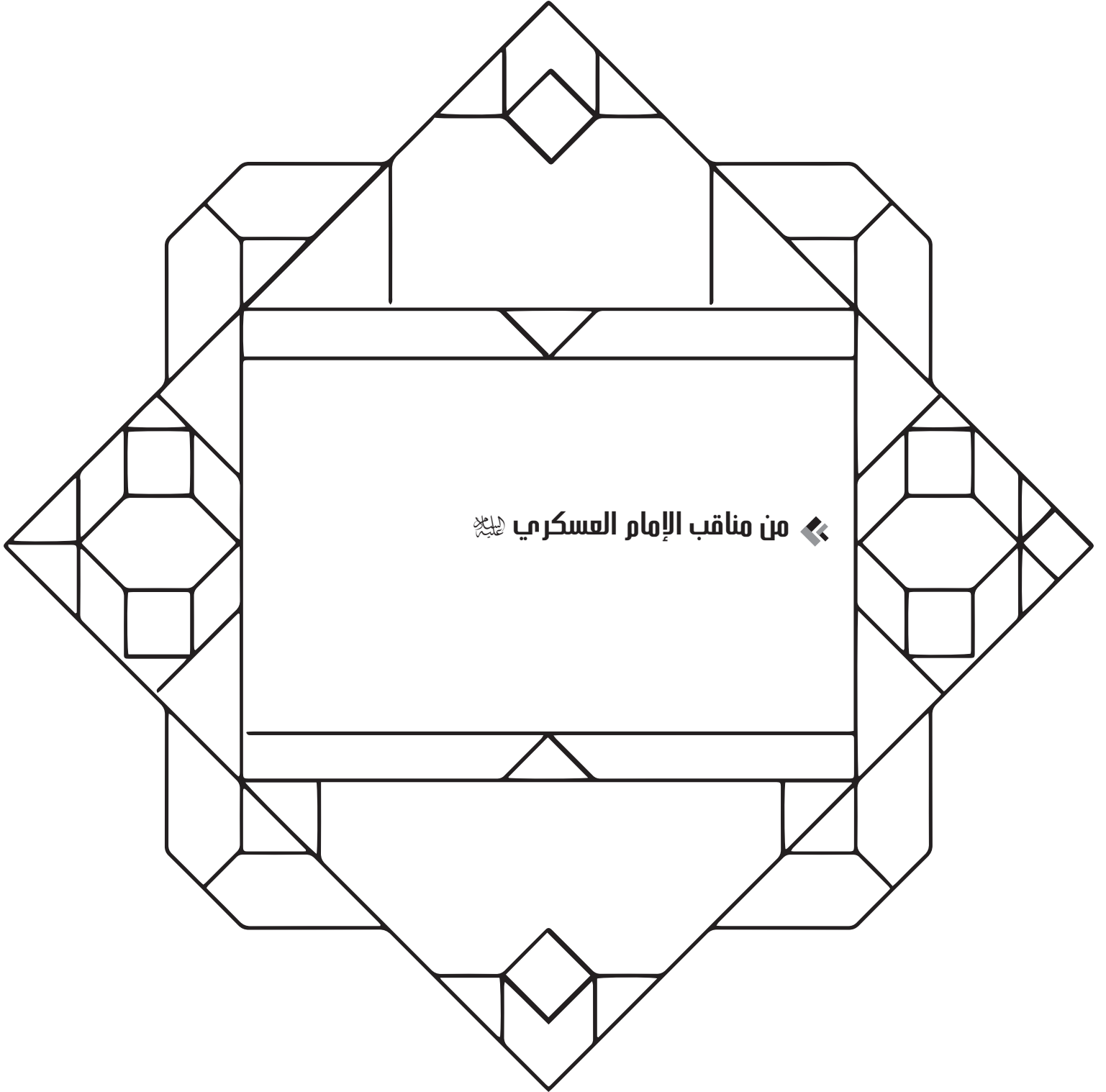
المصادر والمراجع

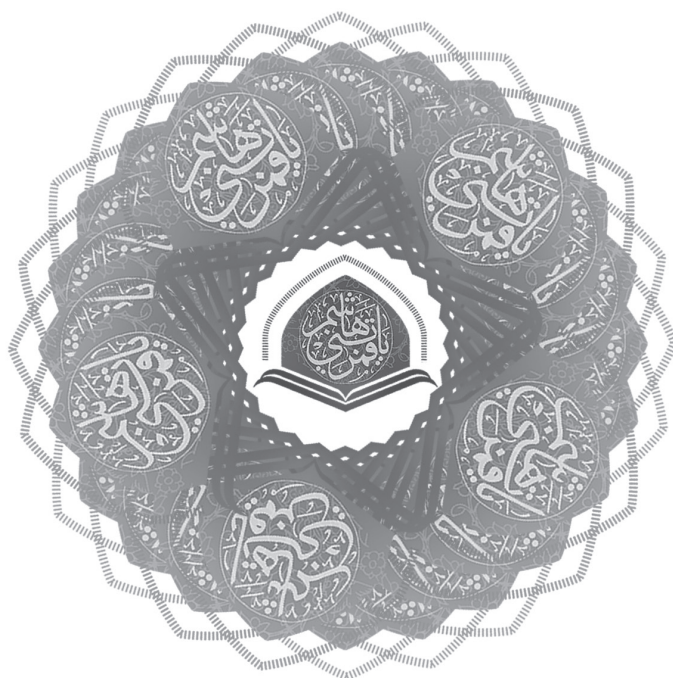
١. ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ.
٢. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، طهران - إيران، مؤسسة مطبوعاتي، د.ت.
٣. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن أبي الحسن، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٤. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، د.م، د.ن، د.ت.
٥. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، بيروت - لبنان، دار الجيل، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ.
٧. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت - لبنان، دار المعرفة، د.ت.
٨. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط ١، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
٩. الدواني، علي، تاريخ الإسلام من الإبتداء حتى الهجرة، قم - إيران، مكتب الانتشارات الإسلامي، ط ٨، د.ت.
١٠. الصدوق، محمد بن علي، الخصال، قم - إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت.
١١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، طهران - إيران، دار أساطير، ط ٥، د.ت.
١٢. المسعودي، الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، إيران، دار الهجرة، ط ٢، ١٤٠٨ هـ.
١٣. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، بيروت - لبنان، د.ن، ١٣٧٩ هـ.



شهر ربيع الثاني







من مناقب الإمام العسكري (عليه السلام)

علي عبد الحسن

مناقب الإمام العسكري (عليه السلام) كثيرة، وكانت هذه المناقب مدعاة لهداية الناس وعاملاً لكشف الحقائق وإظهار الحق وكشف زيف الباطل.

وفي كثير من الأحيان كانت الحكومات الضالة تسلط الأضواء على شخصيات مصطنعة تخدم مصالحها لتشغل الناس عن الالتفاف حول أهل البيت (عليهم السلام)، ولكن وجود مثل هذه المناقب كانت تحول دون تحقق أهدافهم وتوجه الناس إلى أئمة الهدى (عليهم السلام).

ومن مناقب الإمام العسكري (عليه السلام) ومعالي أموره هي:

١. عبادة تحير العقول:

سار سليل النبوة الإمام العسكري (عليه السلام) على نهج آبائه الطاهرين (عليهم السلام) من الاهتمام بالعبادة والإكثار منها بأعلى درجات الإخلاص، رغم الظروف الحالكة وكثرة المشاغل، وكان (عليه السلام) مضرباً للمثل في عبادته حتى صارت عبادته أكسيراً يغيّر شر الخلق ويهديهم إلى الله تعالى.

علي بن عبد الغفار، قال: دخل العباسيون على صالح بن وصيف، ودخل صالح بن علي وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمد - العسكري - (عليه السلام).

فقال لهم صالح: وما أصنع قد وكلت به رجلين من أشرف من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقلت لهما: ما فيه؟ فقالا: ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل وإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا ويدخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلما سمعوا ذلك انصرفوا خائبين^(١).

(١) الكافي: ج ١ / ص ٥١٢.

٢. علوم سماوية:

الأئمة الأطهار عليهم السلام أعلم الناس، وقد أوتوا علم الأولين والآخرين، وهم مطلعون على الغيب بإذن الله، فما من معصوم من الأئمة الأطهار عليهم السلام إلا وكان يعلم بالخفايا والبلايا والمنايا، والشواهد كثيرة، منها ما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام:

عن أبي هاشم، قال: سمعت أبا محمد - العسكري - عليه السلام يقول: «من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لم أؤخذ إلا بهذا». فقلت في نفسي: إن هذا هو الدقيق وقد ينبغي للرجل أن يتفقد من نفسه كل شيء. فأقبل عليّ فقال: «صدقت يا أبا هاشم ألزم ما حدثتك نفسك؛ فإن الإشراف في الناس أخفى من ديبب النمل على الصفاء في الليلة الظلماء، ومن ديبب الذر على المسح الأسود» ^(١).

وعن أبي هاشم، قال: سمعت أبا محمد - العسكري - عليه السلام يقول: «إن في الجنة باباً يقال له: المعروف، ولا يدخله إلا أهل المعروف». فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلفه من حوائج الناس. فنظر إليّ أبو محمد عليه السلام، قال: «نعم قدم على ما أنت عليه، فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك» ^(٢).

وعن أحمد بن محمد، قال: كتبت إلى أبي محمد - العسكري - عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا، فقد بلغني أنه يتهددك ويقول: والله لأجلينهم عن جديد الأرض. فوقع أبو محمد عليه السلام بخطه: «ذاك أقصر لعمره، عدّ من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمر به»، فكان كما قال عليه السلام ^(٣).

٣. من مناظراته عليه السلام

كانت للإمام العسكري عليه السلام أكثر من مناظرة يظهر منها علومه عليه السلام:

منها ما ورد عن أبي يعقوب وأبي الحسن أيضاً، أنّهما قالوا: حضرنا عند الحسن بن علي أبي القائم. فقال له بعض أصحابه: جاءني رجل من إخواننا الشيعة قد امتحن بجهال العامة، يمتحنونه في الإمامة ويحلفونه، فكيف يصنع حتى يتخلص منهم. فقلت له: كيف يقولون؟

قال: يقولون: أتقول أن فلاناً هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا بد لي أن أقول (نعم)، وإلاّ أثنخوني ضرباً.

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٣٩

(٢) الثاقب في المناقب: ص ٥٦٤.

(٣) الكافي: ج ١/ ص ٥١٠.

فإذا قلت: (نعم)، قالوا لي: قل: (والله). فقلت لهم: (نعم) وأريد به نعماً من الأنعام، الإبل والبقر والغنم.

قلت: فإذا قالوا: والله فقل ولى أي ولى تريد عن أمر كذا، فإنهم لا يميزون وقد سلمت.

فقال لي: فإن حَقَّقُوا عَلَيَّ فقالوا قل: (والله) وبين الهاء.

فقلت: قل والله برفع الهاء، فإنه لا يكون يمينا إذا لم يخفض. فذهب ثم رجع إليَّ فقال: عرضوا عليَّ وحلفوني، فقلت كما لقتني.

فقال له الحسن (عليه السلام): "أنت كما قال رسول الله ﷺ: الدال على الخير كفاعله. لقد كتب الله لصاحبك بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا ومواليها ومحبينا حسنة، وبعدد من ترك التقية منهم حسنة، أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت، ولك بإرشادك إياه مثل ما له" (١).

* قال أبو هاشم: سأله محمد بن صالح الأرمني عن قوله تعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (٢)؟.

فقال: «هل يمحو إلا ما كان، وهل يثبت إلا ما لم يكن».

فقلت في نفسي: هذا خلاف قول هشام بن الحكم: إنه لا يعلم بالشيء حتى يكون، فنظر إليَّ فقال: «تعالى الجبار الحاكم العالم بالأشياء قبل كونها». قلت: أشهد أنك حجة الله (٣).

* وقال أبو هاشم: كنت عند أبي محمد - العسكري - (عليه السلام)، فسألته عن قول الله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله) (٤)؟. فقال (عليه السلام): "كلهم من آل محمد (عليه السلام)، الظالم لنفسه الذي لا يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات بإذن الله الإمام".

قال: فدمعت عيناى وجعلت أفكر في نفسي عظم ما أعطى الله آل محمد (عليه السلام)، فنظر (عليه السلام) إليَّ وقال: «الأمر أعظم مما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد (عليه السلام)، فاحمد الله فقد جعلك متمسكاً بجلهم، تدعى يوم القيامة بهم إذا دُعي كل أناس بإمامهم، فأبشر يا أبا هاشم فإنك على خير» (٥).

(١) الاحتجاج: ج ٢ / ص ٤٦٠.

(٢) سورة الرعد: ٣٩.

(٣) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٦٨٧-٦٨٨.

(٤) سورة فاطر: ٣٢.

(٥) الثاقب في المناقب: ص ٥٦٦.

٤ . التصدي للمنحرفين:

بالرغم أن الحكام في عهد الأئمة عليهم السلام كانوا يضيقون عليهم ويحولون دون ممارستهم دورهم المبارك، إلا أنهم عليهم السلام كانوا يؤدون دورهم كما أمرهم الله تعالى وبأحسن وجه، فلا يتركون الأمة سدى من غير توجيه، خاصة في الظروف الحرجة التي تكون الأمة فيها بحاجة إلى من يوجهها.

وفي عهد الإمام العسكري عليه السلام هناك أكثر من حادثة تكشف عن وقوفه إلى جنب الأمة، وتصديه لأهل الضلال رغم ظروفه الصعبة. ففي الخبر عن أبي القاسم الكوفي أن إسحاق الكندي - كان فيلسوف العراق في زمانه - أخذ في تأليف (تناقض القرآن)، وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله، وأن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

فقال له أبو محمد عليه السلام: "أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله القرآن!".

فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره.

فقال له أبو محمد عليه السلام: "أتؤدي إليه ما ألقىه إليك؟".

قال: نعم.

قال عليه السلام: "فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل: قد حضرني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك فقل له: إن أذاك هذا المتكلم بهذا القرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟".

فإنه سيقول لك إنه من الجائز؛ لأنّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه".

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة فقال له: أعد عليّ. فأعاد عليه، فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر.

فقال: أقسمت عليك إلا أخبرني من أين لك؟

فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك.

فقال: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟

فقال: أمرني به أبو محمد - العسكري عليه السلام..

فقال: الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت.

ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه^(١).

* وعن علي بن الحسن بن سabor، قال: كان في زمن الحسن الأخير عليه السلام قحط، فخرجوا للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يمطر عليهم. قال - فخرج يوم الرابع بالجاثليق مع النصاري فسقوا. فخرج المسلمون يوم الخامس فلم يمطروا، فشك الناس في دينهم.

فأخرج المتوكل الحسن عليه السلام من الحبس وقال: أدرك دين جدك يا أبا محمد. فلما خرجت النصاري ورفع الراهب يده إلى السماء، قال أبو محمد عليه السلام لبعض غلمانه: «خذ من يده اليمنى ما فيها»، فلما أخذه كان عظماً أسود.

ثم قال: «استسقى الآن».

فاستسقى فلم يمطر وأصحت السماء، فسأل المتوكل عن العظم.

قال: «لعله أخذ من قبر نبي، ولا يكشف عظم نبي إلا ليمطر^(٢)».

٥. حل مشاكل الرعية:

فمن عادة الناس في الشدائد والرزايا يلوذون إلى كهف الوري وسادة الأنام، الذين عودوهم بحل مشاكلهم، واللطف بهم في الشدائد حتى صاروا مضرب المثل في ذلك.

وفي عهد الإمام العسكري عليه السلام كان الناس يطرقون بابه في حوائجهم ومشاكلهم ويعودون بحوائج مقضية وهموم مكشوفة، حتى ألد أعدائه كالعباسيين فهم في الشدائد كانوا يتوسلون به عليه السلام.

نقل أبو هاشم قال: سأله الفهفكي ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً وتأخذ الرجل القوي سهمين؟! س

قال عليه السلام: "لأن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا عليها معقلة، إنَّما ذلك على الرجال".

فقلت في نفسي: قد كان قيل لي: إن ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب.

فأقبل عليه السلام فقال: «نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء، والجواب منا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً، جرى لآخرنا ما جرى لأولنا، وأولنا وآخرنا في العلم والأمر سواء، ولرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام فضلها^(٣)».

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤ / ص ٤٢٥.

(٣) الخرائج والجرائح: ج ٢ / ص ٦٨٥.

أسير السجون

إنَّ الإمام العسكري عليه السلام سجن أكثر من مرة وعلى يد أكثر من حاكم ظالم من بني العباس، فبعد شهادة أبيه الإمام الهادي عليه السلام سجن في بغداد على يد الحرس الأتراك، وما لبث مدة حتى أطلق سراحه وعاد إلى سامراء. وسجن مرة أخرى في الكوفة بأمر من المعتز العباسي، وتسرب خبر سجنه إلى الناس، وكتبه أبو الهيثم بكتاب جاء فيه: بلغنا خبر أقلقنا... فكتب عليه السلام إليه: «بعد ثلاث يأتيكم الفرج»، فقتل المعتز في اليوم الثالث^(١). وذات مرة حُبس الإمام عليه السلام عند علي بن نارمش - وهو من أنصب الناس وأشدّهم على آل أبي طالب - وقيل له: افعل به وافعل. فما أقام عنده عليه السلام إلا يوماً حتى وضع خديه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظماً، فخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم فيه قولاً^(٢).

وسجن عليه السلام أيضاً هو وأبو هاشم الجعفري في حبس المهدي بن الواثق العباسي وإلى ذلك يشير أبو هاشم قائلاً: (كنت محبوساً مع أبي محمد عليه السلام في حبس المهدي بن الواثق... فلما أصبحنا شغب الأتراك على المهدي فقتلوه... وسلّمنا الله)^(٣).

وعن بعض المؤرخين: إنَّ الإمام عليه السلام حبس في الحبس الذي في الجوسق عند صالح بن وصيف ومعه خمسة أو ستة، وذكروا أنَّ صالحاً وكلَّ به رجلين من أشر الناس، فصارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقال لهما صالح في ذلك؟! فقالا: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّ، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة^(٤).

وفي بعض التواريخ أنَّ الإمام العسكري عليه السلام سجن في دار تحرير، في أيام ملك المعتمد، وكان تحرير يضيّق عليه ويؤذيه^(٥)، كما أنه عليه السلام سجن مع عدة من الطالبين في سنة ٢٥٨ هـ^(٦).

وفي بعض الأخبار: إنَّ المعتمد العباسي حين حبس الإمام عليه السلام عند علي بن جرير حبس جعفر أخاه معه، وكان المعتمد يسأل علياً عن أخباره في كل وقت فيخبره أنه يصوم النهار، ويصلي الليل.

فسأله يوماً من الأيام عن خبره عليه السلام فأخبره بمثل ذلك. فقال له: امض الساعة إليه واقرئه مني السلام، وقل له: انصرف إلى منزلك مصاحباً. قال علي بن جرير: فجئت إلى باب الحبس فوجدت حماراً مسرجاً، فدخلت

(١) الخرائج والجرائح: ج ١ / ص ٤٥١

(٢) الكافي: ج ١ / ص ٥٠٨.

(٣) الغيبة للطوسي: ص ٢٠٥.

(٤) روضة الواعظين: ج ١ ص ٢٤٨-٢٤٩

(٥) الكافي: ج ١ / ص ٥١٣.

(٦) إعلام الوري: ص ٣٧٣.

عليه عليه السلام فوجدته جالساً وقد لبس خفّه وطيلسانه وشاشته، فلما رأيته نهض، فأدبت إليه الرسالة فركب.

فلما استوى على الحمار وقف فقلت له: ما وقوفك يا سيدي؟

فقال لي: «حتى يجيء جعفر».

فقلت: إنّما أمرني بإطلاقك دونه.

فقال لي: «ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعاً فإذا رجعت وليس هو معي كان في ذلك ما لا

خفاء به عليك».

فمضى وعاد، فقال له: يقول لك: قد أطلقت جعفرًا لك؛ لأنّي حبسته بجنايته على نفسه وعليك، وما يتكلم

به. وخلي سبيله فصار معه إلى داره^(١).

ولا يخفى أنّه ذكرنا في بعض كتبنا أنّ جعفرًا هذا كان صالحاً، ولم يصح ما نسب إليه من مخالفته لأخيه الإمام

العسكري عليه السلام، بل كان معتقداً بإمامته وإمامة الإمام المهدي عليه السلام.

وهكذا كان الإمام العسكري عليه السلام يسجن بين الفترة والأخرى على يد الظلام علّهم يمنعونهم من القيام

بأعباء الإمامة، أو يتخلّى الناس عنه. ولكنهم لم يعرفوا أن إرادة الرب فوق كل شيء، حيث أبى الله تعالى إلا أن

يتم نوره وجعل أفئدة الناس يوماً بعد الآخر تهوي إليهم عليهم السلام.

مكاتبات

بأنّ الإمام العسكري عليه السلام قضى كثيراً من عمره الشريف في السجون، أو تحت مضايقات السلطات ومراقبتهم

الطويلة، لذا لم يكن بإمكان كثير من الشيعة التشرف بمحضره والاستفادة منه مباشرة. وكان الإمام عليه السلام يتواصل

مع بعض الشيعة من خلال المكاتبات، منها:

١. ما يرتبط بالعقائد: مثل ما ورد عن سهل بن زياد، قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين

ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة، فإن

رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك.

فوقع عليه السلام بخطه: «سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد ولم يولد،

ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، ويصور ما

يشاء وليس بمصور، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتعالى عن أن يكون له شبيه، هو لا غيره ليس كمثله شيء،

(١) بحار الأنوار: ج ٥٠ / ص ٣١٤.

وهو السمع البصير^(١)».

وسئل عليه السلام: هل رأى رسول الله ﷺ ربه؟

فوقع عليه السلام: "إنَّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمتة ما أحب"^(٢).

٢. ما يرتبط بالمناقب: كما ورد عنه عليه السلام كتابه التالي:

"قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا سبع طبقات أعلام الفتوى بالهداية، فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى وطعان العدى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والخوض في الآجل، وأسباطنا حلفاء الدين وخلفاء النبيين ومصايح الأُمم ومفاتيح الكرم.

فالكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزاكية صاروا لنا رداءً وصوناً، وعلى الظلمة إلباً وعوناً، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتمام آل حم وطه والطواسين من السنين"^(٣).

٣. ما يرتبط بالدعاء: كتب عليه السلام إلى بعض مواليه: «ادع بهذا الدعاء: يا أسمع السامعين، ويا أبصر المبصرين، ويا أنظر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صلّ على محمد وآل محمد، وأوسع لي في رزقي، ومُدّ لي في عمري، وامنن عليّ برحمتك، واجعلني ممّن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل به غيري».

قال أبو هاشم: فقلت في نفسي: اللهم اجعلني في حزبك وفي زمرك، فأقبل عليّ أبو محمد عليه السلام، فقال: "أنت في حزبه وفي زمرته، إذ كنت بالله مؤمناً ورسوله مصداً وبأوليائه عارفاً ولهم تابعاً، فأبشر ثم أبشر"^(٤).

٤. ما يرتبط بالوصايا العامة: كتب عليه السلام لعلي بن الحسين القمي يوصيه فيها بانتظار الفرج، فقال عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والجنة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين. أما بعد: أوصيك يا شيخني ومعتدي وفقه أبي الحسن علي بن الحسين القمي - وفقك الله لمرضاته، وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته - بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ فإنه لا تُقبل الصلاة من مانع الزكاة.

(١) الكافي: ج ١ / ص ١٠٣

(٢) المصدر نفسه: ج ١ / ص ٩٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٦ / ص ٢٦٤-٢٦٥.

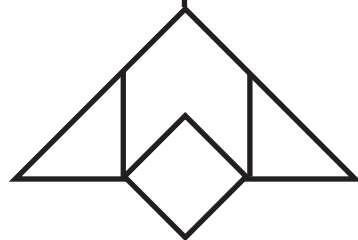
(٤) كشف الغمة: ج ٢ / ص ٤٢١.

وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)^(١)، واجتناب الفواحش كلها. وعليك بصلاة الليل؛ فإنَّ النبي ﷺ أوصى علياً عليه السلام فقال: يا علي، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخف بصلاة الليل فليس منا، فاعمل بوصيتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتى يعملوا عليه. وعليك بالصبر وانتظار الفرج؛ فإنَّ النبي ﷺ قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي ﷺ أَنَّهُ يَمْلَأُ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فاصبر يا شيخي ومعتدي أبا الحسن، وأمر جميع شيعتي بالصبر، ف(إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)^(٢)، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير^(٣)».

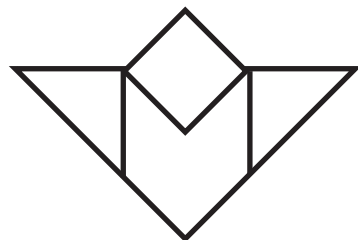
(١) سورة النساء: ١١٤.

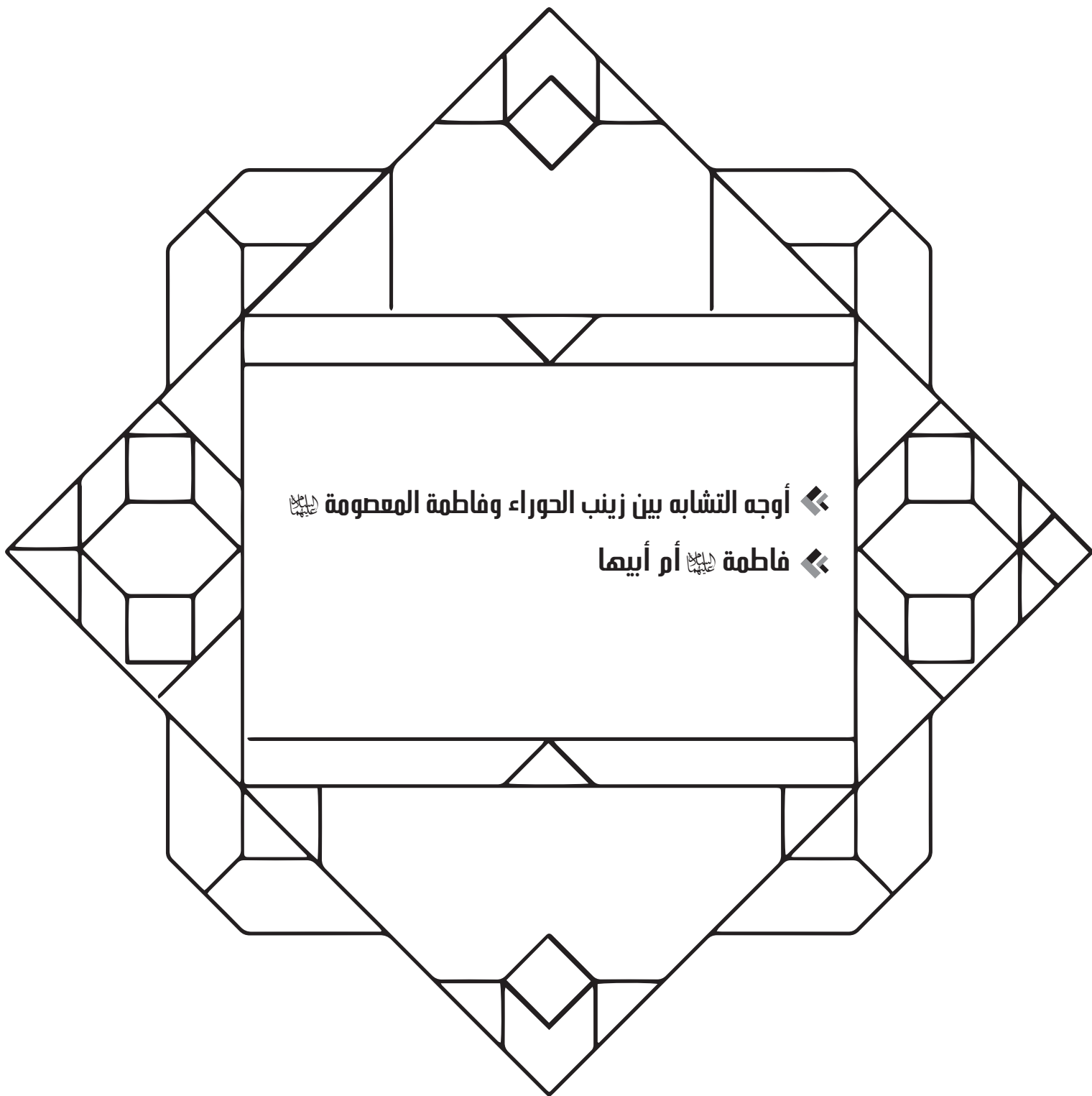
(٢) سورة الأعراف: ١٢٨.

(٣) الأنوار البهية للشيخ عباس القمي - رحمه الله -: ص ٣١٩-٣٢٠.



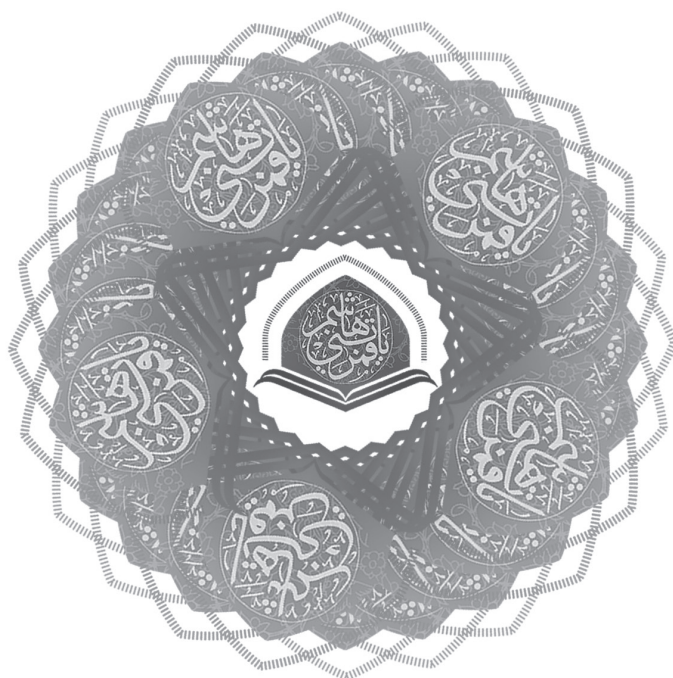
شهر جمادی الاولی





أوجه التشابه بين زينب الحوراء وفاطمة المعصومة 

فاطمة  أم أيها



أوجه التشابه بين زينب الحوراء وفاطمة المعصومة عليها السلام

ابتسام الموسوي

كما نعلم فإنَّ الأئمة المعصومين عليهم السلام كانت لهم أخوات كثيرات فلماذا حظيت السيدة زينب الكبرى أخت الإمام الحسين عليه السلام والسيدة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام من بين الجميع بهذا الاهتمام، ولعلَّ عوامل هذا الاهتمام معرفتهما بإمام زمانهما، والتقوى، والإخلاص والتضحية غير المحدودة في سبيل الله -تعالى-. وهناك أوجه للتشابه بين السيدتين الجليلتين، ومن أوجه الشبه بينهما عليهما السلام:

أولاً: النسب: فكلاهما قد ولدتا من الأصلاب الشاخصة، والأرحام الطاهرة، لم تنجسهما الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسهما من مدلهيات ثيابها ولدتا لأبوين طاهرين، ومما لا شك فيه فإنَّ عوامل الوراثة والبيئة هذه التي توفرت لكليهما عليهما السلام مع ما جعل الله -تعالى- لهما من الفضل والكرامة، قد جعلت منهما لا تضاهيهما وليدة أخرى. ففي أجواء هذا البيت ولدتا، وتحت هذه الظلال عاشتا وترعرعتا، وكان طبيعياً أن تؤثر هذه البيئة العائلية عليهما.

ولذلك نجد تركيزاً على هذه الشأنية في زيارتهما عليهما السلام:

روى العلامة المجلسي -رحمه الله- عن بعض كتب الزيارات عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن سعد الأشعري القمي عن الرضا عليه السلام، قال: «قال: يا سعد عندكم لنا قبر، قلت: جعلت فداك قبر فاطمة عليها السلام بنت موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: بلى، من زارها عارفاً بحقها فله الجنة، فإذا أتيت القبر فقم عند رأسها مستقبل القبلة وقل أربعاً وثلاثين مرة الله أكبر وثلاثاً وثلاثين مرة سُبْحَانَ اللَّهِ وثلاثين مرة الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ قل: السَّلَامُ عَلَى آدَمَ صَفْوَةِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَصِيَّ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا سِبْطَيَّ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَسَيِّدَيَّ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ وَفَرَّةَ عَيْنِ النَّاظِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بَاقِرَ

الْعِلْمِ بَعْدَ النَّبِيِّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ الْبَارَّ الْأَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ الطَّاهِرِ الطُّهَرِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا الْمُرْتَضَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ النَّقِيِّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّقِيِّ النَّاصِحَ الْأَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، السَّلَامُ عَلَى الْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نُورِكَ وَسِرِّجِكَ وَوَلِيِّ وَلِيِّكَ وَوَصِيِّ وَصِيِّكَ، وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ فَاطِمَةَ وَخَدِيجَةَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ^(١). فنجد تركيزاً على الأجداد الطاهرين في زيارتهما، وإن كانت لم ترد الزيارة بحق العقيلة زينب عليها السلام ولعل السبب هو محاولة توضيح تاريخ هذه الطاهرة التي فضحت بني أمية وبيّنت جرائمهم، وضيّعت عليهم فرحة النصر العسكري في واقعة كربلاء، ولما ثبت ذلك في حق المعصومة فهو ثابت في حق العقيلة الكبرى عليها السلام.

كما أن كلاهما من بين النبوة والإمامة والتي تجمعها الولاية العظمى، فكلاهما بنت ولي الله، أخت ولي الله، عمّة ولي الله.

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ وَلِيِّ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُخْتَ وَلِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»^(٢).

ثانياً: اشتهرتا بفنائهما في مودة وحبّ أخويهما، فزينب الكبرى اشتهرت بحبّها وولائها للإمام الحسين عليه السلام وفاطمة المعصومة بالإمام الرضا عليه السلام.

فقد اختارت السيدة زينب عليها السلام مرافقة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في طريق مملوء بالتضحية، والفداء في سبيل إحياء الدين والشرعية التي أراد الحكم الأموي طمسها، وساندته وشاركته في جهاده خطوة بخطوة، ولكن دورها الحقيقي بدأ بعد استشهادها؛ فمما لا شك فيه إن حفظ واقعة كربلاء، وبقاء أهدافها، واستمراريتها وقع على أكتاف السيدة زينب ومن معها من السبايا؛ إذ لولاهم لمحي بنو أمية اسم كربلاء من التاريخ، وأنسوا الأجيال واقعتها الأليمة وأهدافها السامية! فمع الخداع والتضليل الديني والإعلامي الذي قام به الأمويون كان لا بُدّ للحسين عليه السلام أن يُفكر في مستقبل نهضته المقدسة، وكيفية حمايتها من تأثير الإعلام المعادي؛ فالأمويون لن يكتفوا بقتله، بل سيلجؤون لتشويه نهضته، وإسقاط شخصيته بمختلف أساليبهم الماكرة.

وكذلك السيدة المعصومة، قال صاحب تاريخ قم: «إنّه لما أتى المأمون بالرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد في سنة ٢٠٠ من الهجرة، خرجت فاطمة عليها السلام أخته تقصده في سنة ٢٠١ هـ فما تلقت كتاب أخيها الرضا

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: ٤٥ / ١١٥، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة: ١٤١٤ هجرية / ج ٩٩ / ص ٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه / ج ٩٩ / ص ٢٦٦.

ﷺ استعدت للسفر نحو خراسان. فخرجت مع قافلة تضم عددًا من إخوتها وأخواتها وأبناء إخوتها، وعندما وصلوا إلى مدينة ساوة الإيرانية تعرّضت القافلة لهجوم، فقتل على إثره إخوتها وأبناء إخوتها فمرضت السيدة فاطمة ﷺ بعد مشاهدتها لهذه المناظر المأساوية والجثث المضرجة بدمائها فأمرت خادمتها بالتوجه بها إلى أرض قم^(١).

وفي رواية أخرى أنّه لما وصل خبر مرضها إلى قم، استقبلها أشرف قم، وتقدمهم موسى بن خزرج، فلما وصل إليها أخذ بزمناقتها، وجرّها إلى منزله وقد أرّخت بعض المصادر المتأخرة ذلك في الثالث والعشرين من ربيع الأول فكانت في دار موسى بن خزرج سبعة عشر يوماً أمضتها بالعبادة والابتغال إلى الله تعالى^(٢).

ثالثاً: الجهاد والصبر: كلّ منهما جاهدت طاغوت زمانها من الأمويين والعبّاسيين، فقد واجهت السيّدة زينب ﷺ الكثير من المصائب منذ طفولتها الأولى، بدءاً من استشهاد جدّها الرسول ﷺ ووالدتها الزهراء ﷺ، وهي لا تزال طفلة صغيرة في الخامسة من عمرها، وصولاً إلى فاجعة كربلاء، وما بينهما وبعدها، كان هناك الكثير الكثير. وعلى الرغم من ذلك، لم نجد السيّدة زينب ﷺ في أيّ موقف من مواقفها التي ينقلها التاريخ، إلّا مؤمنة صابرة محتسبة، قويّة مواجهةً وغير مستكينّة، وأكثر ما تجلّى دورها الكبير، في واقعة كربلاء وما بعدها، حيث تحمّلت مسؤولية إتمام المسيرة التي بدأها أخوها الحسين ﷺ على أكمل وجه، وكيف يكون ذلك، وهي ابنة الخطّ الرسالي الذي حمل راية الدّين، وارتضى بكلّ التضحيات في سبيله.. هي ابنة الإمام عليّ ﷺ الذي كان الإسلام همّه الأوحد، ولو على حساب نفسه، وابنة الزهراء ﷺ العابدة الزاهدة المدافعة عن الحقّ.

إنّ ما واجهته السيّدة زينب ﷺ قد يفوق قدرة الإنسان على الاحتمال، ومع ذلك، احتملته وأكملت الطريق، والسرّ الوحيد في ذلك، هو ذلك الإيمان الصلب الذي لا تزلزله كلّ مصائب الدّنيا، ولا يقدر عليه كلّ الطواغيت، لأنّه يستند إلى الله، والله هو الحقّ، وهو الأكبر والأقوى.. ولعلّ عبارتها أمام ابن زياد عندما سأها: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟، فقالت: «لم أرَ إلّا جميلاً»، يختصر الحكاية كلّها. أما المعصومة ﷺ من توالى الضغوطات عليها من قبل السلطات الجائرة كون انتسابها إلى أطياف جهة؛ جهة العلم والحلم والحكمة، فبطبيعة السلطات الجاهلة والمتجبرة أن تتخوف من النماذج المتنورة بنور محمد وآل محمد ﷺ، ولذلك ما واجه السيدة العظيمة فاطمة المعصومة ﷺ هو عبارة عن تسلط الجائر على عباد الله تعالى وإنزال أشد الظلم عليهم ومحاربة معارضيّه بأساليب ترق عيون السباع أمامها، فإنّها ﷺ صمدت أمام التجبر

(١) ناصر الشريعة، تاريخ قم، محمد حسين، تاريخ قم، د.ت، ١٣٨٣ ش، ص ١٦٣.

(٢) القمي، عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٢ هـ، ج ٢، ص ٣٧٩.

وصبرت صبراً عظيماً على ذلك.

رابعاً: العلم والفهم: فكلاهما بحمد الله عالمة غير معلّمة، وفاهمة غير مفهّمة، وقد ظهر هذا العلم من السيدة زينب (عليها السلام) من خلال حياتها اليومية أيام أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) (١). عندما كانت تعقد الدروس في تفسير القرآن، وتوضح المسائل الفقهية والعقائدية أو من خلال حياتها الجهادية التي طرحت الكثير من العلوم من خلال خطبها أمام الطغاة والمنحرفين والجلادين من بني أمية وأتباعهم المرتزقة كعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن.

فقد أظهرت العقائد الحقّة وبيّنت طريق الله القويم ومن يمثله وطريق الشيطان ومن يسلكه ومتبنيه وقرأت المستقبل وصرّحت به للأجيال وضربت به وجه يزيد بن معاوية عندما قالت له: « كَذَّبَكَ وَاجْهَدْ جُهْدَكَ! فَوَ الَّذِي شَرَفْنَا بِالْوَحْيِ وَالْكِتَابِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْإِنْتِجَابِ لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا وَلَا تَبْلُغُ غَايَتَنَا. وَلَا تَمُحُو ذِكْرَنَا وَلَا تَرَحُصْ عَنْكَ عَارَنَا. وَهَلْ رَأَيْتَ إِلَّا فَنَدًى وَأَيَّامَكَ إِلَّا عَدَدًى وَجَمْعَكَ إِلَّا بَدَدًى يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي أَلَا لِعَنِ الظَّالِمِ الْعَادِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ لَأَوْلِيائِهِ بِالسَّعَادَةِ وَخَتَمَ لَأَوْصِيَائِهِ بِبُلُوغِ الْإِرَادَةِ نَقَلَهُمْ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ وَلَمْ يَشَقِّ بِهِمْ غَيْرَكَ وَلَا ابْتَلَى بِهِمْ سِوَاكَ وَنَسَّأَهُ أَنْ يُكْمَلَ لَهُمُ الْأَجْرُ وَيُجْزَلَ لَهُمُ الثَّوَابُ وَالذُّخْرُ وَنَسَّأَهُ حُسْنَ الْخِلَافَةِ وَجَمِيلَ الْإِنَابَةِ إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ » (٢).

وأما جوابها لعبيد الله بن زياد فقد روى السيّد ابن طاووس أنّ ابن زياد جلس في القصر للناس وأذن إذناً عاماً، وجيء برأس الحسين (عليه السلام) فوضع بين يديه، وأدخل نساء الحسين وصبيانهم إليه، فجلست زينب بنت علي (عليها السلام) مُتَنَكِّرةً فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ: هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَأَكْذَبَ أَحْدُوْتَكُمْ فَقَالَتْ: إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ، وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا .

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: كَيْفَ رَأَيْتِ صُنَعَ اللَّهِ بِأَخِيكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلاً، هُوَ لَاءِ قَوْمٍ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَّجَمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتُحَاجُّ وَتُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ تَكِلْتِكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ مَرْجَانَةٍ .

قَالَ: فَغَضِبَ وَكَانَهُ هَمَّ بِهَا.

فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ: إِنَّمَا امْرَأَةٌ، وَالْمَرْأَةُ لَا تُؤَاخِذُ بِشَيْءٍ مِنْ مَنْطِقِهَا .

(١) ذبيح الله محلاتي، رياحين الشريعة، طهران، دار الكتب الإسلامية، د.ت، ص ٥٧.

(٢) السيد ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف، ص ١٨١.

فَقَالَ لَهَا ابْنُ زِيَادٍ: لَقَدْ شَفَى اللَّهُ قَلْبِي مِنْ طَاغِيَتِكَ الْحُسَيْنِ وَالْعَصَاةِ الْمُرْدَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ .
 فَقَالَتْ: لَعَمْرِي لَقَدْ قَتَلْتَ كَهْلِي، وَقَطَعْتَ فَرْعِي، وَاجْتَثْتَ أَصْلِي، فَإِنْ كَانَ هَذَا شِفَاءَكَ فَقَدْ اشْتَقَيْتَ .
 فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: هَذِهِ سَجَاعَةٌ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُوكَ سَجَاعاً شَاعِراً .
 فَقَالَتْ: يَا ابْنَ زِيَادٍ مَا لِلْمَرْأَةِ وَالسَّجَاعَةِ^(١) .

وقد هاجمت الصديقة الصغرى (ع) يزيد وهو جالس على عرشه يحيط به قادة جيوشه ووزرائه وكبار شخصيات الدولة بالإضافة الى ممثلي الدول المجاورة في ذلك الزمان وألبسته الخزي والعار في الدنيا والآخرة وانتزعت من بين يديه الانتصار وجعلته يعيش الهزيمة والخذلان في الدنيا والآخرة، وبيّنت له وجميع من حضر مجلس الطاغية من بني أمية وباقي العرب ومن يرتبط بهم من شخصيات أن طريق الحق لا يمكن الانتصار عليه بل هو المنتصر في كل الأوقات والمناسبات وما نصر حزب الشيطان إلا أضغاث أحلام يرسمها لهم الشيطان. حيث أطلقت الصرخة العلوية الفاطمية في مجلس الطاغية كأنها أمها الزهراء (ع) حيث قالت: "أُظْنَنْتَ يَا يَزِيدُ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَصَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقًا فِي قِطَارٍ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ، أَنْ بَنَّا مِنَ اللَّهِ هَوَانًا وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةٌ وَامْتِنَانٌ؟؟ وَأَنْ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ وَجَلَالَةِ قَدْرِكَ؟؟ فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ فِي عِطْفٍ، تَضْرِبُ أَصْدْرِيكَ فَرِحًا وَتَنْفُضُ مَدْرَوِيكَ مَرِحًا حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً وَالْأُمُورَ لَدَيْكَ مُتَسِّقَةً وَحِينَ صَفِي لَكَ مُلْكُنَا وَخَلَصَ لَكَ سُلْطَانُنَا .
 فَمَهْلًا مَهْلًا لَا تَطُشْ جَهْلًا! أَنْسَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ:

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يُمْلِي هُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)
 أَمِنْ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلُقَاءِ تَحْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَسَوْقَكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا؟؟ قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ وَأَبْدَيْتَ
 وَجُوهَهُنَّ يَحْدُوهُنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمُنَاقِلِ وَيَبْرُزْنَ لِأَهْلِ الْمُنَاهِلِ وَيَتَصَفَّحْنَ وَجُوهَهُنَّ
 الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَالْغَائِبُ وَالشَّهِيدُ وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ وَالْدَنِي وَالرَّفِيعُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ وَلَا مِنْ
 مُحَامَتِهِنَّ حَمِيمٌ، عَتَوْا مِنْكَ عَلَى اللَّهِ وَجُحُودًا لِرَسُولِ اللَّهِ وَدَفْعًا لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا غَرَوَ مِنْكَ وَلَا عَجَبَ مِنْ
 فِعْلِكَ.

وَأَنَّى يُرْتَحَى مُرَاقِبُهُ مِنْ لَفْظِ قَوْلِهِ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السَّعْدَاءِ وَنَصَبَ الْحَرْبِ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ
 وَجَمَعَ الْأَحْزَابَ وَشَهَرَ الْحِرَابَ وَهَزَّ السُّيُوفَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ أَشَدَّ الْعَرَبِ لِهَاجِرِ اللَّهِ جُحُودًا وَأَنْكَرُهُمْ لَهُ رَسُولًا
 وَأَظْهَرُهُمْ لَهُ عَدُوًّا وَأَعْتَائَهُمْ عَلَى الرَّبِّ كُفْرًا وَطُغْيَانًا.

(١) بحار الأنوار / ج ٤٥ / ص ١١٥ .

أَلَا إِنَّهَا تَنِيحُهُ خِلَالِ الْكُفْرِ، وَضَبَّ يُجْرِجُرِي الصَّدْرَ لِقَتْلَى يَوْمِ بَدْرٍ! فَلَا يَسْتَبْطِئُ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ
كَانَ نَظَرُهُ إِلَيْنَا شَنَاءًا وَشَنَانًا وَأَحْنًا وَضَغْنًا يُظْهِرُ كُفْرَهُ بِرَسُولِهِ وَيُفْصِحُ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ فَرِحًا بِقَتْلِ وَلَدِهِ
وَسَبِي ذُرِّيَّتِهِ غَيْرَ مُتَحَوِّبٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ:

وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلَّ لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرِحًا

مُتَّحِيًا عَلَى ثَنَائِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَ مُقْبَلُ رَسُولِ اللَّهِ ص يَنْكُتُهَا بِمُخَصَّرَتِهِ، قَدْ التَّمَعَ السُّرُورُ بِوَجْهِهِ! لَعَمْرِي
لَقَدْ نَكَاتَ الْفُرْحَةَ وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةُ بِإِرَاقَتِكَ دَمَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَابْنِ يَعْسُوبِ الْعَرَبِ وَشَمْسِ آلِ
عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَهَتَفَتْ بِأَشْيَاخِكَ وَتَقَرَّبَتْ بِدَمِهِ إِلَى الْكُفْرَةِ مِنْ أَسْلَافِكَ ثُمَّ صَرَخَتْ بِنَدَائِكَ وَلَعَمْرِي قَدْ نَادَيْتَهُمْ
لَوْ شَهِدُوكَ وَوَشِيكَأ تَشْهَدُهُمْ وَيَشْهَدُوكَ، وَلَتَوَدُّ بِمِينِكَ كَمَا زَعَمْتَ شُلْتُ بِكَ عَنْ مَرْفَقِهَا، وَأَحْبَبْتَ أُمَّكَ لَمْ
تَحْمِلْكَ وَأَبَاكَ لَمْ يَلِدْكَ، حِينَ تَصِيرُ إِلَى سَخَطِ اللَّهِ، وَتُحَاصِمُكَ وَتُحَاصِمُ أَيْبِكَ رَسُولَ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا وَانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا، وَنَقَصَ دِمَامَنَا وَقَتَلَ حُمَاتَنَا وَهَتَكَ عَنَّا
سُدُولَنَا، وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَمَا فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَمَا جَزَيْتَ إِلَّا لَحْمَكَ، وَسَرَدْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِمَا
تَحَمَّلْتَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ وَسَفَكْتَ مِنْ دِمَائِ عِزَّتِهِ وَلَحْمَتِهِ، حَيْثُ يَجْمَعُ بِهِ شَمْلُهُمْ وَيَلُمُّ بِهِ شَعْنُهُمْ
وَيَنْتَقِمُ مِنْ ظَالِمِهِمْ وَيَأْخُذُ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ^(١).

وأما المعصومة (عليها السلام) دل على مكانتها العلمية ما ورد في بعض الوثائق التاريخية من أن جماعة من الشيعة
قصدوا المدينة يريدون الإجابة عن بعض الأسئلة التي كانت معهم، وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) مسافراً خارج
المدينة، فتصدت السيدة فاطمة (عليها السلام) للإجابة، وكتبت لهم جواب أسألتهم. وفي طريق رجوعهم من المدينة التقوا
بالإمام (عليه السلام)، فعرضوا عليه الإجابات، وعندما أطلع الإمام (عليه السلام) على جوابها قال ثلاث مرات: «فداها أبوها»^(٢).
رابعاً: إنَّ الحوراء (عليها السلام) روَّعت، وكذلك مولاتنا المعصومة روَّعت في طريقها إلى أخيها، ولا يفوتني أن أذكر
هنا بعض مقاطع الزيارة المفجعة:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ ظَهَرَتْ مَحَبَّتُهَا لِلْحُسَيْنِ الْمُظْلُومِ فِي مَوَارِدَ عَدِيدَةٍ وَتَحَمَّلَتْ الْمَصَائِبَ الْمُحْرِقَةَ
لِلْقُلُوبِ مَعَ تَحْمَلَاتٍ شَدِيدَةٍ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ حَفِظْتَ الْإِمَامَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءٍ فِي قَتْلِهِ وَبَذَلْتَ نَفْسَهَا فِي
نَجَاةِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَجْلِسِ أَشَقَى الْأَشْقِيَاءِ وَنَطَقَتْ كُنُطُقٍ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سِكَكِ الْكُوفَةِ

(١) بحار الأنوار / ج ٤٥ / ص ١٥٩.

(٢) مهدي بور، كربمة أهل البيت، قم، ط ١، ١٣٧٤ ش. ص ٦٣ و ٦٤.

وَحَوْلَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْدَاءِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ نَطَحَتْ جَبِينَهَا بِمُقَدِّمِ الْمُحْمِلِ إِذْ رَأَتْ رَأْسَ الشُّهَدَاءِ وَيَخْرُجُ الدَّمُ مِنْ تَحْتِ قِنَاعِهَا وَ مِنْ مَحْمِلِهَا بِحَيْثُ يَرَى مِنْ حَوْلِهَا الْأَعْدَاءِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَالِيِ الْمُعْصُومِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُتَّحِنَةً فِي تَحْمَلَاتِ الْمَصَائِبِ كَالْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ وَ رَحْمَةً اللهُ وَ بَرَكَاتُهُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْبَعِيدَةُ الْمُتَحَيِّرَةُ فِي خَرَابَةِ الشَّامِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُتَحَيِّرَةُ فِي وَقُوفِكَ عَلَى جَسَدِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ وَ خَاطَبَتِ جَدَّكَ رَسُولَ اللهِ بِهَذَا النَّدَاءِ: صَلَّى عَلَيْكَ مَلِيكَ السَّمَاءِ، هَذَا حُسَيْنٌ بِالْعِرَاءِ مَسْلُوبُ الْعِمَامَةِ وَ الرِّدَاءِ مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ وَ بَنَاتُكَ سَبَايَا وَ إِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى، وَ قُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا حُسَيْنٌ تُسْفِي عَلَيْهِ رِيحَ الصَّبَا، مُجْدُوذُ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفَى، قَتِيلُ أَوْلَادِ الْبَغَايَا، وَاحْزَنَاهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ. السَّلَامُ عَلَى مَنْ تَهَيَّجَ قَلْبُهَا لِلْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الْعُرْيَانِ الْمُطْرُوحِ عَلَى الثَّرَى، وَ قَالَتْ بِصَوْتِ حَزِينٍ: بِأَبِي مَنْ نَفْسِي لَهُ الْفِدَاءِ، بِأَبِي الْمُهْمُومِ حَتَّى قَضَى، بِأَبِي الْعَطْشَانِ حَتَّى مَضَى، بِأَبِي مَنْ شَيْئُهُ تَقَطَّرَ بِالدِّمَاءِ. السَّلَامُ عَلَى مَنْ بَكَتْ عَلَى جَسَدِ أَخِيهَا بَيْنَ الْقَتْلِ حَتَّى بَكَى لُبَاكِئِهَا كُلُّ عَدُوٍّ وَ صَدِيقٍ، وَ رَأَى النَّاسُ دُمُوعَ الْخَيْلِ تَنْحَدِرُ عَلَى حَوَافِرِهَا عَلَى التَّحْقِيقِ. السَّلَامُ عَلَى مَنْ تَكَلَّفَتْ وَ جَمَعَتْ فِي عَصْرِ عَاشُورَاءِ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ وَ أَطْفَالِ الْحُسَيْنِ، وَ قَامَتْ لَهَا الْفِيَامَةُ فِي شَهَادَةِ الطِّفْلِينِ الْغَرِيْبَيْنِ الْمَظْلُومَيْنِ. السَّلَامُ عَلَى مَنْ لَمْ تَنْمَ عَيْنُهَا لِأَجْلِ حِرَاسَةِ آلِ اللهِ فِي طَفٍّ نَيْنَوَى، وَ سَارَتْ أَسِيرَةً بَيْنَ الْأَعْدَاءِ. السَّلَامُ عَلَى مَنْ رَكِبَتْ بَعِيرًا بَغِيرَ وَطَاءٍ وَ نَادَتْ أَخِيهَا أَبَا الْفَضْلِ بِهَذَا النَّدَاءِ: أَخِي أَبَا الْفَضْلِ أَنْتَ الَّذِي رَكَبْتَنِي إِذَا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ. السَّلَامُ عَلَى مَنْ خَطَبَتْ فِي مِيدَانِ الْكُوفَةِ بِخُطْبَةٍ نَافِعَةٍ حَتَّى سَكَتَتِ الْأَصْوَاتُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. السَّلَامُ عَلَى مَنْ احْتَجَّتْ فِي مَجْلِسِ ابْنِ زِيَادٍ بِاحْتِجَاجَاتٍ وَاضِحَةٍ وَ قَالَتْ فِي جَوَابِهِ بَيِّنَاتٍ صَادِقَةٍ، إِذْ قَالَ ابْنُ زِيَادٍ لَزَيْبِ سَلَامُ اللهُ عَلَيْهَا: كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللهِ بِأَخِيكَ الْحُسَيْنِ؟ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَسِيرَةً بِيَدِي الْأَعْدَاءِ فِي الْفَلَوَاتِ وَ رَأَيْتِ أَهْلَ الشَّامِ فِي حَالَةِ الْعَيْشِ وَالشُّرُورِ وَنَشْرِ الرَّايَاتِ. السَّلَامُ عَلَى مَنْ شَدَّ الْحَبْلَ عَلَى عَضْدِهَا وَ عُقِيَ الْإِمَامَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ وَ أَدْخَلُوهَا مَعَ سِتَّةِ عَشَرَ نَفَرٍ مِنْ آلِ رَسُولِ اللهِ وَ هُمْ كَالْأَسْرَاءِ مُقَرَّرِينَ بِالْحَدِيدِ مَظْلُومِينَ، وَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَزِيدَ: يَا يَزِيدُ مَا ظَنُّكَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَوْ رَأَانَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ؟ ثُمَّ قَالَتْ أُمُّ الْمَصَائِبِ زَيْنَبُ لَه: ... قَائِلًا (فَأَهْلُوا وَ اسْتَهْلُوا فَرَحًا) (ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ) مُنَحْنِيًا عَلَى تَنَايَا أَبِي عَبْدِ اللهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنَكُّثُهَا بِمُخَصَّرَتِكَ، ثُمَّ قَالَتْ: وَلَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مُخَاطَبْتُكَ وَ إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ وَ أَسْتَغْظِمُ تَقْرِيعَكَ وَ أَسْتَكْبِرُ تَوْبِيخَكَ، لَكِنَّ الْعَيُونَ عَبْرَى وَ الصُّدُورَ حَرَى، أَلَا فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ إِقْدَامِكَ لِقَتْلِ حِزْبِ اللهِ النُّجَبَاءِ بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الطُّلُقَاءِ، وَلَئِنْ اتَّخَذْنَا مَغْنَمًا لَتَجِدْنَا وَشِيكََا مَغْرَمًا حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَمْتَ يَدَاكَ وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ وَ إِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى وَ عَلَيْهِ الْمُعْوَلُ فِي الشَّدَّةِ وَ الرَّخَاءِ، فَكَيْدُ كَيْدِكَ

وَاسْعَ سَعْيِكَ وَنَاصِبَ جَهْدِكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمَحُو ذِكْرَنَا وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنَا وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا وَلَا تَرَحُّصُ عَنْكَ عَارَهَا
وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَنَدٌ وَآيَاكَ إِلَّا عَدَدٌ وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ، يَا يَزِيدُ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) وَحَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِمًا وَبِمُحَمَّدٍ خَصَمًا وَبِجَبْرِيلَ عَدُوًّا. ثُمَّ
قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَتَمَ لَأَوْلَانَا بِالسَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَلَاخِرُنَا بِالشَّهَادَةِ وَالرَّحْمَةِ إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَهُوَ حَسْبُنَا
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ الْأَئِمَّةِ الْمُعْصُومِينَ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.^(١)

خامساً: الشهادة بالسم

يقول السيد محمد كاظم القزويني في كتابه زينب الكبرى: "لقد أهمل التاريخ ذكر سبب وفاتها فهل ماتت
ميتة طبيعية وبسبب المعاناة من تراكم المصائب التي توالى على قلبها الصبور أم أنها قُتلت بسبب السم الذي
قد يكون دس إليها من قبل الطاغية يزيد حيث لا يبعد أن يكون قد تم ذلك بسرّية تامة خفيت عن الناس وعن
التاريخ"^(٢)...

أما السيدة المعصومة عليها السلام فقد ذكر في سبب حصول المرض المفاجئ لها ووفاتها ان امرأة من أهل ساوة قد
دسّت إليها السم، وهذا ليس ببعيد ولا سيما بعد حصول تلك المعركة مما انعكس على المدينة نفسها وما تركته
من آثار وتوترات وحصول جو غير طبيعي في تلك المدينة.

نعم لقد كان سفر المعصومة سنداً وشاهداً قوياً على أحقية إمامة الأئمة عليهم السلام وفضح نفاق المأمون. وكما كانت
بطلة كربلاء قد أوضحت بياناتها مظلومية أخيها فإن المعصومة كان لها دور مماثل في فضح السلطة العباسية.
وقضت الحكمة الإلهية أن يكون مرقد الطاهر مركزاً يخفق فيه علم الولاية والإمامة، وصرخة تدوي في وجه
الظالمين ومصدر إلهام لأتباع التشيع على مدى القرون والأعصار.

ومما يؤيد استشهادها بالسم:

قلّة المصادر التاريخية التي تحدّثت عن حياتها خصوصاً عن ملابسات وفاتها، وهذا ناتج بلا شك من
التعظيم الإعلامي الذي لجأ إليه حكام الجور من بني أمية والعباس لإخفاء تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم،
وهو أسلوب إعلامي منهج في تلميع صورهم وتاريخهم، وإخفاء جرائمهم وطغيانهم، فليس مستبعداً أن
يعمدوا إلى إخفاء سبب وفاة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام الحقيقي، بلجوئهم إلى تصفية فتاة بريئة بالسم في
صورة إنسانية مقبولة، فهي بلا شك صورة تشوه تاريخهم، وتظهر حقيقة صورهم البشعة.

(١) بحار الأنوار/ ج: ٤٥ / ص: ١٣٥ .

(٢) السيد محمد كاظم القزويني في كتابه زينب الكبرى من المهد الى اللحد

كذلك سياسة الاغتيالات السياسية من الأساليب المألوفة التي اعتاد عليها حكام بني أمية والعباس في تصفية معارضيهم من الأئمة الطاهرين كالإمام الحسن والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري عليه السلام، وكذلك خُلص شيعتهم كمالك الأشتر وحجر بن عدي وميثم التمار، وهاني بن عروة وغيرهم.

ومما يؤيد أن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام قُتلت بالسُّم من قبل المأمون العباسي كونه عازماً على تصفية الإمام علي الرضا عليه السلام قبل سفر أخته إلى خراسان، فلا ريب أنه علم بخروجها من المدينة المنورة عن طريق واليه فيها من أجل لقاء أخيها الإمام علي الرضا عليه السلام، فلا يستبعد أنه خطَّط أو أوعز إلى قتلها بالسُّم وهي في طريقها إلى خراسان، لأن وجودها بجانب أخيها قد يعطل أو يؤخر تنفيذ مخطَّطه في تصفية الإمام علي الرضا عليه السلام.

فارقت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام الدنيا بعد أن أمضت ستة عشر يوماً مقيمة في دار موسى بن خنيزج بقم، فغُسِّلت وُكفِّنت ثم قام بدفنها في بستان له يُعرف (بابلان)، وأحاط قبرها وسقفها بحصير الباري المصنوع من القصب، وذلك في العاشر من شهر ربيع الأول لعام ٢٠١ هـ.

سادساً: الشفاعة

فكلما صلوات ربي عليهما من أهل الشفاعة، فقد ورد على لسان الرضا عليه السلام لشقيقته الوحيدة وهو الذي لا ينطق عن الهوي (يا فاطمة اشفعي لي في الجنة).

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « إِنَّ اللَّهَ حَرَمًا وَهُوَ مَكَّةٌ، أَلَا إِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ حَرَمًا وَهُوَ الْمَدِينَةُ، أَلَا وَإِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَمًا وَهُوَ الْكُوفَةُ، أَلَا وَإِنَّ قَمَّ الْكُوفَةِ الصَّغِيرَةَ، أَلَا إِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا إِلَى قَمِّ تُقْبَضُ فِيهَا امْرَأَةٌ مِنْ وَلَدِي اسْمُهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُوسَى، وَتَدْخُلُ بِشَفَاعَتِهَا شِيعَتِي الْجَنَّةَ بِأَجْمَعِهِمْ »^(١).

فقد ورد في شأن السيدة زينب في زيارتها المروية عن كبار العلماء: « أَتَيْتُكَ يَا مَوْلَاتِي وَابْنَتَهُ مَوْلَايَ قَاصِدًا وَافِدًا عَارِفًا بِحَقِّكَ فَكُونِي شَفِيعًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي غُفْرَانِ ذُنُوبِي وَقَضَاءِ حَوَائِجِي وَإِعْطَاءِ سُؤْلِي وَكَشْفِ ضُرِّي، فَإِنَّ لَكَ وَلَآئِيكَ وَلَأَجْدَادِكَ الطَّاهِرِينَ جَاهًا وَشَفَاعَةً عِنْدَ اللَّهِ، وَرَحْمَةً اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ »^(٢).

(١) بحار الأنوار / ٥٧ / ٢٢٨.

(٢) زيارة السيدة زينب عليها السلام.

سابعاً: القبر

قبرهما مزار العشاق والمؤمنين والمؤمنات، زينب في الشام أو في مصر، والمعصومة بقم.
قال الشاعر في مدح قبرها:

يا صاحِ هلاً طُفْتُ بالأحزانِ	في أرضِ سُورِيَةِ هناكِ تفاني
رَمْسٌ لِسَبْطَةِ أَحْمَدٍ عَصَفَتْ بِهِ	هو جاء غادِرَةً وَحَقْدُ جَبَانِ
قَبْرٌ نَسَائِمُهُ الْحُشُودُ تَحَلَّقَتْ	حولَ المزارِ ومُلتَقَى الغُفْرانِ
رائِئُوا إِزَالََةَ صَرَحِهَا مِقْدَامَةً	من عترة الهادي إلى الرضوانِ
حملتْ هُمُومَ الكَوْنِ يَوْمَ اسْتَبْعَدَتْ	عن كربلاء ومَصْرَعِ الشُّجْعانِ
فعلى الثرى المَذْبُوحِ سَيِّدُ أَهْلِهَا	وإمامٌ مِنْهاجِ الهدى الرَبَّانِ
وخليفةُ اللهِ الأَصِيلِ وصِيَّةُ	غالتهُ بُغْضاً زُمُرَةُ الدُّوبانِ
يا صَبَرَ زَيْنَبَ والعِيالُ تُحْمِلُهَا	فَزَعاً مخافةَ قَسْوَةِ الحَوَّانِ
يُؤْذِي بِسُوطِ الحَقْدِ آلَ مُحَمَّدٍ	ويحيفُ بالأطفالِ والنِّسوانِ
نَكلُوا بِعائِلَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	تاللهَ تلكَ شريعةَ النُّكرانِ
قد أوقَفُوا آلَ الرسولِ بِقَصْرِ مَنْ	بَغَضَ النَّبِيَّ وشكَّ بالقرآنِ
وهو الذي سَرَقَ الخِلافةَ دَوْلَةً	غابَ الشريفُ بها وسادَ الجاني
يا صَبَرَ زَيْنَبَ وهي تُبَصِّرُ مِحْنَةً	فابْنُ الجَهالةِ نَشْوَةُ السِّكرانِ
يهوي على رأسِ الحُسَيْنِ بِسُوطِهِ	ثأراً وينكُثُ ثَمَّ بِالأسنانِ
يروى قصيدَ الكافِرِينَ تشفيّاً	ويُعيدُ خِزْيَ حَبائِبِ الاوثانِ
في وقفةِ المَجْدِ الأَبْيَةِ زَيْنَبُ	صَرَختْ بوجهِ الإثمِ والعُدوانِ
مَسَحَتْ بِهِ أرضَ البِلَاطِ هُصُورَةً	فغدا يزيدُ فضيحةَ الأزمانِ
نَسَفَتْ خديعةَ جائِرٍ مُتَغَطِّرسٍ	بثباتِ قولٍ بَلَّ بِبأسِ جَنانِ
فتخلَّدَتْ عَبرَ الدُّهُورِ خَطِيئَةً	واستَ فِدَاءَ السَّبْطِ بالإعلانِ
فهي ابنةُ الهادي النذيرِ	عقيلةٌ هي كربلاءُ وثورةٌ ومعاني
السامريُّونُ اسْتَشْطَاطُوا غَضَبَهُ	لفظُوا فحيحاً ضارماً النيرانِ
حرقوا المساجدَ والقبابَ مَعَالِماً	تهدي العبادَ الى رضا الرحمنِ

قتلوا المروءة والصفاء وخلة
الأكليين من الخيانة مطعماً
قد حاصر وا قَبَرَ العقيلة مَرَقداً
لم يَدِرْ كُوا أَنَّ الضريح رسالة
ذاد الحماة ودافعوا عن قبرها
تلك العقيلة زينب محروسة
فالزينية والخلود تلازم
يا خيبة المتوحش الحُسران^(١)

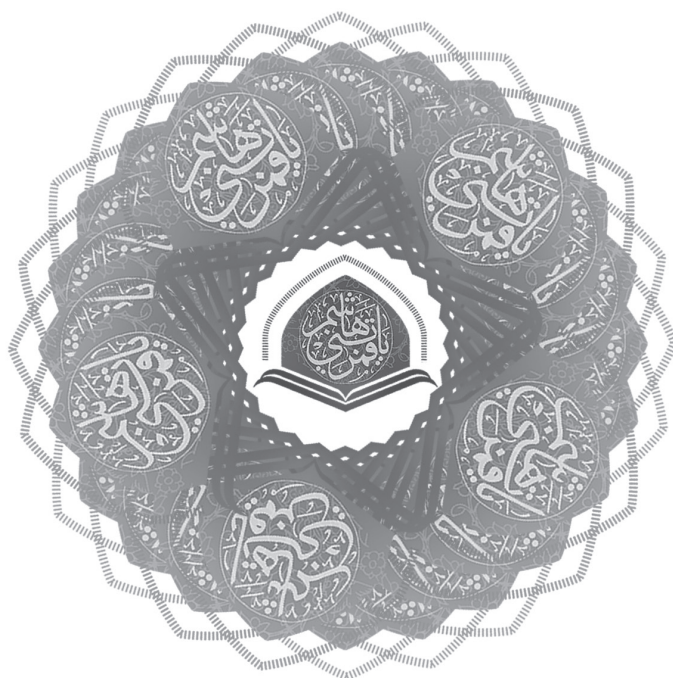
وقال الشاعر في مدح قبر السيدة المعصومة (عليها السلام):

وبمشوى المولى الرضا أرض طوس
ولتباهي بفاطم أرض قم
أصبحت جنة الحياة وتدعى
حوزة العلم في حماها تجلت
قبرها صار موئلاً وملاذاً
والكرامات لا تعد وتحصى
كأبيها باب الحوائج تقضى
عمها المجتبي إمام كريم
وهي تدعى كريمة دون شك
واسمها شاع في الأنام بفخر
شأنها قد سَمى جلالاً وقدر
وحباها حلماً وقلبا صبورا
شأنها شان فاطم بنت طه
فبذي قعدة بأول يوم ولدت
هي أخت الرضا علي بن موسى

قد تعالت مجدا على البحر والبر
ولها الفخر والثناء المكرر
عش آل الرسول في الدهر تذكر
وبالأساطين والمراجع تزخر
وبها كل معسر يتيسر
وبها صفو كل عيش مكدر
عندها كل حاجة تتعسر
وعطاياها لا تحدد وتحصّر
وعلى فضلها الكريمة تُشكر
ولها ينظم المديح وينثر
واجتبأها الإله من عالم الذر
وجميل العقبي لمن قد تصبر
فهى كالنور واضح ليس ينكر
والبشير صاح وبشر
وأبوها الإمام موسى بن جعفر^(٢).

(١) الشاعر حميد حلمي زادة.

(٢) الشيخ محمد باقر الأيرواني.



فاطمة عليها السلام أم أبيها

عدنان الحسيني

اجتهد وثابر وواظب الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله في بيان مقامات وفضل ابنته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان يُظهر هذا الفضل تارة أمام زوجاته وأهل بيته وتارة أخرى أمام الناس، وكل ذلك في سبيل إتمام الحجة على جميع الخلق، وتغطية هذا المفهوم بعباراته على جميع الأمة الإسلامية؛ حتى يعرفوا قدر ابنته الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام، ومن مصاديق الاهتمام الخاص الذي كان يتكرر من جانب النبي المصطفى صلى الله عليه وآله تجاه ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وبصورة مستمرة وعلى مرأى ومسمع من الصحابة وأمّهات المؤمنين هو مناداتها بكنية تسترعي الانتباه الخاص ألا وهي "أمّ أبيها"^(١)..

وكانت هذه العبارات أسلوباً من أساليب الحبيب المصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله وليست هي كل أساليبه صلى الله عليه وآله في بيان فضل ابنته فاطمة فقد كان يبيّن فضلها أحياناً بالسلوك والتصرفات، فقد ورد:

أنّ فاطمة عليها السلام كانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله قام لها من مجلسه، وقبّل رأسها، وأجلسها مجلسه، وإذا جاء إليها لقيته، وقبّل كلّ واحدٍ منهما صاحبه، وجلسا معاً^(٢).

وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله عليه [وآله] أخذ بيدها فقبّلها، ورحّب بها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، ورحّبت به، وأخذت بيده فقبّلتها^(٣).

وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر قبّل نحر فاطمة عليها السلام، فقال: « منها أشمُّ رائحة الجنة »^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « إذا اشتقتُ إلى الجنة قبّلْتُ نحر فاطمة »^(٥).

(١) علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، بيروت - لبنان، الناشر: دار الأضواء، ط ٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. ٢ / ٩٠؛ الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، تحقيق، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، النجف الأشرف، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعها، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

(٢) ذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الشافعي؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١١٣.

(٣) المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ومثله فی سنن الترمذی؛ بشارة المصطفى - محمد بن علي الطبري/ ص ٣٨٩.

(٤) ينابيع المودة للقندوزي البلخي الحنفي؛ شرح إحقاق الحق/ السيد المرعشي/ ج ٢٥ / ص ١٧٨.

(٥) مناقب الصحابة لأبي المظفر السمعاني؛ ذخائر العقبى، ص ٣٦.

أصله. قال الخليل: كل شيء ضم إليه جميع ما يليه يُسمَّى أمًّا، ومنه في أم الكتاب أي اللوح لأن العلم كله منسوب إليه ومتولد عنه. وقيل لمكة أم القرى لأن الدنيا دحيت من تحتها وفتحة الكتاب أمه لأنها مبدؤه. وأم الكتاب في اصطلاح القوم: العقل الأول وقال الحرالي: أم الكتاب، الأصل المقتبس منه الشيء في الروحانيات، والنابت منه أو فيه في الجسمانيات^(١)

ف نجد التوسعة في معنى كلمة الأم حتى أدخلوا من لم تحمل فقط، فلو أن امرأة لم تحمل ولكن دُفع لها وليد فأرضعته وربته عدت أمًّا له.

لأنها اشتركت مع الأم الحقيقية ببعض الخصائص لهذا أدخلت.

ولذلك لما توفيت الوالدة لرسول الله ﷺ كان النبي صغيراً، فكفلته فاطمة بنت أسد ؓ أم أمير المؤمنين ﷺ وخدمته - بإخلاص - غاية الخدمة، وكانت تتعبد الله في ذلك، حتى أنها كانت تقدمه على أبنائها: أمير المؤمنين ﷺ وطالب وعقيل وجعفر، وقد شهد بذلك التاريخ والأثر الصحيح، وكان النبي يخاطبها «أمي»، ولما توفيت قال النبي لعليّ ؓ: «إنها كانت أمي»، فكان النبي ﷺ يناديها وينادي فاطمة الزهراء حباً لهما بـ «أمي» وبذلك كان يتذكر خديجة المطهرة وفاطمة المكرمة التي رعته في طفولته. وكلا الاستعمالين من باب التجوز لا الحقيقة، غير أنه كان يخاطب فاطمة بنت أسد «أمي»، ويخاطب فاطمة الزهراء ؓ بـ «أم أبيها»، وفي الخطاب الأخير احترام وتعظيم وتكريم إضافة إلى إبراز المحبة والوداد. ونجد أيضاً توسع هذا اللفظ فشمل كل ما هو أصل للشيء فإذا أرادوا أن يعبروا عن أصل الشيء قالوا هذا أم الشيء؛ أي أصله؛ وعليه يمكن أن يقال أن مولانا فاطمة ؓ هي أصل شجرة النبوة. إن دين الله الإسلام المحمدي الخاتم منظومة إلهية كاملة محكمة البناء ثابتة ومستمرة الى آخر الزمان. وهذه المنظومة الدينية العقائدية مبنية على أساسين هما: كتاب الله القرآن أولاً، ورسول الله وخلفائه من حجج الله المصطفين من بعده.

ولهذا كان حديث الثقلين: "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتن بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض" ^(٢).

وحتى تجري هذه المنظومة بطريقها النسبي الطبيعي وترتبط بخط الأنبياء والرسل هداية ومنهجاً ونسباً

(١) التوقيف على مهات التعاريف- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحداوي ثم المناوي القاهري- توفي: ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م

(٢) صحيح سنن الترمذي ٣/ ٥٤٢ برقم: ٣٧٨٦؛ صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٣ / دار الفكر بيروت؛ المستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ٣ / ١١٠ - ج ٣ ص ١٤٨.

(ذرية بعضها من بعض)، كان يجب أن يكون نسب خلفاء رسول الله من ولده الذين من صلبه. وحيث جعله الله تعالى من خلال ابنة رسول الله فاطمة الزهراء فقد رجع إليها وراثته تراث رسول الله ﷺ ورسالته ومنها الى عترته وهم أبناء فاطمة الزهراء ﷺ، وهم أيضا يرجعون إليها بالنسب وخط الهداية الإلهي. وحيث نحن قلنا وعرفنا الأم بأنها الأصل ويرجع إليها كل فرع، فإن فاطمة الزهراء ﷺ أصبحت الأصل الذي يرجع إليها فيه تراث ودين الإسلام الخاتم من كلا الطرفين أبيها الرسول الذي احتاجها وبواسطتها كسبب لنقل ووراثته تراثه، وأبنائها العترة الأطهار الذين ورثوا هذا التراث من خلالها، وحتى تكون الزهراء ﷺ أهلا لهذه الوظيفة العظيمة والمقام العالي لأبد من أن تكون أهلاً لها في الجانب العقائدي والروحي فضلاً عن السبي النسبي؛ ولذلك هي من أهل الاصطفاء، بل هي من أعلى مراتبه، وهي أحد مصاديق المطهرين في قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ^(١) (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) ^(٢).

لذلك هي أم أبيها، وأم العترة الأطهار، بل هي أم جميع الأنبياء والرسل؛ لأن كل رسالات وشرائع الأديان ترجع الى الدين الإسلامي الخاتم.

وهذا الرأي هو من أهم الآراء، ويُعدّ من أكثر الوجوه مقبولة.

إن فاطمة هي أصل شجرة النبوة، ومعدنها الأصيل، والأئمة من ذريتها ﷺ «والأغصان تتفرع عن الأصل، وهي ﷺ ذلك الأصل لتلك الشجرة. هذا على وجه وثمة وجه آخر تدل عليه بعض الروايات منها ما روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي ﷺ قال: (شجرة أصلها رسول الله ﷺ وفرعها أمير المؤمنين علي ﷺ، وأغصانها فاطمة بنت محمد وثمرتها الحسن والحسين ﷺ)... (٩) والجمع بين الوجهين هو بأن يقال: إن شجرة النبوة أصلين باعتبارين: الأصل الأول هو النبي ﷺ إذ هو المبدأ لنشوء تلك الشجرة، أي إنّه جذر تلك الشجرة، فإنّ الجذر يطلق عليه أصل. والأصل الثاني هو فاطمة ﷺ كونها منطلقاً لتفرع الشجرة من جهة كونها أمّاً للأئمة، والأم يطلق عليها كذلك أصل. وشجرة النبوة هذه هي شجرة للإمامة كذلك. ولهذا جاء قول الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) ^(٣) لتعطي الحجية على أنّ هذه الشجرة الطيبة هي أصلها الرسول الأعظم ومنها غصنها العظيم هو فاطمة الزهراء ﷺ ولتكمل على رفعة هذه الشجرة وأصلها الطيب والممدود من السماء الى الأرض.

(١) سورة الأحزاب / الآية: ٣٣.

(٢) سورة الواقعة / الآية: ٧٩.

(٣) سورة ابراهيم / الآية: ٢٤.

ومن هنا نستنتج أنَّ هذه الكنية للزهراء رُوحِي له الفداء هي كنية عظيمة، وهي كنية سماوية تعظم قدر الزهراء وتجللها، والتي لم تتصف بها أي من نساء العالمين من الأولين والآخرين، لتضاف الى جانب ما تحمله من ألقاب وكنى وأسماء عالية القدر والمقام.

وقد تظافر عن الشيعة ومخالفهم على تخريج هذا الحديث في كتبهم. قال النبي ﷺ: «كُلُّ بني أُنثى فَإِنَّ عَصْبَتَهُمْ لِأَبِيهِمْ، ما خلا ولد فاطمة فَإِنِّي أَنَا عَصْبَتُهُمْ وَأَنَا أَبُوهُمْ»^(١) فهو ﷺ عَصْبَتُهُمْ وَأَصْلُهُمْ وَأَبُوهُمْ، تنتهي إليه هذه الفروع النابتة والغصون النامية، فصار جدُّ بني فاطمة لأُمُّهُمْ أَبَاهُمْ، وصارت فاطمة الزهراء ﷺ أبا وأُمًّا لأبنائها وللنساء والذرية الطيبة النازلة منها ﷺ.

ولما صار النبي ﷺ - بهذا المعنى - أبا، وهو جدُّهم لأُمُّهُمْ، صارت فاطمة الزهراء ﷺ أُمُّ أَيْبِهَا. وأراد النبي ﷺ بهذا القول أن يُظهر شرف فاطمة ويعطي شرفاً آخر لأبنائها من حيث نسبتهم إليه، وبعبارة أخرى أراد أن يقول تشريفاً إِنِّي لَسْتُ أَبْتَرُ مِنَ الْأَبِ وَالْوَلَدِ، فَأُمِّي فاطمة وَأَبْنَائِي أبنائها. وبناءً على ذلك وبمفاد قوله (أبناءنا وأبناءكم)^(٢) يقول ولد ابنتي ولدي، وأصلهم متصل بأصل العصمة والطهارة وشجرة النبوة والرسالة المباركة، وشرف النبوة للنبوة شرف خاص، والأئمة المعصومون ﷺ - وإن كانوا أبناء أمير المؤمنين ﷺ من فاطمة - إلا أَنَّهُمْ كانوا يفتخرون ببنوتهم للنبي ﷺ، وهو شرف فوق شرف، وفضيلة فوق فضيلة.

وهناك روايات تشير الى أَنَّ فاطمة هي أم لرسول الله بمعنى الأم الراعية، والحانية، والمشفقة، والأم التي كانت تلاحظ رسول الله وترفع همه التي كانت تسهر على راحة رسول الله ﷺ. إِنَّ الزهراء ﷺ كانت تداري وتراعي رسول الله ﷺ كما تراعي الأم ولدها، وكان رسول الله ﷺ يحترمها كما يحترم أمه، فكان ﷺ يجد منها العطف والرفقة والشفقة والأنس، فكانت بمثابة أمه من هذه الناحية^(٣). ورسول الله مع وجود زوجاته لم يكن يرتاح، ولم يكن يذهب ويلجأ إلا لفاطمة، وخير دليل على ذلك حديث الكساء.

ومن معاني الأمومة: كل شيء جامع يطلق عليه أم.

نحن نعلم أَنَّ أهل البيت ﷺ من ذرية فاطمة لولاها لما قام الدين، وما استمر الدين، وما بقي الدين، فذكر

(١) المحدث: المهيمني / مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ١٧٥

(٢) سورة آل عمران / الآية: ٦١.

(٣) الرحامي، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، ص ٢٠٤.

رسول الله ووجود رسول الله كان بهم، فإذا وجدوا وبقوا كأن رسول الله باقٍ، فإذا ذكرنا الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ذكرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولما الرسول يقول (حسين مني وأنا من حسين) حسين مني يعني ابن بنتي معروفة لكن أنا من حسين كيف؟ يعني أنا أبقي ببقاء ديني، وإذا بقي ديني بقي اسمي، وبقيت جهودي، وبقيت آثاري؛ لأنَّ الشخص يبقى إذا بقيت آثاره، والذي أبقي آثار رسول الله هو الحسين .

والتي حوت هذه الثلة المعصومة هي سيدتنا فاطمة (عليها السلام)؛ فكأنها جمعت رسول الله لأنَّ أهل البيت يعبرون عن رسول الله، وفاطمة أصبحت موقعاً لهم، فكأنها أصبحت حاملة لرسول الله أو حاملة لمن يبقى ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فعبر عنها بالأم أي بالحاملة لذكره، وبقاء آثاره، وهم أهل البيت (عليهم السلام).

ومن ضمن الاستخدام لكلمة أم عند العرب أنَّهم أطلقوا على مقدّمة الرأس أم، ولهذا نقرأ في القرآن الشريف (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) ^(١) هي مقدمة الرأس تهوي في قعر جهنم.

ولا نعرف لماذا العرب سمّت مقدمة الرأس بالأم ولكن بعض أصحاب الرأي يقول لعلَّ أن في الرأس جهاز التحكم ويجمع هذه المقدمة التي تحتوي على الدماغ يجتمع فيها كل ما يضبط الجسد والبدن، وكل ما يضبط الأعضاء موجود هناك، وتحتويه مقدّمة الرأس. فمقدّم الرأس يحتوي على الجسد كله بضمه للدماغ فعبر عنه بالأم فليل؛ لأنَّ مقدمة الرأس تشمل البدن وتغطّي البدن بفعاليتها بقوتها بتغطيتها للمدد سميت بد(أم) لعدّة اعتبارات معينة.

وكذلك نحن نعلم بأنَّ الرأس هو مكان التعريف، لو أنَّ شخصاً مسحت ملامح وجهه لما استطاع أحدنا التعرف على الآخر، فمحطة التعريف ومكان التعريف ومحل التعريف هو الوجه والرأس، وما يحوي الرأس، فلهذا عندما نقول أهل البيت وجه الله ماذا نقصد بوجه الله؟

يعني المكان الذي يعرف منه الله تبارك وتعالى.

وهل نستطيع معرفة الله من غير أهل البيت؟

حتى لو قلنا من القرآن، من يبيّن القرآن؟

لا بُدَّ من الرجوع الى أهل البيت، وبالتالي إذا كان أهل البيت محل تعريف الله إذن هم بمثابة الوجه لله سبحانه وتعالى.

فالشخص لا يُعرف إلّا من طريق وجهه وهي المحطة الموجودة في الرأس.

فإذا كان الوجه محل التعريف فتكون فاطمة (عليها السلام) مركزاً للتعريف برسول الله فلولا فاطمة ما عرف رسول

(١) سورة القارعة / الآية: ٨ .

الله ما عرف أهل البيت والقرينة موجودة في حديث الكساء؟

حِينَ تَمَّ الْإِخْبَارُ عَنْ سُؤَالِ جَبْرِئِيلَ (يَا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟) جَاءَ الْجَوَابُ مِنْ خِلَالِ النَّدَاءِ السَّامِيِّ: (هُمُ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا)^(١)، فَجُعِلَتْ هِيَ الْمُحَوَّرُ وَالْمَعْرِفُ بَيْنَ النَّبُوءَةِ وَالْإِمَامَةِ، وَبِالتَّالِي كَانَتْ الْقُطْبُ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ فَلَكُ الْوُجُودِ تَكْوِينًا وَتَشْرِيعًا، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ: (يَا أَحْمَدُ لَوْلَاكَ لَمَّا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ، وَلَوْلَا عَلِيٌّ لَمَّا خَلَقْتُكَ، وَلَوْلَا فَاطِمَةُ لَمَّا خَلَقْتُكُمْ)^(٢).

نعم رسول الله أفضل وأمير المؤمنين أفضل لكن فاطمة خصوصيتها أن تكون عنوانًا تظهر هؤلاء، وهذه مكانة لفاطمة عليها السلام.

يستفاد من الأخبار الشريفة أن الصديقة فاطمة عليها السلام كانت نوراً قبل أن يخلق الله سبحانه الكون، وقد نور الله بها السماوات والأرضين، ثم جعل ثواب تسييح الملائكة وتقديسهم لها ولمحبّيتها، وهذه الروايات ممّا تدلّ على عظمتها وعظمة محبّتها وفضيلة المحبّين لها عليها السلام. فقد ورد عن سلمان الفارسي أنّه قال: كنت جالساً عند النبي المكرم عليه السلام إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلم، فردّ النبي عليه السلام عليه ورحب به، فقال: يا رسول الله! بم فضّل علينا أهل البيت علي بن أبي طالب عليه السلام والمعادن واحدة؟ فقال له النبي المكرم عليه السلام: «إِذَا أَخْبَرْتُكَ يَا عَمُّ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيّاً وَلَا سَمَاءَ وَلَا أَرْضَ، وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ، وَلَا لَوْحَ وَلَا قَلَمَ، وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بَدَأَ خَلْقَنَا فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَكَانَتْ نُورًا، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ ثَانِيَةٍ فَكَانَتْ رُوحًا، فَمَزَجَ فِيهَا بَيْنَهُمَا فَاعْتَدَلَ فَخَلَقَنِي وَعَلِيّاً مِنْهُمَا، ثُمَّ فَتَقَ مِنْ نُورِي نُورَ الْعَرْشِ فَأَنَا أَجَلٌّ مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، ثُمَّ فَتَقَ مِنْ نُورِ عَلِيٍّ عليه السلام نُورَ السَّمَاوَاتِ فَعَلِيٌّ أَجَلٌّ مِنْ نُورِ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ فَتَقَ مِنْ نُورِ الْحَسَنِ عليه السلام نُورَ الشَّمْسِ، وَمِنْ نُورِ الْحُسَيْنِ عليه السلام نُورَ الْقَمَرِ، فَهِيَ أَجَلٌّ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ وَمِنْ نُورِ الْقَمَرِ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِّحُ اللَّهَ وَتَقُدِّسُهُ وَتَقُولُ فِي تَسْبِيحِهَا: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ مِنْ أَنْوَارٍ مَا أَكْرَمَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَبْلُوَ الْمَلَائِكَةَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ سَحَابًا مِنْ ظِلْمَةٍ فَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ لَا يَنْظُرُ أُولَهَا مِنْ آخِرِهَا وَلَا آخِرِهَا مِنْ أُولَهَا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِنْ هَذَا وَسَيَدُنَا مِنْذُ خَلَقْنَا مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا نَحْنُ فِيهِ فَنَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الْأَنْوَارِ إِلَّا مَا كَشَفْتَ عَنَّا. فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لِأَفْعَلَنَّ، فَخَلَقَ نُورَ فَاطِمَةَ عليها السلام يَوْمَئِذٍ كَالْقَنْدِيلِ وَعَلَّقَهُ فِي قُرْطِ الْعَرْشِ، فَزَهَرَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَمَّيْتُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ عليها السلام، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِّحُ اللَّهَ وَتَقُدِّسُهُ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لِأَجْعَلَنَّ ثَوَابَ تَسْبِيحِكُمْ وَتَقْدِيسِكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِمَحَبَّتِي هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَأَبْيَها وَبَعْلُها وَبَنِيها». قال سلمان: فخرج العباس

(١) من فقه الزهراء عليها السلام / ج ١ / ص ٢٢٠-٢٢٥.

(٢) بحار الأنوار / ج ٥٧ / ص ١٩٩.

فلقيه أمير المؤمنين عليه السلام فضمه إلى صدره فقبل ما بين عينيه، فقال بأبي عترة المصطفى من أهل بيت ما أكرمكم على الله^(١).

ولذا سميت بالزهراء عليها السلام لهذا، فهو أول نور تعريفي أشرق في عيني الملائكة. لهذا بعض العلماء يقول فاطمة تجمع الجميع.

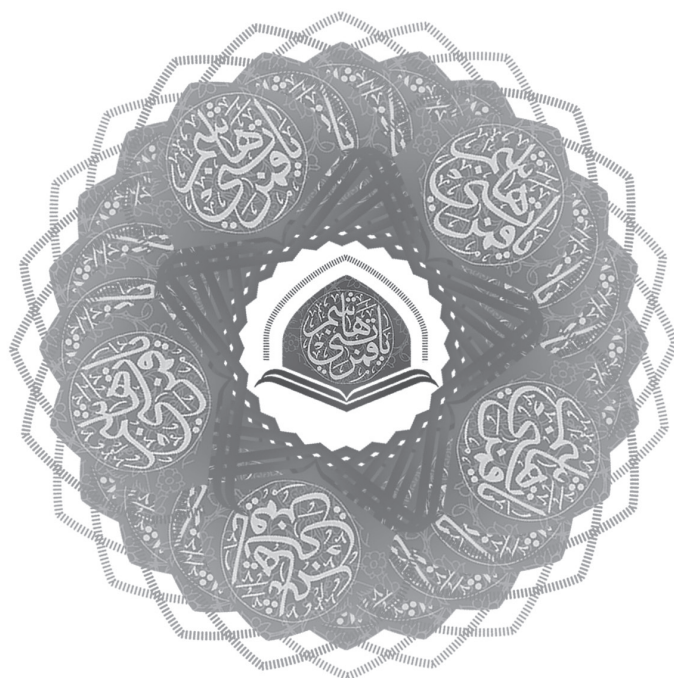
ولذلك نجد أن لهذه الكلمة عدة حقائق:

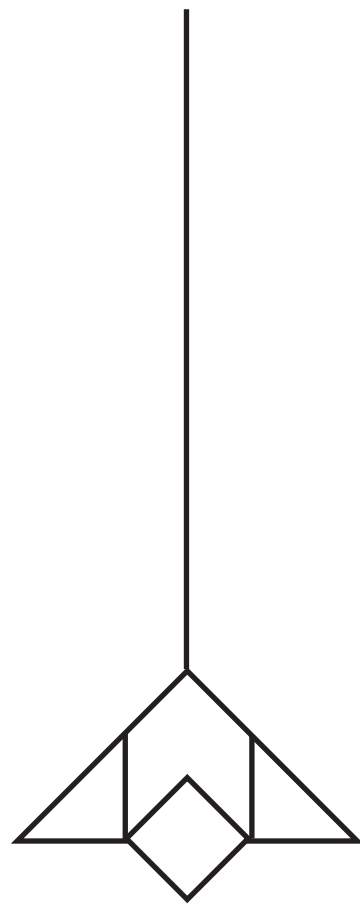
أن النكته من هذه الكنية هو محض إظهار المحبة، فإن الإنسان إذا أحب ولده أو غيره وأراد أن يظهر في حقه المحبة قال (يا أمه) في خطاب المؤنث (ويا أباه) في خطاب المذكر. تنزيلاً لهما بمنزلة الأم والأب في المحبة والحرمة.

وفيها إظهار أفضلية الزهراء عليها السلام على نساء النبي، فإذا كانت النساء أمهات المؤمنين فهي أم أبيها. لما نزل قوله تعالى (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)^(٢) في المدينة، وتكنت كل واحدة من أزواج سيد الكائنات بـ «أم المؤمنين» وافتخرن بأنهن صرن أمهات المؤمنين والمؤمنات، فسألت فاطمة الزهراء عليها السلام لنفسها تشريفاً ومزيةً عليهن، فضمها النبي المختار إلى صدره كما يضم روحه العزيزة، وقبلها وشمها وكنّاها بـ «أم أبيها» يعني إن كن نسائي أمهات أمّتي، فأنت أعلى قدراً وأجل رتبة لآنك (أمّتي).

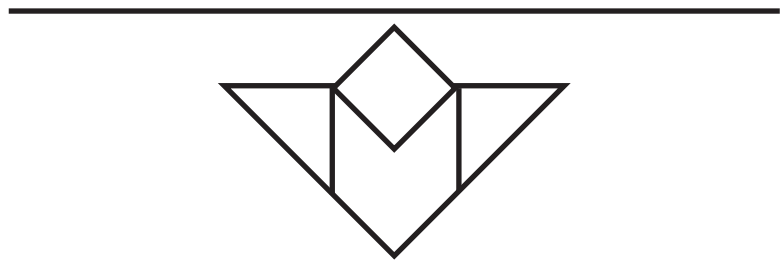
(١) بحار الأنوار / ج ٤٣ / ص ١٧ .

(٢) سورة الأحزاب / الآية: ٦ .

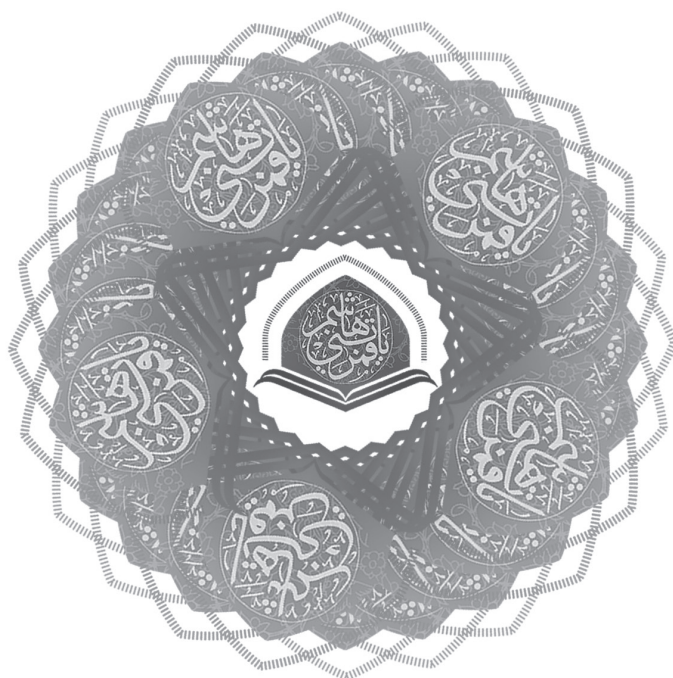




شهر جمادی الآخرہ



﴿قرايين السيدة أم البنين﴾



قرايين السيدة أم البنين (عليها السلام)

علي حسين

إنَّ التقرب من الله -تبارك وتعالى- وتحقيق رضاه يجب أن تقع في رأس هرم أولويات المؤمن الحريص على دينه، ووسائل التقرب إلى الله تعالى كثيرة أكدها الآيات القرآنية وأحاديث العترة الطاهرة (عليهم السلام)، ومنها تقديم القرايين.

والقربان في اللغة: ما تقربت به إلى الله بتبغّي به قرباً ووسيلة. والقُربانُ، بالضمِّ، ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى شأنه، تقول منه: قَرَبْتُ إلى الله قُرباناً، وفي الحديث: «صِفَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي التَّوَرَةِ: قُرْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ» أي: يتقربون إلى الله بإراقة دمائهم في الجهاد. وكان قُربانُ الأمم السالفة ذَبْحَ البَقَرِ والغنم والإبل. وفي الحديث: «الصَّلَاةُ قُربانُ كلِّ تقي، أي أنَّ الاتقياء من الناس يتقربون بها إلى الله تعالى، أي: يطلبون القُرب منه بها»^(١).

والقرايين من أوائل العبادات التي وجدت على الأرض^(٢)، وإنَّها من شعائر الله السامية (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)^(٣).

القربان في القرآن

وردت آيات عدة في مفهوم القربان، وبعضها جاء بنفس اللفظ وبعضها بألفاظ أخرى، وبعضها أشار إلى صفات فيه، أو بعض شروطه ونشير إلى بعض الآيات التي تكلمت عن القرايين ولكن دون أن تشير إلى اللفظ مباشرة أو بصورة صريحة:

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ

(١) لسان العرب - ابن منظور / محرم ١٤٠٥ هـ، نشر أدب الحوزة. - ج ١ - ص ٦٦٤ - ٦٦٥.

(٢) إن الناس ومنذ القدم سيطرت عليهم فكرة الخوف من الطبيعة، وكانت القرايين التي يقدمها الناس تهدف إلى استرضاء الطبيعة، وفيما بعد جعلوا لهذه القوى آلهة صنعتها أيديهم، وكان الناس يقربون أي شيء كنبات أو حيوان وقد يكون القربان بشرياً وذلك خوفاً أو حباً، ويتم ذلك في أوقات محددة، قد تكون دورية أو لحدث بعينه.

فكان المصريون القدماء يقدمون لنهر «النيل» قربان بشرياً لكي يتجنبوا فيضانه، وقام البابليون بتقديم «قربان التكفير» الذي يكون الإنسان هو القربان. وللقربان البشري في أثينا، وغيرها من المدن اليونانية وبالذات في «عيد ترجيليا» - وهو عيد الإله أبولو - فكانوا يلقون بخطايا الجماعة ويحملوها لفرد واحد يسمى بـ «فارماكوس»، ما يعني: العقار أو الدواء، لكي يكون تضحيتهم للإله لتخليصهم من ذنوبهم وخطاياهم عنده.

(٣) سورة الحج / الآية: ٣٢.

الْمُحْسِنِينَ . الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ .
وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا
مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ
التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ^(١)

(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ
آمِنُونَ)^(٢)

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلَا اللَّهُ الدِّينُ
الْحَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)^(٣)

(وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ)^(٤)

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
قُرْبَانًا آلِهَةً بَلَّ ضُلُوعُهُمْ عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ)^(٥)

أما الآيات التي ورد فيها لفظ القربان بصورة صريحة هي:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)^(٦)

(الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي

(١) سورة الحج / الآيات: ٣٤-٣٨ .

(٢) سورة سبأ / الآيات: ٣٤-٣٧ .

(٣) سورة الزمر / ١-٤ .

(٤) سورة سبأ / الآية ٣٧ .

(٥) سورة الأحقاف / الآيات: ٢٧-٢٨ .

(٦) سورة المائدة / ٢٧ .

بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ^(١).

وسنحاول إلقاء الضوء عليهما لنأخذ عبرة ودرسًا في مفهوم القربان.

(وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)^(٢).

تذكر بعض التفاسير، إن (هابيل) كان قد تقرب بكبش سمين، فيما تقرب (قابيل) بحزمة من سنابل القمح، أي أن (هابيل) قدم أفضل ما عنده، وقدم أخوه أدنى ما عنده، ويبدو أن قربان كل منهما يدل على نفسية وشخصية كل منهما، وربما كان بإمكان (قابيل) تقديم كبش سمين كما فعل أخوه، لكنه بخل وقبض يده ناسياً أنه يتعامل مع الله الذي يجب أن لا يبخل معه بشيء، لأنه واهب ورازق كل شيء، وهو - أي الله تعالى - لا يناله لا من الكبش ولا من القمح شيء. ففي أضحيات الحج يريد الله للحاج أن يرى منهم التقوى: (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)^(٣) وهذا هو الشرط الأول في القربان (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)^(٤). ولا يخفى عليك، أن علاقة التقوى - وهي طلب رضا الله - بالقربان، علاقة تقدير لمقام الله تعالى من جهة العبد نفسه، وأنت تعرف من خلال تجاربك، أن من يحب أكثر يقدم أكثر، إن كان بإمكانه ذلك، ولذا فالبخل مع الله هو بخل في عطاء الله (وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ) وهو علامة الاستهانة بمقام الله عز وجل.

المشهد الثاني: ويلخصه قوله تعالى: (لَأَقْتُلَنَّكَ) (أي قول قابيل)، (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)، (وهو قول هابيل) الذي أضاف: (لَكِنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) هذا المشهد الحوارى المقتضب يلخص لنا هوية الأخوين وطبيعة كل منهما الفكرية والنفسية.

(قابيل) حسود، حقود، انفعالي، يحكم غريزته، ويحاول أن ينفس عن حسده وحقده بقتل أخيه، وهو إلى ذلك جاهل لا يعرف أن القبول وعدم القبول بيد الله لا بيد أخيه، فلا ذنب لـ (هابيل) بقبول الله لقربانه وعدم قبوله لقربان أخيه. وقد يكون عالماً بذلك لكن حسده أعماه فلم يعد يبصر نور الحقيقة وهو ساطع.

أما (هابيل) فيظهر لنا: عارفاً بالله، ومتيقناً أن القبول مشروط بالتقوى، أي أن يكون العمل خالصاً لله وابتغاء مرضاته، وهو لا يتعامل بطريقة رد الفعل الاستفزازية، وإنما يحكم عقله ودينه في النظر إلى الأمور. فهو لمعرفته

(١) سورة آل عمران / الآيات: ١٨٣-١٨٤.

(٢) سورة المائدة / ٢٧.

(٣) سورة الحج / الآية: ٣٧.

(٤) سورة المائدة / الآية: ٢٧.

أن القتل عند الله شنيع لم ينسق إلى مقاتلة أخيه.

ومن أصدق القرابين إلى الله تعالى، قربان خليل الله إبراهيم عليه السلام، ولده إسماعيل عليه السلام، وقربان عبد المطلب بن هاشم ولده عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن السماء فدتها كلاً على طريقته، فجعل الله تعالى قربانها فريضة ثابتة، إحداها في الحج، والأخرى مقدار دية الرجل المقتول.

وعن الرضا عليه السلام في قول النبي صلى الله عليه وآله: (أنا ابن الذبيحين)^(١)

قال علي بن الحسين بن علي بن الفضال، عن أبيه قال سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله أنا ابن الذبيحين قال: «يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وعبد الله بن عبد المطلب أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله تعالى به إبراهيم عليه السلام فلما بلغ معه السعي وهو لما عمل مثل عمله قال يا بني إني أرى في المنام أنني أدبحك فانظر ماذا ترى. قال يا أبت أفعَل ما تؤمُر ولم يقل له: يا أبت أفعَل ما رأيت ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما عزم على ذبحه فداه الله تعالى بذبح عظيم بكبش أملح يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد ويبول ويبعر في سواد وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً وما خرج من رحم أمي وإنما قال الله عز وجل له كن فكان ليفدي به إسماعيل.

تعلق بحلقة باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين ونذر الله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أحاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة قال قد وفى الله تعالى لي فلا فين الله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أحب ولده إليه ثم أحابها ثانية فخرج سهم عبد الله ثم أحابها ثالثة فخرج سهم عبد الله فأخذه وحسسه وعزم على ذبحه فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك واجتمع نساء عبد المطلب يئكين ويصحن فقالت له ابنته عاتكة يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك قال وكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة قالت اعمد على تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل وأعط ربك حتى يرضى فبعث عبد المطلب إلى إبله فأخضرها وعزل منها عشرة وضرب بالسهم فخرج سهم عبد الله فما زال يزيد عشرة عشرة حتى بلغت مائة فضرَب فخرج السهم على الإبل فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة فقال عبد المطلب لا حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات فضرَب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وأخواتهما من تحت رجله فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كان على الأرض وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب وأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحزورة ولا يُمْنَع أحدٌ منها وكانت مائة فكانت لعبد المطلب خمس من السنن أجراها الله عز وجل في الإسلام: (١) حرم

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق / ج ٢ / ص ١٨٩.

نِسَاءِ الْأَبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، (٢) وَسَنَ الدِّيَةِ فِي الْقَتْلِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ (٣) وَكَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ، (٤) وَوَجَدَ كَنْزاً فَأَخْرَجَ مِنْهُ الْخُمْسَ، (٥) وَسَمَّى زَمْزَمَ حِينَ حَفَرَهَا سِقَايَةَ الْحَاجِّ. وَلَوْ لَا أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَ حُجَّةً وَأَنَّ عَزْمَهُ عَلَى ذَبْحِ ابْنِهِ عَبْدَ اللَّهِ شَبِيهُ بِعَزْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذَبْحِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ لَمَا افْتَحَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِمَا لِأَجْلِ أَنَّهُمَا الذَّبِيحَانِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ وَالْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الذَّبْحَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ هِيَ الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا دَفَعَ الذَّبْحَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهِيَ كَوْنُ النَّبِيِّ وَالْأَيِّمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي صَلْبِيَّتِهِمَا فَبَرَكَ النَّبِيُّ وَالْأَيِّمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دَفَعَ اللَّهُ الذَّبْحَ عَنْهُمَا فَلَمْ تَجِرِ السُّنَّةُ فِي النَّاسِ بِقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ كُلِّ أَضْحَى التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ كُلِّ مَا يَتَقَرَّبُ النَّاسُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَضْحِيَةٍ فَهُوَ فِدَاءٌ لِإِسْمَاعِيلَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

فالقربان قربانان: قربان شرعي، وقربان فلسفي، لا ثالث لهما. فأما القربان الشرعي: فهو المأمور به في الحج من ذبح الحيوانات المذكورة الموصوفة على شرائطها من أجناسها المحمودة السالمة، في المواضع التي يجب ذلك فيها، وأجلها ما كان أكثر ثمناً، وأحسن صورة، وأجود غذاء لمن يأكلها، ممن يفرق فيهم ويشبعهم ويكفيهم. فإذا خرج ذلك من حله ودفع إلى أهله بنفس طيبة، ونية صادقة، كان قرباناً مقبولاً، وكفاية نافعة، ودعاء مستجاباً، فهذا قربان شرعي. وأما الفلسفي: فهو مثل ذلك، إلا أن النهاية فيه التقرب بالأجساد إلى الله سبحانه بتسليمها إلى الموت وترك الخوف...^(٢).

ومن أروع صور الإيثار بالنفس لوجه الله تعالى ما بذله الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، فإنه فدى نفسه لرضى الله تعالى، وقدم أهله وأحباءه في سبيل إحياء الدين، ورسم صوراً رائعة من العطاء والإباء، والرحمة والفداء، ولولا هذا الموقف العظيم لسيد الشهداء (عليه السلام) لأمسى الإسلام في خبر كان.

إن هذا المعنى الرفيع والمبدأ السامي قد استقرته العقيلة زينب (عليها السلام) واستوحته من تضحية سيد الشهداء (عليه السلام) وفكره في كربلاء، وهي العالمة غير المعلمة والفهمه غير المفهمه كما وصفها الإمام زين العابدين (عليه السلام)^(٣)؛ ولهذا قامت في كربلاء بتقديم أخيها الحسين (عليه السلام) قرباناً إلى الله تعالى، صابرة مطمئنة، بإخلاص وخشوع وقالت: (اللهم تقبل منّا هذا القربان) فكسرت عين كل ناظر، وأخذت شماتة الأعداء، وكان عزاؤها بأخيها أن قدمته قرباناً إلى الله تعالى وطاعة له؛ لتنال أرفع درجات أهل الثواب على المصاب.

(١) بحار الأنوار / ج ١٥ / ص ١٢٩.

(٢) الحسين قربان الله / الباحث: السيد محمود المقدس الغريفي / اسم المجلة: العقيدة / العدد: ٩ / السنة: الثالثة - شعبان المعظم ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م.

(٣) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي، تعليق وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان / ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، نشر دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف. ج ٢ / ص ٣١.

قرايين السيدة أم البنين ؑ

وعلى خطى سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين ؑ قدّمت أم البنين ؑ أولادها الأربعة حيث استشهدوا بين يدي الإمام الحسين ؑ ولم يذكر لنا التاريخ عن أسباب عدم قدومها إلى كربلاء، فلعلّها كانت مريضة كما حكي عن فاطمة الصغرى أو مشغولة برعاية أولاد بنيتها أو غير ذلك.

لقد قدّمت أربعة قرايين ما لهم على وجه الأرض، وهم:

أولاً: العباس بن علي بن أبي طالب:

أمّه أم البنين ؑ، وهو المعروف بأبي الفضل، والملقب بقمر بني هاشم وببطل العلقمي. استشهد قبل أخيه الحسين ؑ في واقعة عاشوراء سنة ٦١ هـ.

حظي العباس ؑ من بين أبناء أئمة أهل البيت ؑ بمنزلة كبيرة، فكان هو في تعبيرهم نعم الأخ المواسي للحسين، صاحب المنزلة التي يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة، نافذ البصيرة، صلب الإيمان، العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين ؑ.

ويمكن لنا أن نعرف بعض معالم شخصيته من خلال زيارة الإمام الصادق ؑ حينما زار عمه العباس ؑ:

«سَلَامُ اللَّهِ وَسَلَامُ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَجَمِيعِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّدِّيقِينَ، وَالزَّكَايَا الطَّيِّبَاتِ فِيمَا تَغْتَدِي وَتَرُوحُ عَلَيْكَ يَا بَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصَدِيقِ وَالْوَفَاءِ وَالنَّصِيحَةِ، لِحَلْفِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الْمُرْسَلِ، وَالسَّبْطِ الْمُتَجَبِّ، وَالِدِّ الدَّلِيلِ الْعَالِمِ، وَالْوَصِيِّ الْمُبْلَغِ، وَالْمَظْلُومِ الْمُهْتَظَمِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنْ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) أَفْضَلَ الْجُزَاءِ، بِمَا صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَأَعْنَتَ فَعَنِمَ عُقْبَى الدَّارِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَاءِ الْفِرَاتِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُومًا، وَأَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ، جِئْتُكَ يَا بَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِدَاءَ إِلَيْكُمْ، وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتَابِعٌ، وَأَنَا لَكُمْ تَابِعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ، إِنِّي بِكُمْ وَبِإِيَابِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِمَنْ خَالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَتَلَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلْتُكُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْسُنِ.

ثم ادخل فانكب على القبر وقل: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّم)، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ وَعَلَى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ، أَشْهَدُ وَأُشْهَدُ اللَّهُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمُنَاصِحُونَ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ، الْمُبَالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ، الدَّابُّونَ عَنْ أَحْبَائِهِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ الْجُزَاءِ، وَأَكْثَرَ الْجُزَاءِ، وَأَوْفَى جُزَاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفَى بِنَيْتِهِ، وَاسْتَجَابَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَأَطَاعَ وَلاةَ أَمْرِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَالِغْتَ فِي النَّصِيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غَايَةَ

المَجْهُود، فَبَعَثَكَ اللهُ فِي الشُّهَدَاءِ، وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ أَرْوَاحِ السُّعَدَاءِ، وَأَعْطَاكَ مِنْ جَنَانِهِ أَفْسَحَهَا مَنْزِلاً وَأَفْضَلَهَا عُرفاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيَّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً، أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَمُتْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصَّالِحِينَ، وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيِّينَ، فَجَمَعَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي مَنَازِلِ الْمُحِبِّينَ، فَإِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ..... أَلَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ الْعَبَّاسَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا بَنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، أَلَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا بَنَ أَوَّلِ الْقَوْمِ إِسْلاماً، وَأَقْدَمِهِمْ إِيْمَاناً وَأَقْوَمَهُمْ بِدِينِ اللهِ، وَأَخْوَطِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ اللهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَخِيكَ فَنِعْمَ الْأَخُ الْمُوَاسِي، فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً اسْتَحَلَّتْ مِنْكَ الْمُحَارِمَ، وَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الْإِسْلَامِ، فَنِعْمَ الصَّابِرُ الْمُجَاهِدُ الْمُحَامِي النَّاصِرُ، وَالْأَخُ الدَّافِعُ عَنْ أَخِيهِ، الْمُجِيبُ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، الرَّاعِبُ فِيمَا زَهَدَ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالنَّشَاءِ الْجَمِيلِ، وَالْحَقَّكَ اللهُ بِدَرَجَةِ آبَائِكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ، اَللَّهُمَّ إِنِّي تَعَرَّضْتُ لَزِيَارَةِ أَوْلِيَائِكَ رَغْبَةً فِي ثَوَابِكَ، وَرَجَاءً لِمَغْفِرَتِكَ وَجَزِيلِ إِحْسَانِكَ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَنْ تَجْعَلَ رِزْقِي بِهِمْ دَاراً وَعَيْشِي بِهِمْ قَاراً، وَزِيَارَتِي بِهِمْ مَقْبُولَةً وَحَيَاتِي بِهِمْ طَيِّبَةً، وَأَدْرِجْنِي إِدْرَاجَ الْمُكْرَمِينَ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ زِيَارَةِ مَشَاهِدِ أَحْبَائِكَ مُفْلِحاً مُنْجِحاً، قَدْ اسْتَوْجَبَ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ وَسَتَرَ الْعُيُوبِ وَكَشَفَ الْكُرُوبِ، إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ»^(١).

كان العباس (عليه السلام) في واقعة كربلاء صاحب لواء أخيه الحسين (عليه السلام)، وقد كسر الحصار

يومي السابع والعاشر من محرم بعد أن حُرِمَ المخيم من شرب نهر الفرات، فتمكّن من جلب الماء لمعسكر الحسين في المحاولة الأولى فلَقِبَ بالسَّقاء، واستشهد في طريق عودته من المحاولة الثانية وهو يأبى أن يشرب دون الحسين (عليه السلام) ونخيمه، فقطعت يداه.

يكنى بأبي الفضل وهي أشهر كناه. وعزى الكثير من العلماء والأدباء ذلك إلى ما اتسم به (عليه السلام) من فضائل كثيرة ويكنى بأبي القاسم، ومن هنا حمل الباحثون والمحققون ما ورد في زيارة الأربعين عليه. قال جابر بن عبد الله الأنصاري: «السلام عليك يا أبا القاسم يا عباس بن علي»^(٢).

ولقب (عليه السلام) بمجموعة من الألقاب تحكي عظم شخصيته، منها:

- قمر بني هاشم.
- باب الحوائج.

(١) بحار الأنوار / ج ٩٨ / ص ٢١٩ .

(٢) المصدر نفسه / ج ٩٨ / ص ٣٣٠ .

- الطيّار.
- الشهيد.
- العبد الصالح.
- صاحب اللواء.
- السقاء.

ولد العباس (عليه السلام) في الرابع من شعبان سنة ٢٦ هـ في المدينة المنورة، فعاش في كنف أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخويه الحسن والحسين (عليه السلام) ينهل من نعيم علمهم، ويرتوي من زلال رافدهم، ولم تكن كُلّ البصائر في أبي الفضل (عليه السلام) اكتسابية، بل كان مجبولاً من طينة القداسة التي مزيجها النور الإلهي، حتّى تكوّنت في صُلْب من هو مثال الحقّ، ذلك الذي لو كشف عنه الغطاء ما ازداد يقيناً، فلم يصل أبو الفضل (عليه السلام) إلى عالم الوجود إلّا وهو معدن الذكاء والفطنة، وأذن واعية للمعارف الإلهية، ومادة قابلة لصور الفضائل كلّها، فاحتضنه حجر العلم والعمل، حجر اليقين والإيمان، وعادت أرومته الطيبة هيكلًا للتوحيد، يغذّيه أبوه بالمعرفة، فتشرق عليه أنوار الملكوت، وأسرار اللاهوت، وتهبّ عليه نسائم الغيب، فيستنشق منها الحقائق.

وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى سَمَوِ مرتبة العباس (عليه السلام) العلمية بقوله: «إنّ ولدي العباس زق العلم زقاً»^(١). من أهم صفاته معرفته بإمام زمانه وانقياده له، فقد عُرف سيدنا ومولانا العباس بن علي (عليه السلام) بوعيه العميق لنظرية الإمامة وطاعته المطلقة وانقياده التام لإمام زمانه، وهناك دلائل ومؤشرات تكشف عن هذه الخصوصية. لما جاء شمر بن ذي الجوشن بكتاب الأمان عصر التاسع من المحرم ونادى: «أين بنو أختنا؟ أين العباس (عليه السلام) وإخوته؟ فأعرضوا عنه، فقال الحسين (عليه السلام): أجيئوه ولو كان فاسقاً قالوا: ما شأنك؟ وما تريد؟

قال: يا بني أختي، أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين (عليه السلام)، وألزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد. فقال له العباس (عليه السلام): تبت يداك ولعن ما جئت به من أمانك يا عدو الله! أأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة (عليها السلام)، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟! أتؤمننا وابن رسول الله (عليه السلام) لا أمان له؟!^(٢).

(١) الناصري، مولد العباس بن علي (عليه السلام)، ص ٦٢.

(٢) الحائري المازندراني، محمد مهدي، معالي السبطين، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ج ١، ص ٤٣٣.

استشهاده

استشهد العباس يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ في كربلاء. ^(١) واختلفت كلمة الباحثين والمؤرخين في كيفية شهادته عليه السلام، فذهب الخوارزمي إلى القول: «فبرز العباس إلى الميدان، فحمل على الأعداء مرتجلاً، وبعد أن قتل وأصاب عدداً منهم سقط شهيداً، فجاءه الحسين عليه السلام، ووقف عليه، وهو يقول: الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي» ^(٢).

فيما قرر كل من ابن نما وابن طاووس شهادته بالصورة التالية: «لما اشتد العطش بالحسين عليه السلام ركب المسناة يريد الفرات والعباس عليه السلام أخوه بين يديه فاعترضه خيل ابن سعد... ثم اقتطعوا العباس عنه، وأحاطوا به من كل جانب حتى قتلوه قدس الله روحه، فبكى الحسين عليه السلام لقتله بكاءً شديداً» ^(٣).

فيما قررها ابن شهر آشوب بقوله: «وكان العباس عليه السلام السقاء قمر بني هاشم صاحب لواء الحسين عليه السلام وهو أكبر الأخوان، مضى يطلب الماء، فحملوا عليه وحمل عليهم حتى ضعف بدنه، فكمن له حكيم بن طفيل الطائي السنبيسي، فضربه على يمينه، فأخذ السيف بشماله» ^(٤).
حمل وهو يرتجز:

وأبشري برحمة الجبار يا نفس لا تخشي من الكفار
قد قطعوا ببغيهم يساري مع النبي السيد المختار
فأصلهم يا ربّ حر النار

فضربه لعين بعمود من حديد فقتله.

وكان العباس عليه السلام، آخر من استشهد مع الحسين عليه السلام، ولم يستشهد بعده إلا صبية من آل أبي طالب لم يبلغوا الحلم، ولم يقدرُوا على حمل السلاح. ^(٥)
استشهد العباس عليه السلام، وله من العمر ٣٤ سنة. ^(٦)

(١) الأمين، السيد محسن العاملي، أعيان الشيعة، د ن، د م، د ت. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٤٢٩.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ٣٤.

(٣) السيد بن طاووس، رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف، جهان، طهران، ١٣٤٨ ش، ص ١١٧-١١٨.

(٤) المقرم، عبد الرزاق الموسوي، حادثه كربلا درمقتل المقرم، ترجمة: محمد جواد مولائي نيا، انتشارات جلوه كمال، قم، ط ٣، ١٣٨٧ هـ. درمقتل مقرم، ص ٢٦٢.

(٥) الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، تحقيق: أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٨٩.

(٦) أبي عتبة الأصغر، جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م، ص ٢٨٠.

الثاني: عبدالله بن علي بن أبي طالب عليه السلام

من أخوة الإمام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا معه في يوم عاشوراء، فهو ابن الإمام علي عليه السلام من زوجته أم البنين عليها السلام، وأكبر أولادها بعد العباس عليه السلام، ويصغر عن العباس بثماني سنين، ورد أنه أول من قُتل من أولاد أم البنين عليها السلام في واقعة الطف.

روي أن اسمه عبد الله الأكبر ^(١) أو عبد الله الأصغر. ^(٢) كنيته أبو محمد، ^(٣) وأمه أم البنين عليها السلام ^(٤).
بناء على ما أورده أبو الفرج الأصفهاني استشهد عبد الله وهو ابن ٢٥ سنة، وهناك أخبار تقول: إنه أصغر من أخيه العباس عليه السلام الذي استشهد وله من العمر ٣٤ سنة ^(٥). - بثماني سنوات، كما أنه أكبر أولاد أم البنين بعد العباس عليه السلام. ^(٦)

عاش ست سنوات مع أبيه الإمام علي عليه السلام، ومع أخيه الحسن عليه السلام ست عشرة سنة، ومع أخيه الحسين عليه السلام خمساً وعشرين سنة، وذلك مدة عمره. ^(٧)

وقد ثبت تاريخياً حضوره في كربلاء، واستشهاده يوم عاشوراء، وهذا ما تطرّق إليه جملة من علماء الفريقين في كتبهم، منهم: ابن سعد في الطبقات الكبرى، وابن قتيبة في المعارف، والطبري في تاريخه، وأبو الفرج في مقاتل الطالبين، والشيخ الطوسي في رجاله. ^(٨)

وعده البعض على أنه أول شهيد بين إخوته. وهناك أخبار تتحدث عن استشهاده بعد أخيه جعفر ^(٩).
لما قتل أصحاب الحسين عليه السلام وجملة من أهل بيته دعا العباس إخوته الأكبر فالأكبر، وقال لهم: تقدّموا، فأول من دعاه عبد الله أخوه لأبيه وأمه فقال: تقدّم يا أخي حتّى أراك قتيلاً، وأحتسبك ^(١٠)؛ فإنه لا ولد لك، فتقدم بين يديه، وجعل يضرب بسيفه قدماً، ويجول فيهم، وهو يرتجز ويقول:

(١) المجدي، ص ١٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ٤، الطبعة الثانية، بيروت، دار الاضواء، ١٤١٢ هـ. ج ٤، ص ١١٢.

(٣) المحلّقي، ذبيح الله، فرسان الهيجه، ج ١، الطبعة الثانية، مركز نشر كتاب، ١٣٩٠ هـ. ج ٥، ص ٦٩.

(٤) الطبقات، ج ٣، ص ١٤؛ ٦٩.

(٥) ابن فندق، لباب الانساب، تحقيق مهدي رجائي و محمود مرعشي، ج ١، الطبعة الأولى: الناشر: مكتبة آية الله مرعشي النجفي، ١٤١٠ هـ، ج ١، ص ٣٠٧؛ شرح الاخبار، ج ٣، ص ١٩٤.

(٦) مقاتل الطالبين، ص ٨٢؛ الساموي، إِبصار العين، ص ٦٧.

(٧) الساموي، إِبصار العين، ص ٦٧.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق عبد القادر عطا، ج ٣، الطبعة الثانية: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ، ج ٣، ص ١٤.

(٩) ابن اعثم كوفي، الفتوح، تحقيق علي شيري، ج ٥، الطبعة دوم: بيروت، دار الاضواء، ١٤١١ هـ، ج ٥، ص ٢٠٧.

(١٠) احتسب الشيء: احتسب بالشيء: ضحّى به وفعله مُدْخراً أجره عند الله، لا يرجو ثواب الدنيا) معجم اللغة العربية المعاصرة ج ١ ص ٤٨٩.

ذاك علي الخير ذو الفعال أنا ابن ذي النجدة والفضال

في كل يوم ظاهر الأهوال سيف رسول الله ذو النكال

فشدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي، فضربه على رأسه، فقتله.^(١)

وقع التسليم عليه في زيارة الشهداء، وأشيد بمواقفه يوم عاشوراء ولعن قاتله.

«السلام على عبد الله بن أمير المؤمنين عليه السلام، مبلي البلاء والمنادي بالولاء في عرصة كربلاء المضروب مقبلاً ومدبراً؛

لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرمي».^(٢)

الثالث: عثمان بن علي بن أبي طالب عليه السلام

من شهداء كربلاء، وهو شقيق العباس بن علي. له ٢١ سنة يوم استشهاده.

دفنه الإمام السجاد عليه السلام في قبر جماعي مع شهداء كربلاء في حرم الإمام الحسين عليه السلام.

ولد في الكوفة فترة خلافة والده الإمام علي عليه السلام سنة ٣٩ هـ، وذلك استناداً إلى بعض الأخبار التي تتحدث

عن استشهاده، وهو ابن واحد وعشرين سنة.^(٣)

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «إنما سميته عثمان، بعثمان بن مظعون أخي».^(٤)

بعد أن استشهد أنصار الإمام الحسين عليه السلام أول من برز من بني هاشم علي بن الحسين الأكبر ثم أبو بكر بن

علي عليه السلام، وتقول بعض الروايات خرج بعده عبد الله وجعفر شقيقي عثمان إلى الميدان فقاتلا حتى قُتلا،^(٥) ثم برز

عثمان إلى الميدان، وهو يرتجز ويقول:

إني أنا عثمان ذو المفاخر شيخي علي ذو الفعال الظاهر

وابن عم للنبي الطاهر أخي حسين خيرة الأخابر

وسيد الكبار والأصاغر بعد الرسول والوصي الناصر^(٦)

رماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم فأوهطه^(٧) حتى سقط لجنبه، فجاءه رجل من بني أبان بن دارم فقتله واحتز

(١) السباوي، محمد بن طاهر، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، تحقيق: محمد جعفر الطوسي، الناشر: مركز الدراسات الإسلامية، ١٤١٩ هـ، ص ٦٧-٦٨.

(٢) ابن طاووس، مصباح الزائر، الطبعة الأولى، قم، تحقيق ونشر مؤسسة آل بيت، ١٤١٧ هـ، ص ٢٨٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دت، ج ٤٥، ص ٣٧.

(٤) السباوي، محمد، إِبصار العين في أنصار الحسين، جامعة شهيد محلاتي، قم، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ص ٦٩.

(٥) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، الأمالي، دت. ص ١٥٢.

(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٧.

(٧) (أوهطه): أضعفه، وأنخنه، بالجرّاح، وصرعه صرعة لا يقوم منها.

رأسه. (١)

ذكر في زيارة الشهداء ولعن قاتله:

«السَّلامُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَمِيِّ عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ لَعَنَ اللَّهُ رَامِيَهُ بِالسَّهْمِ خَوْلِيَّ بْنَ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيِّ
الْأَيْدِيَّ الدَّارِمِيَّ». (٢)

الرابع: جعفر بن علي بن أبي طالب.

شهد وقعة الطف، واستشهد مع الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء.

ولد بعد أخيه عثمان بنحو سنتين، بقي مع أبيه نحو سنتين، ومع أخيه الحسن (عليه السلام) نحو اثنتي عشرة سنة،
ومع أخيه الحسين (عليه السلام) نحو إحدى وعشرين سنة، وذلك مدة عمره. وروي: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) سماه باسم
أخيه جعفر لربه إياه. (٣)

وذهب آخرون على أن عمره كان ١٩ سنة، (٤) فبناءً عليه ولد بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام).

وكان في الركب الحسيني منذ بداية انطلاقه من المدينة، (٥) ولما قتل أخواه لأبيه وأمه عبد الله وعثمان في يوم
عاشوراء دعاه العباس (عليه السلام)، فقال له: «تقدم إلى الحرب حتى أراك قتيلاً كأخويك، فأحتسبك كما
احتسبتها...». (٦) فتقدم، وشدَّ على الأعداء يضرب فيهم بسيفه، وهو يقول:

ابْنُ عَلِيٍّ الْخَيْرُ ذُو النَّوَالِ إِنِّي أَنَا جَعْفَرُ ذُو الْمُعَالِي
حَسْبِي يَمْعِي جَعْفَرٌ وَالْحَالِ ذَاكَ الْوَصِيِّ ذُو السَّنَا وَالْوَالِي
أَحْمِي حُسَيْنًا ذَا النَّدَى الْمُفْضَالَ (٧)

فرماه خولي الأصبحي، فأصاب شقيقته أو عينه. (٨) وذكر: شد عليه هاني بن ثبيت الذي قتل أخاه، فقتله (٩).

وقع التسليم عليه في زيارة الشهداء، وأشيد بمواقفه يوم عاشوراء ولعن قاتله:

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٧. البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٠.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، ج ٣، ص ٧٣.

(٣) السماوي، إِبْصَارُ الْعَيْنِ فِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ، ص ٦٩.

(٤) الأمين، محسن العاملي، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ج ٤، ص ١٢٩.

(٥) الدينوري، أخبار الطوال، ص ٣٣٧.

(٦) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفه حجج الله على العباد، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، ط ١، ١٤١٣ هـ، ج ٢، ص ١٠٩.

(٧) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٤، ص ١٠٧.

(٨) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٦.

(٩) السماوي، إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ج ٣، ص ٣٣٢.

«السَّلَامُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّابِرِ نَفْسُهُ مُحْتَسِبًا وَالنَّائِي عَنِ الْأَوْطَانِ مُغْتَرِبًا الْمُسْتَسْلِمِ لِلْقِتَالِ الْمُسْتَقْدِمِ
لِلنِّزَالِ الْمُكْثُورِ بِالرَّجَالِ لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ هَانِي بْنُ ثُبَيْتٍ الْحَضْرَمِيِّ^(١)».

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة فيها يعمل مرة في السنة، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، ج ٣، ص ٧٣.

